

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

الرقم التسلسلي: .....

رقم تسجيل الطالب: .....

# العنوان

خصائص التركيب اللغوي في

"بوابات التور"

للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي

-دراسة في الوظيفة التداولية-

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغويات

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الله بوخلخال

إعداد الطالب:

خليفة بو حادي

السادة أعضاء لجنة المناقشة

| الاسم واللقب       | الصفة          | الدرجة العلمية       | الجامعة الأصلية         |
|--------------------|----------------|----------------------|-------------------------|
| 1 راسح دوب         | رئيساً         | أستاذ التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر |
| 2 عبد الله بوخلخال | مشرفاً ومقرراً | أستاذ التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر |
| 3 عيسى بن سديرة    | عضواً          | أستاذ محاضر          | جامعة سطيف              |
| 4 يوسف وغلبيسي     | عضواً          | أستاذ محاضر          | جامعة قسنطينة           |

السنة الجامعية 2006/1427-2005/1426

|        |  |
|--------|--|
| أ- ذ   | مقدمة:   |
| 130-01 | - الباب الأول: الدرس اللساني التداولي بين القديم والحديث       |
| 20-02  | - مدخل: دراسة اللغة؛ من النيوية إلى التداولية                  |
| 04     | I- اللسانيات النيوية:  |
| 05     | 1- سوسير وعلم اللغة:   |
| 07     | 2- حلقة براغ واللغة الأدبية:                                   |
| 09     | 3- الجلوسيماتيكية أو السوسيرية الحديثة:                        |
| 10     | 4- الوصفية الأمريكية والتحليل المادي للغة:                     |
| 13     | II- لسانيات ما بعد النيوية:                                    |
| 15     | 1- التوليدية التحويلية وعقلانية دراسة اللغة:                   |
| 17     | 2- اللسانيات الوظيفية والأبعاد التداولية للغة:                 |
| 18     | 3- اللسانيات النصية وتحليل الخطاب:                             |
| 19     | 4- اللسانيات التداولية:  |
| 72-21  | - الفصل الأول: في اللسانيات التداولية                          |
| 22     | I- في المرجعيات الفكرية والثقافية للتداولية:                   |
| 23     | 1- الفلسفة اللغوية:  |
| 24     | أ- فيغشتاين وفلسفة اللغة:                                      |
| 25     | ب- أوستين:   |
| 26     | ج- بيرس:   |
| 27     | د- موريس:  |
| 29     | 2- النظريات اللسانية الحديثة:                                  |
| 32     | II- في الماهية؛ مفهوم التداولية:                               |
| 34     | أ- تعريفات ترتبط بحقل نشأة التفكير التداولي:                   |
| 35     | ب- تعريفات ترتبط بحقل موضوع التداولية ووظيفتها:                |
| 36     | ج- تعريفات ترتبط بحقل التواصل والأداء:                         |
| 37     | د- تعريفات ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى، وما تشمله من اتجاهات |
|        | III- تطور التداولية؛ أشكالها وأقسامها:                         |
| 39     | 1- تصور فرانسواز أرمينكو:                                      |

|    |   |
|----|---|
| 39 | أ- تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية: |
| 40 | ب- تداولية التلفظ:                                  |
| 40 | 2- تصور هانسون:                                     |
| 40 | أ- تداولية الدرجة الأولى:                           |
| 40 | ب- تداولية الدرجة الثانية:                          |
| 40 | ج- تداولية الدرجة الثالثة:                          |
| 42 | 3- تصوّر جان سرفوني:                                |
| 42 | أ- وجهة نظر أوزوالد ديكرود:                         |
| 43 | ب- وجهة نظر آلان بيريندوني:                         |
| 43 | ج- وجهة نظر ر. مارتان:                              |
| 44 | IV- من قضايا اللسانيات التداولية:                   |
| 45 | 1- أفعال الكلام:                                    |
| 48 | أ- فكرة أفعال الكلام عند أوستين:                    |
| 50 | ب- أفعال الكلام عند سورل:                           |
| 51 | ج- أفعال الكلام بعد أوستين وسورل:                   |
| 53 | 2- المفوضية:  |
| 55 | 3- الحجاج:  |
| 59 | 4- التفاعل والسياق:                                 |
| 62 | 5- الوظائف التداولية:                               |
| 65 | V- علاقة التداولية بتخصصات أخرى:                    |
| 65 | 1- علاقتها باللسانيات واللسانيات البنيوية:          |
| 67 | 2- علاقتها بالنحو والنحو الوظيفي:                   |
| 67 | 3- علاقتها بعلم الدلالة:                            |
| 70 | 4- علاقتها باللسانيات النفسية:                      |
| 70 | 5- علاقتها باللسانيات الاجتماعية:                   |
| 70 | 6- علاقتها باللسانيات التعليمية:                    |
| 71 | 7- علاقتها باللسانيات النصية وتحليل الخطاب:         |
| 72 | VI- أهمية التداولية:                                |

|         |  |
|---------|--|
| 130-73  | - الفصل الثاني: من قضايا اللسانيات التداولية في الدرس العربي القديم -محاولة تأصيلية- |
| 74      | I- في مصادر التفكير اللغوي التداولي عند العرب ومبادئه:                               |
| 79      | II- في المجالات المفهومية لمصطلح (تداولية) في العربية:                               |
| 79      | 1- المفهوم المعجمي لـ (التداولية):   |
| 82      | 2- المفهوم الاصطلاحي لـ (التداولية):   |
| 84      | III- من مباحث اللسانيات التداولية في الدرس العربي القديم:                            |
| 84      | 1- في البلاغة العربية والاتصال:  |
| 85      | أ- مفهوم (البلاغة) والوصول إلى المخاطب:  |
| 89      | ب- الأشكال التداولية في البلاغة العربية:   |
| 89      | ب-1- تداولية المتكلم في البلاغة العربية:   |
| 96      | ب-2- تداولية المخاطب في البلاغة العربية:   |
| 105     | ب-3- تداولية الخطاب في ذاته في البلاغة العربية:                                      |
| 121     | 2- النحو العربي واستعمال اللغة:  |
| 122     | 2-أ- تداولية المتكلم في النحو العربي:  |
| 124     | 2-ب- تداولية المخاطب في النحو العربي:  |
| 125     | 2-ج- تداولية الخطاب في ذاته في النحو العربي:   |
| 251-131 | - الباب الثاني: خصائص التركيب اللغوي في "بوابات النور" دراسة في الوظيفة التداولية    |
| 133     | - مدخل: مظاهر التداولية اللغوية في "بوابات النور"                                    |
| 133     | 1- اللغة العادية واللغة الشعرية:   |
| 134     | 2- اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة:   |
| 180-142 | - الفصل الأول: خصائص التركيبين التحوي والبلاغي في "بوابات النور"                     |
| 143     | I- خصائص التركيب النحوي في "بوابات النور":   |
| 144     | 1- العناية بالمستوى التداولي في التركيب:   |
| 150     | 2- بناء التراكيب بحسب العمليات الذهنية للمتكلم:                                      |
| 153     | 3- القوى الإنجازية في التراكيب النحوية:  |
| 153     | أ- أنواع القوى الإنجازية:  |
| 156     | ب- تعدد القوى الإنجازية:   |
| 158     | 4- اللواحق الإنجازية في تراكيب الديوان:  |
| 158     | أ- الإشارات:   |



|         |   |
|---------|---|
| 161     | ب- لواحق إنحازية أخرى:                                  |
| 162     | II- خصائص التركيب البلاغي في "بوابات النور":            |
| 164     | الصور البلاغية وقيمها التداولية في "بوابات النور":      |
| 165     | 1- القيم التداولية في استعارات "بوابات النور":          |
| 166     | أ- تداولية اللفظ الاستعاري:                             |
| 167     | ب- تداولية المتكلم:                                     |
| 169     | ج- تداولية المخاطب:                                     |
| 171     | 2- القيم التداولية في كنايات "بوابات النور":            |
| 172     | أ- تداولية اللفظ الكنائي:                               |
| 173     | ب- تداولية المتكلم:                                     |
| 175     | ج- تداولية المخاطب:                                     |
| 178     | 3- القيم التداولية في تشبيهات "بوابات النور":           |
| 216-181 | - الفصل الثاني: خصائص التركيب الحجاجي في "بوابات النور" |
| 183     | I- الوجوه الحجاجية في تركيب "بوابات النور":             |
| 183     | 1- الزيادة داخل التركيب لأبعاد حجاجية:                  |
| 183     | أ- التوكيد:   |
| 186     | ب- العطف:   |
| 188     | ج- النعت:   |
| 190     | د- القصر:   |
| 190     | هـ- التابع والتوالي:                                    |
| 192     | 2- الزيادة بين التراكيب لأبعاد حجاجية:                  |
| 192     | أ- التكرار:   |
| 193     | ب- التقابل:   |
| 194     | ج- التعارض:   |
| 194     | د- الإدخال:   |
| 196     | 3- تنويع التراكيب لأبعاد حجاجية:                        |
| 196     | أ- التقديم والتأخير:                                    |
| 197     | ب- الانتقال من الاسم إلى الفعل، أو العكس:               |
| 198     | ج- الالتفات:  |

- 4- الحذف في التراكيب لأبعاد حجاجية: .....
- أ- حذف (الفعل) لدلالة سياق الحال عليه: .....
- ب- حذف المبتدأ لدلالة سياق الحال عليه: .....
- ج- حذف الخبر لدلالة المذكور عليه: .....
- د- حذف الضمير لدلالة السابق عليه: .....
- هـ- حذف التركيب لدلالة المذكور عليه: .....
- و- الحذف على التشنيع: .....

II- مظاهر الاستدلال في التراكيب الحجاجية: .....

- 1- مراحل الاستدلال في التراكيب: .....
- 2- مظاهر الاستدلال وأشكاله في التراكيب: .....
- أ- استحضار النص القرآني: .....
- ب- استحضار النص النبوي: .....
- ج- استحضار النص الشعري: .....
- د- حجج وأدلة أخرى: .....

- الفصل الثالث: خصائص تركيب أفعال الكلام في "بوابات

- I- أفعال الكلام في تراكيب "بوابات النور": .....
- 1- الأفعال الإيقاعية: .....
- 2- الأفعال الطليّة: .....
- 3- الأفعال الإخبارية: .....
- 4- الأفعال الالتزامية: .....
- 5- الأفعال التعبيرية: .....

II- صيغ تركيب الأفعال الكلامية في تراكيب "بوابات ال

- 1- اختلاف الأفعال الكلامية: .....
- أ- تركيب الخبر على الإنشاء: .....
- ب- تركيب الإنشاء على الخبر: .....
- ج- تركيب الخبر على الخبر: .....
- د- تركيب الإنشاء على الإنشاء: .....
- 2- تجانس الأفعال الكلامية: .....
- أ- تركيب الخبر على الخبر: .....

|         |  |
|---------|--|
| 233     | ..... ب- تركيب الإنشاء على الخبر:                            |
| 234     | ..... ج- تركيب الخبر على الخبر:                              |
| 234     | ..... د- تركيب الإنشاء على الإنشاء:                          |
| 235     | ..... 2- تجانس الأفعال الكلامية:                             |
| 235     | ..... أ- تركيب الخبر على الخبر:                              |
| 236     | ..... ب- تركيب الإنشاء على الإنشاء:                          |
| 237     | ..... III- أغراض أفعال الكلام في تراكيب "بوابات النور":      |
| 237     | ..... 1- أغراض الإنشاء في الديوان:                           |
| 237     | ..... أ- الاستفهام:  |
| 241     | ..... ب- الأمر:  |
| 244     | ..... ج- النداء:   |
| 245     | ..... د- النهي:  |
| 246     | ..... 2- أغراض الخبر في الديوان:                             |
| 246     | ..... أ- خروج الخبر إلى الإنشاء:                             |
| 250     | ..... ب- خروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معانٍ إخبارية أخرى: |
| 257-252 | ..... الخاتمة:   |
| 268-258 | ..... الملاحق:   |
| 304-269 | ..... الفهارس:   |
| 270     | ..... I- فهرس المصادر والمراجع:                              |
| 281     | ..... II- فهرس الآيات الكريمة:                               |
| 283     | ..... III- فهرس الأحاديث الشريفة:                            |
| 284     | ..... IV- فهرس الآيات الشعرية من غير شعر ابن القاضي:         |
| 285     | ..... V- فهرس الأعلام:                                       |
| 292     | ..... VI- فهرس أهم المصطلحات الواردة في البحث:               |
| 304-299 | ..... VII- فهرس الموضوعات:                                   |

# مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد نشطت حركة المناهج النقدية حديثاً، لا سيما تلك التي تستند إلى الدرس اللساني وما قدمته من نتائج في تحليل اللغة ودراساتها. ولعل بعضاً منها نشأ ردّاً على مناهج أخرى، والبعض الآخر يمكن أن يجمع ما تعرضه عدة مناهج سابقة... مما جعل المنظومة المنهجية عموماً في تغير دائم، ولم تعرف الاستقرار منذ مدة.

وظلّ النصّ الأدبي حقلاً خصباً لها، وميِّناً ما فيها من جديد أو قصور في معالجة الظاهرة الأدبية؛ وحظيت لغته باحتفاء معظم المناهج؛ فتناولتها من جوانبها المختلفة. ومن أهم ما يميز هذا تناول، أنها بدأت بالدراسة الإفرادية التي تنظر في الوحدات اللغوية وتعالقها في التراكيب، إلى الدراسة الدلالية التي تقف على محصول المعنى فيما بين تراكيب النص، إلى الدراسة التداولية (وهي امتداد للدراسة الدلالية) التي تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بنوايا المتكلم ومقاصده، والاعتداد بالظروف المحيطة بإنتاج النص وتلقيه.

ويجتهد هذا البحث في استغلال ما تقدمه اللسانيات التداولية -بعدها آخر مولود للسانيات- من اقتراحات لدراسة النص الأدبي، والظفر بالدلالة الكاملة، الكامنة في النص ذاته، وفي نفس منسجه، وفي نفس متلقيه، وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية إنجازه وأدائه.

و هناك نداءات عدّة بعدم صلاحية مثل هذه المناهج، وعلى رأسها المنهج التداولي، لدراسة النص الأدبي، وأنه أصلح للغة الأفراد وأحاديثهم اليومية والنصوص الإشهارية، وربما المسرحية.. وغيرها، دون النصوص الأدبية.

ولكنّ شفيحاً واحداً على الأقل، قد يجعل هذه النداءات تخفّت أمام مُبتغى هذا البحث، وهو أن لغة النصّ الأدبي عموماً والنصّ الشعري خصوصاً، يبقى فيها شيء من الكلام، وتحمل كثيراً من ذات المتكلم بها، مهما أغرقت في الصفة الفنية، واحتهدت في البروز بالموضوعية والابتعاد عما يصفها بالذاتية، وعما يمكن أن يشير إلى مميزات فردية تتعلق بصاحبها..

وتلك أمارات لا غنى عنها لأن يحيط (السامع) أو (متلقي) النصّ الأدبي، بالمقصود. وهي المناحي ذاتها التي يستغلها هذا البحث في دراسة الديوان المذكور.

ومن الدوافع الذاتية للبحث في هذا الاتجاه، أمران:

الأول: ميولي إلى الدراسة اللغوية عموماً، وممارستها في النصّ الأدبي والنصّ الشعري بشكل خاص، وقد بدأ ذلك في تخرجي بشهادة اللسانس، وفي رسالة الماجستير؛ حيث عكفت في الأولى على دراسة معلقة طرفة بن العبد دراسة نحوية ودلالية، وفي الثانية: دراسة بناء الجملة الطلبية وأغراضها التواصلية في ديوانه كاملاً.

ولقد كانت أول إشارة للجنوح نحو هذا الموضوع، للأستاذة (خولة طالب الإبراهيمي) في مناقشة رسالة الماجستير؛ حيث دعت حينها إلى ضرورة تجاوز دراسة النص الشعري دراسةً فردية إلى دراسته تداولياً؛ وذلك أفضل للإحاطة بالدلالات الكامنة فيه.

ودعت كذلك إلى تجاوز النص الشعري القديم، -على الأقل مؤقتاً- إلى الالتفاف حول دراسة المدونة الشعرية الحديثة والمعاصرة، لأنها غنية بتحديد الدلالة وانتقالها، وتغيرها في معظم الحالات.

كان ذلك الحافز الأول لأنقل بميولي من دراسة نصوص التراث الأدبي، وكنت حينها كمن يسلك بسيارته طريقاً (مضموناً) من حيث سلامة اللغة، وتحري نصوص مرحلة الاحتجاج، مبالغة في الحرص على سلامة النص وسلامة لغته، وصحة نسبته إلى قائله.

لكن التحوّل إلى دراسة الشعر الحديث؛ دراسة تداولية يُفقد سالكه (ضمان الطريق) لما تتميز به النصوص من تحديد في بُناها ودلالاتها، ولتحوّل مفهوم الشعر أساساً؛ فضلاً عن أن الدراسة التداولية لا تعتمد الوسائل اللغوية وحدها، بل إنها تستند إلى منظومة معرفية كاملة من المناهج.

الثاني: أما الحافز الثاني للبحث، فقد كان اطلاعي على كتاب الأستاذ (جيلالي دلاش): مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة الأستاذ محمد يحياتن، في مرحلة التدرج، وكان حينها بريقاً آخذاً، شدّني إلى البحث في هذا المجال من اللسانيات الحديثة.

وأذكر أن من الزملاء من عدّ ذلك مغامرةً مني غير مأمونة، لا سيما وأن اللسانيات التداولية لم يكن لها أي ذكر في المقررات التي قُدمت لنا في سنوات التدرج وما بعده.

لكنني رغبت في التعرف على هذا المجال الحديث من اللسانيات، والذي يعد ناجحاً في معالجة النصوص الأدبية لاستناده إلى منظومة معرفية ثرية، واعتماده على نتائج المناهج السابقة. وأعترف في مقدمة هذا البحث أنني لم أحظ بما تحيط به اللسانيات التداولية، ولم أستطع الوقوف على كل قضاياها كما هو مطلوب من الباحثين، لجملة من الصعوبات التي فصلت في موضع آخر من هذه المقدمة.

لهذين الدافعين وغيرهما، كان عنوان البحث: خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي؛ دراسة في الوظيفة التداولية. ولقد أثر البحث استخدام لفظ (التركيب) لأنه أوسع من (الجملة) في دلالته، وأكثر إحاطة بمختلف أشكال بنية النص الشعري.

أما عن ديوان "بوابات النور" لعبد القادر بن محمد بن القاضي؛ فقد خصّه البحث بهذه الدراسة دون غيره، لأن الشاعر أحد ثلاثة من الشعراء الجزائريين الذين لا يكادون يختلفون شعراً، إلى جانب

(السائحي) و(محمد العيد آل خليفة)؛ لكنه الوحيد الذي لم يُحظ شعره بكثير اهتمام من الدارسين، خلافا لما حظي به شعراً الآخرين.

كان ذلك سبباً موضوعياً للبحث في هذا الديوان. لا سيما وأن شعره - بعد اطلاعي عليه - أقرب إلى الحياة العادية، ويكاد يكون تصويراً لها في بعض المواقف، مما شجعتني على دراسته تداولياً، وذلك الأنسب له.

ولقد حصر البحث الدراسة في (الوظيفة التداولية) تحديداً، محاولةً للوقوف على الوظائف التداولية المختلفة في القصائد، ورغبةً في تجنب البيانات والرسوم الهندسية التي هيمنت على الدراسات اللسانية الحديثة، مما أبعدها عن قيمها الشعرية، وجعلها مبحثاً من مباحث الهندسة الرياضية. ولم يركز على الوظائف التداولية الجزئية في الأبيات، نحو ما فصله أحمد المتوكل في (الوظائف التداولية في اللغة العربية)، وغيره، بل اهتم بالوظيفة التداولية نصياً، من حيث هي وظيفة نصية عامة للتركيب الشعري في القصيدة، وبيان موقعها لدى المتكلم والمخاطب، وفي النص ذاته؛ ذلك أن قصائد الديوان جميعاً تخضع إلى عملية إتصالية افتراضية.

هذا الحصر لمفهوم الوظيفة، يقود إلى ضرورة حصر موضوع (التداولية) لشاعته، لأنها تداوليات في الواقع، تستند إلى الفلسفة والمنطق واللسانيات، ولذلك كان لزاماً حصرها فيما يرتبط بالموضوع، وهو التداولية اللسانية، وتحديد الإبداعية (استخدام عبد السلام المسدي)، أو التركيبية (استخدام جيل سيوفي)، والتي تعكف على دراسة وحدات بنية التركيب، وبيان ما يعترها من خصائص تعكس شروط أدائها وتلقيها؛ من حذف، وإظهار، وتوكيد، وتكرار، وتقلص وتأخير... وبحث ذلك فيما يرتبط بالمتكلم ومقاصده، وبالسامع ومترته من الخطاب.

وكان هذا التوجه سبباً في عدم تخلص البحث من اللجوء إلى الدراسة الإفرادية بين الحين والآخر.

ولقد اعتمد البحث المنهج التاريخي؛ حيث استند إليه في عرض نشأة الدرس التداولي وتطوره، وتتبع عدد من القضايا الجزئية الأخرى في البحث. إلى جانب المنهج الأساس للموضوع، وهو المنهج التداولي الذي يبحث في خصائص تداول المفروض بين المتكلم والسامع.

وتم تناول هذا الموضوع في بابين؛ لكل منهما مدخل يرتبط بقضاياها؛ وكان ذلك سبباً في عدم إيراد مدخل خاص بالبحث عموماً.

- تناول الباب الأول الدرس اللساني التداولي بين القديم والحديث، في مدخل وفصلين؛ حيث عرض المدخل مسار دراسة اللغة من المرحلة البنيوية؛ إلى مرحلة ما بعد البنيوية؛ انتهاءً باللسانيات التداولية وعلاقتها بالفروع اللسانية الأخرى.

أما الفصل الأول فقد كان عرضاً نظرياً خالصاً للسانيات التداولية، كما قدمها اللسانيون

الغريون، ووقف على بعض المرجعيات الفكرية والثقافية للتفكير التداولي نحو: مباحث الفلسفة

اللغوية، والنظريات اللسانية الحديثة. ثم فصل مدونة تعريفات التداولية المختلفة، بنسبة كل تعريف إلى مجاله الدلالي. وبعدها، تابع الفصل مسار تطور التداولية بأقسامها المختلفة، لدى الدارسين الغربيين، ليخلص إلى إجمال قضايا اللسانيات التداولية في مبحث آخر، وحصر منها: أفعال الكلام، الملفوظية، الحجاج، التفاعل والسياق، الوظائف التداولية. ثم بين علاقتها بتخصصات أخرى في اللسانيات، نحو: البنيوية، اللسانيات الاجتماعية، اللسانيات النصية... ليختتم بأهمية التداولية وحاجة الدرس اللغوي إلى مباحثها.

وما كان البحث يُفرد هذا الفصل التعريفي بالتداولية لولا أن المنهج التداولي لا يكاد يتضح في مؤلف مستقل يجمع مفهومه ونشأته ومختلف مراحل تطوره؛ عدا كتابي (دلاش) المذكور سابقاً، و(المقاربة التداولية) لـ: فرانسواز أرمينكو؛ ترجمة سعيد علوش، هذا فيما اطلعت عليه اليد القصيرة للبحث.

ولقد فضل إفراده بفصل مستقل؛ محاولة للتعريف به، وبقضاياها المختلفة، وبالمصادر التي أسهمت في تطوره.

كما أن العناوين العربية في اللسانيات التداولية قليلة جداً؛ عدا ما يرد مبثوثاً في عدة كتب لسانية ونقدية، في ثنايا الفصول والمباحث. وهي لا تزال غريبة - في نظر البحث - عن مقرراتنا الجامعية، والحاجة إليها أكثر من مائة.

أما الفصل الثاني من هذا الباب، فقد جنح إلى شيء من التطبيق، وإن كان نظرياً؛ حيث حاول التأصيل للسانيات التداولية، رغبةً في تقليص الفجوة بين عروض اللسانيات الحديثة، ومباحث الدرس العربي القديم؛ فعرض بعضاً من القضايا التداولية في كل من البلاغة والنحو العربيين؛ ليس لأتهما العلمان الوحيدان المناسبان لهذه المقارنة، (فهناك اهتمامات عربية كثيرة يمكن أن تندرج في هذا الموضوع بجدارة، في: الفلسفة، علم الأصول، علم الكلام، الخطابة، النقد...)، ولكن لأتهما العلمان اللذان يشملان قضايا التداولية اللسانية، والأقرب إلى موضوع البحث (خصائص التركيب اللغوي). ولقد تتبع هذا الفصل خطة الفصل السابق نفسها؛ حيث شرح بعضاً من مصادر التفكير اللغوي التداولي عند العرب ومبادئه، ثم وقف على المجالات المفهومية لمصطلح (تداولية) في الاستعمال العربي، مفضلاً إياه على المصطلحات الأخرى التي تقابل الاستعمال الأجنبي (Pragmatique)، وفصل بعدها عدداً من مباحث البلاغة العربية التي تلتقي مع قضايا اللسانيات التداولية، بحسب ارتباطها بالمتكلم أو المخاطب، أو بالخطاب في ذاته، وكذلك فعل في بعض مباحث النحو العربي.



كما لا أنسى مطلقا جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية لاحتضاني في هذه المرحلة الدراسية، وتحديدًا قسم اللغة العربية والدراسات القرآنية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية؛ حيث وجدتُ كل التسهيلات وكامل الانضباط طيلة فترات التسجيل...

إلى جانب عمال مكتبتها العامرة،... فلهم جميعًا خالص الشكر، وجميل الثناء. هذا، ولأسرتي اعتذراتي البالغة، لأنني وإن كنت قد وُفقت في إنجاز هذا البحث، أقرّ بأن ذلك كان على حساب واجباتي نحوها.

دون أن أُغفل إسداء جزيل الشكر وبالغ الامتنان للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين سيتحشّمون عناء قراءة هذا البحث وتقييم اعوجاجه بتوجيهاتهم السديدة، وآرائهم الوجيهة.

يوم الأربعاء 26 رجب 1426 هـ

الموافق لـ: 31 أوت 2005 م

والحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أما الباب الثاني: فهو تطبيقي، تناول عددا من الخصائص التداولية في تراكيب الديوان، وقوفا على وظائفها المختلفة، وبيانا لموقف المتكلم منها، والمخاطب، كلما أمكن ذلك.

ويتشكل من مدخل وثلاثة فصول؛ تناول المدخل بعضا من المظاهر التداولية في ديوان ابن القاضي، أما الفصل الأول فقد وقف على خصائص التركيب النحوي والبلاغي في الديوان؛ تناول المبحث الأول خصائص التركيب النحوي: من حيث العناية بالمستوى التداولي في التراكيب، والتراكيب بحسب العمليات الذهنية للمتكلم. ثم شرح أنواع القوة الإنجازية ولواحقها في القصائد.

وفي المبحث الثاني خصائص التركيب البلاغي؛ حيث وقف على عدد من القيم التداولية في استعارات الديوان وكنياته وتشبيهاته. أما المحاز المرسل فلم يتناوله لقله وروده في القصائد.

وخصّص الفصل الثاني لدراسة خصائص التراكيب الحجاجية في الديوان، فوقف على عدد من الوجوه الحجاجية، ومظاهر الاستدلال فيها، مع شرح الأبعاد الحجاجية للتراكيب في كل حال.

أما الفصل الثالث: أفعال الكلام؛ فقد اعتمد مقترح (أحمد محمود نحلة) في ذلك، وميز الأفعال الإيقاعية، الطليعية، التعبيرية، الالتزامية والإخبارية. ثم ميّز طرق تركيب الأفعال الكلامية فيما بينها، وأغراضها البلاغية.

واعتمد الموضوع على عدد من المراجع، وهي متعددة بحسب قضاياها؛ ففي التعريف بالتداولية ومسائلها اعتمد كتاب: التداولية؛ تاريخ ونقد لـ: فرانسوا لاترافارس وكتاب: المقاربة التداولية لفرانسواز أرمينكو، وكتب أحمد المتوكل المختلفة في الوظيفية والتداولية في اللغة العربية، وكتب دومينيك مانقونو... وغيرها. ومن المصادر العربية، اعتمد العناوين الشهيرة في البلاغة والنحو العربي، نحو: مفتاح العلوم للسكاكي، الإيضاح للقزويني، والكتاب لسيبويه،... وغيرها. إلى جانب عدد من الدراسات التطبيقية المثبوتة في مجالات مختلفة، ولم أستطع الإمام بعدد كاف منها، مع حاجة البحث الماسة إليها.

ومن الأهداف التي يتوخاها البحث:

- أن تمنح الدراسات النقدية إلى الاتجاه التداولي لما يحمله من إجراءات تكشف عن قيم النص المختلفة، بعدّه موضوعاً للاتصال.
  - أن يُسهم في تأسيس درس تداولي عربي، وليس في التراث العربي -على اختلاف اختصاصاته- ما يُعجز، للقيام بذلك.
  - أن تتجه الدراسات العربية، اللسانية تحديداً، إلى تأسيس حاضرها ومستقبلها باستحضار التراث العربي، استعادةً للتواصل الذي تجتهد في قطعه كثير من الدراسات.
- وللبحث ملاحق فصلت حياة الشاعر، كما أوردتها في ديوانه، لتكون أقرب إلى الواقع، وتلك قيمة تداولية تُمكن الدارس من معرفة الشاعر بقلمه وحديثه عن نفسه. وعرضت فهرس قصائده. وذلك اعتماداً على ما ورد في الديوان، والمكالمات الهاتفية مع الشاعر، ومراسلة بريدية، مما ساعد في التقرب من قضاياها الشعرية.
- هذا، ودُيّل البحث بعدد من الفهارس، نحو: فهرس الآيات الكريمة، الأحاديث الشريفة، الأبيات الشعرية من غير شعر ابن القاضي، فهرس الأعلام، فهرس أهم المصطلحات الواردة، وفهرس الموضوعات.

ولقد واجه البحث عدداً من الصعوبات، لعل أهمها:

- القصور في اللغة الأجنبية، لا سيما الإنجليزية، وفيها عناوين ترتبط بالموضوع؛ مما يدعو إلى ضرورة معالجته، لضمان تواصل أفضل ومباشر مع ما تقدّمه اللسانيات الغربية الحديثة.
- صعوبة الفصل بين الدراسة الإفرادية والدراسة التداولية، بل أجدني أحياناً حبيس الدراسة الإفرادية وحدها.
- ضآلة الإطلاع على مصادر المعرفة الأخرى؛ العربية وغير العربية، لحاجة الموضوع إليها، نحو: الفلسفة، المنطق والاستدلال، علم الكلام، علوم الشريعة...

وختاماً؛ أحمد الله العزيز المُعين، الفتح العليم على ما وفقني إليه، وأشكر للأستاذ المشرف، الأستاذ الدكتور الفاضل عبد الله بوخلخال على رعايته العلمية وأبوته التي يدين لي بها ما حييت ..  
فجازاه الله عني كل خير.

الباب الأوّل  
الدرس اللساني التداولي بين القديم والحديث

جامعة الأميرة  
عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

دراسة اللغة؛ من البنيوية إلى التداولية

I- اللسانيات البنيوية

II- لسانيات ما بعد البنيوية

جامعة الأمير  
القادر للعلوم الإسلامية

عرف مطلع القرن العشرين تحولا هاما في تاريخ الفكر اللساني الحديث، وتحديدًا مع ما قدمه اللساني (فردينان دي سوسير) في محاضراته الشهيرة؛ حيث عُدَّت تأسيسًا لمرحلة جديدة مغايرة لتصورات الدارسين السابقين، وإن كانت قد أفادت من بحوثهم، لا سيما ما قدمه علماء النحو التقليدي العام من قبل، لدى الهنود، اليونان، الرومان والعرب، ودراسات الباحثين في القرون الوسطى، وعصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر ميلادي. تُضاف إلى ذلك بحوث اللسانيات التاريخية والمقارنة التي برزت في القرن التاسع عشر، وبخاصة أعمال (فرائز بوب)، و(النحاة الشبان) فيما بعد.

ولكن محاضرات سوسير عُدَّت اللسانيات درسا جديدا، له مقوماته التي تميزه عن البحوث السابقة، وله مقولاته التي يستند إليها، بعده علماء مستقلا ضمن حقول المعرفة الأخرى، الإنسانية والدقيقة.

ويعتقد هذا المدخل أن تفصيل ما عرضته محاضرات (سوسير)، لا يعدو أن يكون تكرارا لقضايا حفلت بها كتبُ المحدثين ودراساتهم، ولا يكاد يخلو كتاب في اللسانيات الحديثة من تناول محاضرات سوسير بالعرض والتأويل، والنقد والتحليل.

ولذلك فستكتفي الصفحات الموالية بذكر أهم ما قدمته هذه المحاضرات، على سبيل الاستئناس، لتأسيس الدرس التداولي، بعيدا عن التفصيل والاستشهاد.

ويُشار قبل ذلك إلى أن تمييز (سوسير) بين الجانب الاجتماعي في اللغة؛ (اللسان)، والجانب الفردي؛ (الكلام) يُعدّ منطلقا جيدا لتتبع مسار ظهور التداولية فيما بعد البنيوية، كما سنرى في الفصل الموالي، لأنه يتميزه الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي، وحدود كل منهما، يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة، وهي القوانين العامة (النظام) التي يؤدي فيها التواصل؛ فيكون الخطاب ناجحا ما احترمها، ومُخفقا ما خالفها؛ ذلك أن اللغة في جانبها الاجتماعي تحكمها قوانين الظواهر الاجتماعية، جميعا، فلا يبدعها الأفراد، ولا يخالفونها أو يحوِّرونها، كما أنما تظهر بالتدريج، وتتغير أو تختفي بالتدريج.

\* إن تصنيف البحوث العربية في دراسة اللغة ضمن النحو التقليدي العام يحتاج إلى بعض النظر؛ ذلك أن النحو التقليدي يقوم في مفهومه على وضع القواعد التي تضبط اللغة بشكل وصفي بحت، وتفرض تعليمي غالبا، ولكن ما قدمه النحاة العرب واللغويون والبلاغيون، على اختلاف اختصاصاتهم، لا يقل عن كونه نظرة شاملة في دراسة اللغة العربية، وتعرض إلى بعض جوانب ذلك، فيما يرتبط بموضوع البحث في الفصل الثاني بحول الله. هذا، عند من أنصفوها، فصفوها ضمن النحو التقليدي، ولكن من الباحثين من لا يذكر جهود العرب مطلقا، وهو بورخ للفكر اللساني البشري، نحو ما قدمه جورج موران في: تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1972.

ولكن مفهوم الإبداع الجماعي للغة، لا يعني أن تجتمع ثلة من الناس، وتصلحَ على ألفاظها، بقدر ما يعني حضور الضمير الجمعيّ في وضعها؛ حيث تنطلق اعتدادا باستعمالات فردية، لكنها تحتكم إلى قوانين الجماعة ونظام تواضعها، ويأخذ بذلك اللفظ صبغته الاجتماعية وإن أطلقه فرد معين، بدليل أنه لا يلقي الحفاوة والقبول إن خرج عن القوانين العامة التي تحكم لغة الجماعة، ويلقى خلاف ذلك إن لم يسجد عنها.

فإنتاج اللغة -إذاً- ليس فردياً، شأنه شأن التفكير البشري؛ فلو تتبعنا مسار بنائه، لوجدناه ينطلق من الأسس الجماعية، ثم يجنح إلى الفردية وشيوع الأنا، تفكيراً وسلوكاً. وذلك ما يطبع البحث اللساني الحديث، ينطلق من فكرة أن اللغة اجتماعية، وهي كل بنيوي؛ في ظل ظروف علمية ومنهجية تستدعي ذلك، وحصرت مهمة اللسانيات الأساسية في "الكشف عن القوانين الداخلية لهذا النظام، سواء أكانت قوانين ثابتة أم قوانين متطورة"<sup>(1)</sup>. ومع توالي البحوث والدراسات، تجاوزت الاهتمام باجتماعية اللغة إلى دراستها على مستوى الأفراد؛ حيث انتقلت من دراسة (اللسان) إلى دراسة (الكلام)، خلافاً لما رسمه (سوسير)؛ وذلك شطر من اهتمامات اللسانيات التداولية.

وفيما يلي عرض لمسار اللسانيات؛ بدءاً بما قدمه سوسير في محاضراته وتأسيس اللسانيات البنوية، إلى نقدها في ذاتها، إلى مرحلة لسانيات ما بعد البنوية، وبروز الاهتمامات التداولية في دراسة اللغة.

## I- اللسانيات البنوية:

تشمل اللسانيات البنوية عدة تيارات لسانية، انطلقا من سوسير إلى التيارات المختلفة التي تظهر بعده، و"يعدّ كتاب سوسير ذروة جهود واستباقات في دراسة اللغة، تبشر بأول مقترح بنيوي لها، فشهدت العقود الخمسة اللاحقة تقدماً نشيطاً لم يسبق له مثيل"<sup>(2)</sup>. وتقوم الفكرة البنوية على "أن القضية الأساسية عند البنوية هي أن كل اللغة، كل "النصوص": بناء المعنى مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معانٍ خارج البناء الذي يضمها"<sup>(3)</sup>. وينظر إلى النص من خلال

(1) رومان ياكسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء-بيروت)، ط1، 2002، ص 13.

(2) المرجع نفسه، ص 28.

(3) -Art berman : from the new criticism to deconstruction.

نقلا عن: عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، 1998، ص 160.

هذا البناء، بدءاً من الجزء إلى الكل؛ من الفونيمات -مثلاً- إلى الوحدات الأكبر (الكلمات)، ثم الأكبر (الجملة)... وهكذا. كما أنها تلح على الوظيفة الاجتماعية للغة، وتميز بين الظواهر التاريخية لها، والخصائص المميزة للنظام اللغوي في لحظة زمنية معينة.

وينبغي الإشارة إلى أن مثل هذه المبادئ، وأفكاراً أخرى، وردت عند اللغويين في قرون قليلة قريبة من القرن التاسع عشر، لكن جهودهم كانت معزولة، ولم تحظ بالاهتمام. يقول (رومان ياكسون) في ذلك: "تعود أغلب المفاهيم والمبادئ النظرية الرئيسة التي قدمها سوسير إلى معاصرته الأكبر سناً منه، وهما بادون دي كورتني، وكروسزفسكي... و- في المحاضرات- تشديد فعال على التكافل المتبادل بين النظام ومكوناته... وعلى التناقضات التي نواجهها عندما نتعامل مع اللغة"<sup>(1)</sup>.

ذلك أنه استطاع أن يشكل رأياً مسموعاً، وعُدَّ مؤسس اللسانيات البنيوية، وصارت أفكاره في المحاضرات، أساساً نظرية لدى اللسانيين فيما بعد. "وعلى أية حال، ينبغي أن نضيف بأن التحليل الوقائي للأنظمة اللسانية كانت مهمة قد بُلِّغَتْ إلى باحثي المستقبل، وقد كان إعداد أغلب المناهج المناسبة لتحليل كهذا، هو القضية الحيوية للنظرية والممارسة اللسانيتين لبضعة عقود"<sup>(2)</sup>. فما الذي قدمه سوسير في دراسة اللغة؟

## 1- سوسير وعلم اللغة:

قدّم سوسير أوّل تصوّر في دراسة اللغة، حين عدّها نظاماً من الإشارات<sup>(3)</sup>، تعبر عن الأفكار، وبذلك صارت لها أهمية لم تكن تتمتع بها من قبل. وبالمفهوم الجديد للبنية، استطاع أن يوضّح بأن لها مادة تختلف عن مادة العلوم الأخرى، نحو الفلسفة والتاريخ وغيرهما، فهي مادة مستقلة، وموضوع لعلم مستقل. وضمن منهج دراستها، لجأ إلى اشتقاق بعض الثنائيات؛ أهمها: اللسان والكلام، المترامن والتعاقب، الدال والمدلول، الاستبدال والتوزيع...

(1) رومان ياكسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص 28-29.

(2) المرجع نفسه، ص 29.

(3) ينظر: فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة بوليل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلي، دار الكتب للطباعة والنشر، بيت

الموصل، بغداد، العراق، 1988، ص 34.



ومن أهم المبادئ البنيوية التي قدمها<sup>(1)</sup>، وكانت سببا في صياغة المشروع البنيوي، ما يلي:

- اللغة نظام؛ حيث لا يمكن تحليل الظواهر اللغوية بعزلها عن غيرها، فهي أجزاء في نسق أكبر.  
- اللغة ظاهرة اجتماعية؛ وينبغي دراستها وفق هذا المبدأ، دون اللجوء إلى معايير أخرى خارجة مادتها البنيوية (نفسية مثلا)، أو عن طبيعتها الاجتماعية، (التاريخ مثلا). ولذلك فلسانيات سوسير سعت إلى إبعاد المعايير الذهنية، والخارجة عن البنية خلال تحليل الظاهرة اللغوية، من أجل إثبات موضوعيتها.

- التمييز بين "اللسان والكلام"؛ وهو في الواقع تمييز لما هو اجتماعي في اللغة وخاضع إلى نظام عام، عما هو فردي ذاتي، لا تحكمه قواعد مشتركة.

- لا تحمل أية علامة معنى مستقلا بذاتها، ما لم تكن داخل نظام، بل تستمد معناها من النظام ككل؛ ومن الوحدات والعلامات الأخرى المحاورة لها في السياق نفسه، شأنها في ذلك شأن قطعة الشطرنج أو قطعة النقود؛ تخضع قيمتها (وهو مفهوم مستقى من مبادئ الاقتصاد السياسي السائد في عصره) إلى مبدأين:

\* مبدأ المخالفة؛ حيث تتحدد قيمتها بما يمكن أن تُستبدل به (ما تقتنيه مثلا).

\* مبدأ المشاهدة؛ حيث تتحدد ضمن ما يشبهها من قطع أخرى، بمقارنتها فيما بينها.

- الدراسة التعاقبية (التاريخية) للغة، ينبغي أن تُسبق بدراسة تزامنية (آنية)؛ لأن النظام والنسق الثابت يمكن فهمه أكثر من التغيير، فضلا عن أن التغيير ناشئ من ذلك النظام والنسق، مما يفرض على الدارس معرفة حاله أولاً. وهذا المبدأ خلص اللغة من التزعة التاريخية التي هيمنت قبله على دراستها، فصارت قسمين: آنية وتاريخية.

- يتميز وجود اللغة بمحورين؛ الاستبدال؛ وهو المجموعات اللغوية الحاضرة في الذهن، وهي كيانات منفصلة، تمثل القدرة على تبادل الظاهرة اللغوية. والمحور التوزيعي؛ هو العلاقات التي تربط بين وحدات اللغة أثناء التعبير بها.

(1) أفاد هذا البحث من:

- المرجع السابق نفسه.

- ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، ترجمه عن الإنجليزية عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فابند، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي

لترجمة (6)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط2، 2000.

- أحمد مومن: اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.

- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، (إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2002.

- هول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وقائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2003.

- موضوع اللسانيات هو دراسة اللغة ذاتها، يقول في آخر محاضراته: "إن الهدف الحقيقي الوحيد لعلم اللغة هو أن اللغة تُدرّس في حدّ ذاتها ومن أجل ذاتها."<sup>(1)</sup>  
-الكلمة وحدة أساسية لتحليل اللساني، لا الجملة.

ولقد أرجع بعضهم مبدأ الثنائية هذا الذي يحكم محاضراته إلى مصدر آخر غير علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الاقتصاد (وهي المصادر التي أسهمت في تشكيل فكره اللغوي) هو عقيدته الدينية القائلة بثنائية الجسد والروح، ومنها استمد مبدأ الثنائية الذي يعتنقه.<sup>(2)</sup>

وقد يكون متأثرا بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأن لكل شيء في الكون وجهين؛ كلاهما يكمل الآخر، وقد ظهر مثل ذلك في نظرية أرسطو وديكارت<sup>(3)</sup>.

ويُذكر أخيرا أن الفكر البنوي أسهم في تكوينه -إلى جانب سوسير- لاسيما في مناحيه التطبيقية، الشكلانيون الروس الذين كانت اهتماماتهم متجهة نحو دراسة بنية النص الأدبي، وبخاصة الحكايات الشعبية<sup>(4)</sup>. وكان تحليلهم للشكل قريبا من مفهوم البنية. إضافة إلى تطبيقات المنهج ذاته على الأساطير، لدى (ليفي شتراوس)<sup>(5)</sup>.

## 2- حلقة براغ واللغة الأدبية:

تعدّ حلقة براغ أولى المدارس التي تجلّت فيها أفكار سوسير، وأنشطتها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتيارات اللسانية الغربية والروسية المعاصرة<sup>(6)</sup>، وبعض أعضائها من الشكلانيين الروس؛ حيث شملت عددا من الشبان التشيك، وباحثين ألمان، فضلا عن لسانيين شبان من روسيا<sup>(7)</sup>؛ نحو: مكاروفيسكي، إينغرت وفاشيك... وبنفسنست ومارتيني الفرنسيين، وبوهلر الألماني... وغيرهم. وبذل هؤلاء الأعلام جهودا في دراسة اللغة الشعرية، وميزوا بين اللغة القياسية المعيارية،

(1) سوسير: علم اللغة العام، ص 253.

(2) ينظر: محمود أحمد غالي: أئمة النحاة في التاريخ، ص 25.

(3) ينظر: أحمد مومن: اللسانيات، النشأة والتطور، ص 121.

(4) ينظر: بول ريكو: نظرية التأويل، ص 27.

(5) المرجع نفسه، ص 27.

(6) ينظر: رومان ياكسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص 14.

(7) المرجع نفسه، ص 13.

وبين اللغة الاستشراافية، كما تبنا منهج الآنية السوسيري، دون إهمال المنهج التاريخي. إلى جانب دراسة الأصوات في الشعر، ومن آرائهم<sup>(1)</sup>:

- يتكون النظام اللغوي من وسائل تعبيرية، تؤدي وظيفتها تواصلية؛ ومهمة اللساني دراسة الوظيفة الفعلية للغة.

- اللغة حقيقة واقعية فعلية، ويحكم نمطها عوامل خارجية (غير لسانية)، نحو: الوسط الاجتماعي، السياق، طبيعة المتلقي... وعلى اللساني دراستها في ضوء ذلك.

- تشمل اللغة مستوى عاطفيا إلى جانب المستوى الذهني (المفهومي)، وعلى اللساني بحث العلاقة الحاملة لذين المستويين بين أشكال اللغة.

- ينبغي بحث العلاقة بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، لأهما غير متطابقتين.

- للمنهج الآني الأولوية عن التاريخي، لما له من تأثير على واقع اللغة الفعلية.

- بعد اللغة ظاهرة فعلية، والاهتمام ببعض عناصر اللسانيات الخارجية أثناء دراستها، أرسوا بعضا من المبادئ الوظيفية، لاسيما فيما عُرف لديهم بـ "الصوتيات الوظيفية".

- قدموا بحثا موسعا في لغة الشعر والأدب بشكل عام، وشرحوا العلاقة بين المستويات

اللغوية.

ويلخص مجموع هذه الآراء قولُ ياكسون، مستشهدا بحديث هوسيرل: "إنه كان يجب تجاوز الثوابت المنقسمة على قسمين أو المعدّة بإفراط؛ ثوابت التحريكات النسبية والوحيدة الجانب. وقد تميزت لسانيات ما بعد سوسير بالجهود التدريجية لربط هذه الثنائيات الداخلية وتركيبها"<sup>(2)</sup>. وخلال ذلك وجهوا بعض الملاحظات لما قدمته محاضرات سوسير، نحو تبنيهم المنهج الآني في دراسة اللغة، ولكن على أن يكون في ظل نظام وظيفي. وكذلك حرصهم على دراسة الوظيفة الجمالية في النص الأدبي، وبحث الشروط التي تجعل من النص أدبيا.

وفي سياق نقد سوسير، تُذكر مناقشة ياكسون مبدأي الخطية والاعتباطية في العلامة اللسانية؛ حيث يلغي المبدأ الأول قائلا: "لقد نسب فردينان دي سوسير للإشارة اللغوية خاصيتين أساسيتين

(1) ينظر مثلا: ميلكا إفتيش: اتجاهات البحث اللسان، ص 248-249.

(2) رومان ياكسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ص 29.

عرضهما في مبدأين أساسيين فأدى بنا تحليل الفونيم -ولا سيما تحليل مكوناته؛ أي الكيفيات المتميزة- إلى التخلي عن أحد هذين المبدأين؛ أي المبدأ الذي يحدد (الطبيعة الخطية linear للدال) (1). فلم تعد العلامة اللسانية، وبوجه أدق، لم يعد الدال في العلامة يتصف بالخطية، اعتمادا على تحليل الفونيم وبيان صورته. أما الاعتباطية، فلم يُلغها بقدر ما عدّها قائلا: "إن البحث في نظام الفونيمات يتيح لنا أيضا، أن نعيد تقييم المبدأ الآخر؛ (اعتباطية العلامة) (2)؛ حيث يتّضح مفهومها، بناء على أن المدلولات ليست واحدة لدوال مختلفة، خلافا لما يستفاد من حديث سوسير عن ذلك "فالمدلول (ثور) له الدال B-O-e-u-F على طرف من الحدود الفرنسية -الألمانية، و o-k-s (ochs) على الطرف الآخر." (3). وتعدد دال "ثور" -في نظر ياكسون- لا يعني أن المدلول واحد بين اللغتين، بل إن سوسير -يضيف ياكسون- ذاته يدافع عن قيمة العلامة، ويجعلها نسبية ومتغيرة، لا ثابتة. إضافة إلى رأي بنفست القائل بأن الارتباط بين الدال والمدلول في العلامة ليس اعتباطا، إنما هو ضروري (4).

وفي نهاية عرض الحديث عن حلقة براغ، يُذكر ما وُجّه إلى ياكسون من نقد من طرف الوظيفيين، فيما يتعلق بمخطط التواصل الذي بين فيه وظائف اللغة؛ إذ يوحي بأن التواصل في لحظة معينة هو شيء ثابت، لكنه في نظرهم خلاف ذلك. وتحدثوا عن (حركية التواصل)، حين تجاوزوا الاهتمام بالكلمات إلى الاهتمام بالجمل في التحليل، لأنها فعل لغوي، وموقف إزاء واقع معين. ويمكن إدراكها بدراسة العلاقة بين المتكلم والسامع (5).

### 3- الجلسيماتية أو السوسيرية الحديثة (6):

هي اتجاه لساني برز في (كوبنهاجن)، تمثله أعمال (هيلمسليف) وزميله (بروندال)، الذي يعتمد إجراءات المنطق الرمزي في تفسير المادة اللغوية؛ حيث اجتهد الاثنان في دراسة علمية للغة

(1) رومان ياكسون: 6 محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صاخر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1994، ص 144.

(2) المرجع نفسه، ص 144.

(3) سوسير: علم اللغة العام، ص 87.

(4) رومان ياكسون: 6 محاضرات في الصوت والمعنى، ص 145.

(5) ينظر: مصطفي غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم (4)، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1998، ص 253.

(6) الجلسيماتية أو السوسيرية أو الرياضيات اللغوية.... أفاد هذا البحث من:

-أحمد مومن: اللسانيات، النشأة والتطور، ص 157 وما يليها.

-ميلكا إفتيش: اتجاهات البحث اللساني، ص 317 وما يليها.

-Georges Mounin : Dictionnaire de la linguistique, quadrige, PUF, édi. 1974, France, P 155.

-Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris, 1988, France, P 234.

-Oswald Ducrot et Jean Marie schaeffer : Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, seuil, 1<sup>er</sup> édi. 1972, France, P 42.

وجميع علوم الإنسان بعدها أنظمة، تائرئين على الأساليب القديمة لدراسة اللغة، بمصطلحات جديدة علمية بعيدة عن الفلسفة، متميزة بالتجريد.

والتسمية (glossématique) خاصة بهيلمسليف في الواقع؛ حيث عرض فيها تصور الشحصي لدراسة اللغة، وهو وصف البنية الشكلية للغات. وهي ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية، والتعريفات والنظريات المحكمة التي تُمكن من إحصاء كل إمكانات التأليف بين عناصر الذات الثابتة. ولقد ألح كثيرا على أن بحوثه في هذا الموضوع تنتمي إلى بحوث سوسير، ولذلك سماها بعضهم (السوسيرية الحديثة). وأهم ما قدمه أن اللغة مضمون وتعبير؛ ويتصل المضمون بالتعبير اتصالا وثيقا خلال التواصل دون التطابق التام بينهما. واللغة أيضا نظام من القيم، وهي شكل وليست مادة، على ما ذكر سوسير، ومادة اللغة ليس لها معنى في ذاتها.

ولكن جديده ضمن هذه المفاهيم، يتمثل في فكرة التعبير والمحتوى إلى جانب الشكل والمادة؛ ويشمل التعبير كل الوسائل التي يتم بها نقل المعلومات من المحتوى وتحويلها إلى مصطلحات لغوية. أما المحتوى فهو الواقع الحي نفسه الذي هو موضوع التواصل.

وينبغي التمييز بين جانبي المحتوى (المادة والشكل)، وجانبي التعبير (المادة والشكل) أثناء التواصل، وتظهر مهمة الجلوسيماتيكية - في نظره - في دراسة علاقة شكل التعبير بشكل المحتوى، ووصفهما. ولذلك عدّها الدارسون اتجاهها يهتم بوصف البنية الشكلية للغات.

#### 4- الوصفية الأمريكية والتحليل المادي للغة<sup>(1)</sup>:

تشارك اللسانيات الأمريكية مع اللسانيات الأوربية في هيمنة الدراسة الوصفية (الآنية) على اللغة، ولكنهما تختلفان في الدوافع، وموضوع الدراسة، والمنهج. ولقد برزت في أمريكا أعمال ثلاثة أعلام مثّلوا الوصفية الأمريكية، وهم: (فرائز بواس)، (إدوارد سابير)، (ليونارد بلومفيلد). أما (بواس) فقد اعتمد في دراسته على اللغة المنطوقة، وتحديدًا على الكلام، خلافاً للسانيات (سوسير) في أوروبا؛ لأن مادة الدرس لديهم كانت لغات غير مكتوبة، وهي مجموع اللغات المتناثرة في أمريكا، مما يفرض وجود خصائص كل لغة على حدة.

(1) أفاد هذا البحث من:

-عمود غالي: أمة النحاة في التاريخ.  
- أحمد مومن: اللسانيات، النشأة والتطور.  
- مهلكا إفتش: اتجاهات البحث اللسان.

واهتم (سابير) كثيرا بدراسة الأنماط اللغوية دراسة تحليلية، دون تصورات مسبقة، أو اعتداداً بأنماط من لغات أخرى. وإن كان واحداً من السلوكيين، فهو يتميز عنهم بخرصه على دراسة الأنماط اللغوية حسب وجودها في عقول المتكلمين. ومن آرائه أن كل إنسان يحمل داخله المخططات الأساسية التي تنظم لغته؛ وهي نماذج اللغة المكتسبة.

أما (بلومفيلد)، فيمثل المدرسة الوصفية الأمريكية من خلال كتابه المنشور في 1933 (اللغة)، وفيه أعلن تمسكه بالمبادئ السلوكية في دراسة اللغة دراسة علمية. وقد جعل اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي، متأثراً بما قدمه (واسطون)، رافضاً في ذلك كل المعايير الذهنية في التحليل، ومفسراً الظواهر اللغوية وفق مبدأ (مثير / استجابة)، وهو المنهج المادي، الأولي والأسلم في نظره لتفسير السلوك البشري؛ وهو لا يختلف عن تحليل سلوك الحيوانات في المخبر... مُغفلاً الملكة الإبداعية التي تميز الإنسان عن الحيوان، والتي يمثلها العقل. والحقيقة أن هذه النظرة - إذا كانت قد أبعدت جانبا مهما من اللغة خلال التحليل، وهو المعنى، وجعلت دراستها تقتصر على تحديد المواقع المختلفة التي يحتلها عنصر ما في النظام، مما أسهم في تأسيس المنهج التوزيعي من طرفه، وطوره الذين جاؤوا من بعده - فإنها وليدة سببين، في نظر الدارسين:

-الأول:

إن الاهتمام بشيء من المعنى خلال تحليل اللغة، قد يسمح المجال لدخول المعايير الذاتية، في نظر بلومفيلد، والأفضل الإبقاء على إبعاده لتأسيس منهج لساني جاد، يقوم على الدقة والعلمية، أكثر مما قام عليه النحو العام في أوروبا قبل (سوسير).

-الثاني:

يعد بلومفيلد أحد أنصار الفلسفة الوضعية السائدة في عصره، والتي كان اهتمامها منصبا على دراسة الظواهر المادية اليقينية، ولا تؤمن إلا بالمرئي التجريبي، وهو وحده الذي يمكن أن يتصف بالعلمية.

وقد مثل هذا الاتجاه في اللغة، مختلفاً عن (ديكارت وهوبلوت) من قبله، وعن (تشومسكي) فيما بعد. وجعل هو وأتباعه تحليل اللغة مقتصرًا على جانبها البنيوي؛ حيث تُوصف الفونيمات ثم المورفيمات، وتُشرح كيفية بنائها وانتظامها في المفردات والجمل، مع إبقاء الجوانب الدلالية ودراسة المعنى أضعف نقطة في التحليل.

ولم يتجاوز هذا التحليل إلا ببعض أفكار (هاريس) المعدلة له، والتي مثلها بشكل كبير (تشومسكي) فيما بعد، في نهاية الخمسينيات، بعدما وفد لسانيون آخرون إلى أمريكا، نحو: رومان ياكسون،

وأندري مارتيني، وبوهلر، وغيرهم. مما فتح آفاقا واسعة أمام اللسانيات الأمريكية، عرفت فيها وجهة جديدة أكثر اهتماما بكل محتويات اللغة، انطلاقا من جامعة (هارفارد)، التي تعد بحوث بعض باحثيها مؤسسةً لللسانيات التداولية فيما بعد.

وفي ختام هذا المبحث في اللسانيات البنيوية، يُسجّل أن ما ورد فيه - باقتضاب - اقتصر على الاتجاهات الكبرى التي برزت أعمالها اللغوية، وهيمنت على الدرس اللغوي بأفكارها ونماذجها. والواقع أن البنيوية ذاتها أخذت أشكالا عدة بعد سوسير<sup>(1)</sup>؛ ارتبط كل شكل باتجاه أو باحث معين؛ فارتبطت البنيوية التكوينية بـ (لوسيان قولدمان)، والأنتروبولوجية بـ (ليفني شتراوس)، والتشكيلية بأعمال حلقة براغ وباحثي (تشيكوسلوفاكيا) فيما بعد، والفلسفية بـ (بول ريكور)... وغيرها. مما يجعلها غير مقتصرة على اللغة والأدب وحدهما، وإنما تمتد إلى كل العلوم الاجتماعية، بما في ذلك اللغة والأنتروبولوجيا<sup>(2)</sup>.

ولتمسكها بالعناصر الداخلية في النص الأدبي، تجاوزتها المناهج فيما بعد، ووجهت إليها انتقادات عدة، حتى من روادها أنفسهم، نحو (رولان بارت)، و(جوناثان كللر)... وغيرها. ومن ذلك أنها:

- تنظر إلى النص والجملة بعدهما بنيتين ثابتتين، خلافا للنظرة الوظيفية؛ فجملة مثل (حضر زيد مبتسما) تختلف حركة دلالتها بحسب أحوال عدة: التقدم والتأخير، حذف، إضافة بعض أدوات التقوية... فهي بنية متجددة بحسب ما يريده المتكلم أو السامع أو ظروف الحديث<sup>(3)</sup>.

- جعلت دراسة النص الأدبي داخلية مغلقة، مما لم يسمح بتحليل قضايا عديدة بقيت عالقة<sup>(4)</sup>؛ فجملة مثل (فلان كثير الرماد)، أو مثل (هل عندك ساعة؟) - تسأل عن الوقت - تلقى بعض الحرج في التحليل البنيوي... وهو الحرج الذي تعالجه اللسانيات التداولية فيما بعد.

- تنكفي بالنظر في العلاقات الداخلية بين العلامات في النص، مما حوّلها إلى تدريب لغوي<sup>(5)</sup>، لا يتجاوز وصف هذه العلاقات إلى مساءلتها، ونحث أسباب اتلافها.

(1) إرود إيش وآخرون: نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة وتقديم محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص 21 وما يليها.

(2) ينظر: Robert scholes : structuralism in littérature, P 82

نقلا عن: عبد العزيز حمودة: المرايا المهدبة، ص 202.

(3) ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 253.

(4) ينظر: الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص 29.

(5) ينظر: عبد العزيز حمودة: المرايا المهدبة، ص 207.



لم تستطع إثارة النص الأدبي، وبحث مقولاته، ويرجع ذلك في نظر الدارسين إلى سببين<sup>(1)</sup>:  
\*انشغالها بآليات الدلالة ونظامها عن ماهيتها.

\*انحسارها في اللغة، لأن النموذج اللغوي ليس بالضرورة موافقا للأنظمة غير اللغوية.  
-تمثل قطيعة بين البنية النحوية، وبين استعمالها في الواقع أو في النص الأدبي، ولا تهتم بالعلاقة بينهما. وهي المهمة التي ستضطلع بها التداولية، وتسمح بملاحظتها<sup>(2)</sup>.

## II - لسانيات ما بعد البنيوية:

قبل الحديث عن تطور اللسانيات من الاتجاهات البنيوية إلى ما بعدها، ينبغي الإشارة إلى أن المتابع لدراسة اللغة عموما، يجدها ناشئة غالبا في الحقل الفلسفي أو الحقل الديني، على اختلاف توجهاته ومشاربه، وتلك كانت ميزة الدرس اللغوي قبل سوسير؛ حيث نشأت البحوث اللغوية ضمن القضايا الفلسفية أو الدينية. ولم تكن اللغة حينها معزول عن الفلسفة، ولكن اجتهاد سوسير في محاضراته وإلحاحه على المادة المستقلة للغة عن الفلسفة بغية تأسيس علم مستقل يدرسها (اللسانيات)، جعل البحث اللغوي عموما يتعد عن الحقل الفلسفي، ليخلص إلى بناء وتراكيبه، وخصائصه.

وبعد مسيرة الاتجاهات البنيوية المختلفة، وربما خلالها، تعود اللسانيات في منتصف القرن العشرين لتستند إلى الدرس الفلسفي ومقولاته، وصار للفلسفة الحديثة أكثر من اتصال باللغة، مما جعلها أحد المصادر الهامة لتطورات اللسانيات الحديثة. وسنلمس ذلك بوضوح خلال تتبع مسار نشأة اللسانيات التداولية.

والواقع أن فلسفة اللغة حديثا ميزت بين لغتين؛ لغة عادية، وهي اللغة الطبيعية الجارية كما يتكلمها رجل الشارع. ولغة مثالية صناعية، تشتمل على كل الشروط المنطقية والنحوية. وقد اختلف الفلاسفة حديثا من داع إلى دراسة اللغة الأولى، إلى داع إلى دراسة الثانية.

وتذكر في هذا السياق بحوث (روسل) و(فيتغنشتاين) في اللغة المثالية، ثم سرعان ما تراجعوا ليقدموا بحوثا في اللغة العادية<sup>(3)</sup>. ويرى (فيتغنشتاين) أن اللغة لعبة كسائر اللعب، مستندا في ذلك إلى تشبيه سوسير اللغة بلعبة الشطرنج، ومخالفا له في بعض متعلقات اللعب. والكلمات لا تحمل معنى

(1) ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 9-10.

(2) ينظر: Dominique Maingueneau : l'analyse du discours, introduction au lectures de l'archive, Hachette supérieur, paris, France, 1991, P 170.

(3) ينظر: عمود فهمي، زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص 29 وما يليها.



واحدًا، ولا تخضع إلى استخدام واحد، هي تمامًا مثل أدوات صندوق النجار؛ حيث تستخدم كل أداة في وظائف متعددة، وليس لكل منها وظيفة محددة لديه<sup>(1)</sup>.

وقد انتقد تشوسكي، كما سنرى فيما بعد، فيتغنشتاين في اعتداده باللغة العادية كما هي جارية في الشارع، دون وضع أسس وضوابط للتراكيب اللغوية المستخدمة. ونلخص اتجاهات فلسفة اللغة عموماً في<sup>(2)</sup>:

- إيضاح القواعد النحوية وأصول اللغات الطبيعية، أو ما يعرف بـ(الفلسفة التحليلية) وتمثلها أعمال فريج، هوسرل، روسل، فيتغنشتاين،...
- دراسة أفعال الكلام، نحو أعمال: أوستين، سورل.
- التحليل المنطقي للغة واستبعاد الميتافيزياء، أو ما يعرف بـ(الوضعية المنطقية)، وتمثلها أعمال (رودولف كارناب).
- البنيوية الفلسفية التي تنطلق من البنيوية اللسانية، ولكنها تضيف إليها الاهتمام بالواقع. وهو اهتمام فلسفي لا لساني.
- التيار التأويلي الذي يوسع المدلول إلى أبعد الحدود، نحو أعمال: ديتلي، كيمو، هيدغر، غادامير،...

ومن أهم تأثيرات بحوثها في الدرس اللساني السوسيري أن العلاقة بين الدال والمدلول التي شرحها سوسير، وأوضح أنها اعتبارية، أصبحت علاقة بين الدال وبين بعض تأثيرات بيانه. وقيمة العلامة تصبح قيمة جدالية على الأقل، لا قيمة مستقلة ثابتة، نحو مثال سوسير في تشبيه اللغة بلعبة الشطرنج، فالبيدق - وإن كان لا يحمل قيمته في ذاته - فإن قيمته لا تتحدد، وخطورته لا تبدو، إلا من خلال حركته. وكذلك تتصف قيم العلامات بالجدالية<sup>(3)</sup>.

وفيما يلي عرض لأهم التيارات اللسانية لما بعد البنيوية، والتي اعتمدت المعطيات اللسانية السوسيرية، واستندت إلى مقولات الفلسفة اللغوية.

(1) المرجع السابق نفسه، ص 55-56.

(2) ينظر: بول ريكور: فلسفة اللفظ (مقال)، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع8، حريف 1989، ص 15 وما يليها.

(3) جون.ر. سورل: من سوسير إلى فلسفة اللفظ (مقال)، إشراف ومراجعة مطاع الصلبي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع13 و14، ربيع 1991،

مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 76، 77.

## 1- التوليدية التحويلية وعقلانية دراسة اللغة<sup>(1)</sup>:

كثيرا ما يُصنّف تشومسكي بنظريته التوليدية التحويلية ضمن التيارات البنيوية، لأن منهجه يقوم على دراسة النماذج والأشكال في بنية اللغة. ولكن هذا المبحث آثر أن يجعله ضمن لسانيات ما بعد البنيوية، لسببين:

الأول: إن ما قدمه تشومسكي في نظريته يعدّ نقطة تحول بارزة في الفكر اللساني الأمريكي، والحديث عموما، يتجاوزته كثيرا مما وضعه البنيويون قبله في دراسة اللغة، كما سئرى فيما بعد، فضلا عن أنه وجّه انتقادات إلى البنيوية ذاتها، كونها تهتمّ بالتحليل الشكلي للغة، دون الالتفات إلى المعنى أو إلى القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوينه الجمل، وهو ما يوصف بالكفاءة اللغوية. ولم تلق البنيوية الحسّونة بعد مسيرتها الطويلة، لأنها اكتفت بدراسة البنى السطحية دون العميقة وقوانينها. ولذلك انبرت التحويلية إلى استنباط القواعد العامة التي تحكم البنية، ولم تكف بوصفها وتحليلها.

الثاني: لم تكن دراسته للغة تعتمد على بيان جوانب اللغة ذاتها فحسب، وإنما يصنفها الدارسون ضمن إسهامات اللغويين أنفسهم في فلسفة اللغة؛ حيث يبحث في طبيعة اللغة، كيف يتعلمها الطفل، كيف تتطور القدرة اللغوية...؟ كما قدم تفسيراً لعلاقة اللغة بالمعرفة الإنسانية وتصورتها<sup>(2)</sup>، إلى جانب أنه - مع سائر التحويليين الذين اتبعوه - يلتقي مع فلاسفة اللغة، لا سيما فيتغنشتاين - كما سئرى في الفصل الموالي - "في ضرورة الاهتمام باللغات الطبيعية أو اللغة العادية، وطبيعتها ووظائفها، وضرورتها لإدراك ما حولنا من أشياء ومعرفتنا للعالم."<sup>(3)</sup>

ويختلف تشومسكي عن سابقيه من البنيويين الأمريكيين، في أنه محسوب على التيار العقلاني في دراسة اللغة، حينما أعلن ذلك بشكل صريح، وتلك هي نقطة التحول البارزة في اللسانيات الأمريكية؛ حيث يعدّ اللسانيون الذين قبله المادة اللسانية هي موضوع الدرس فتناولوها بالوصف والتحليل، أما عنده فهي وسيلة لا غاية في ذاتها - لأنه منطقي عقلائي، وهم وصافون تجريبيون - لمعرفة العقل البشري وأشكال التفكير الإنساني.

(1) أفاد هذا المبحث من:

- محمد محمود غالي: أئمة النحاة في التاريخ.

- محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة.

- ميلكا إيفينش: اتجاهات البحث اللساني.

- Jean dubois : dictionnaire de linguistique.

- Georges mounin : dictionnaire de la linguistique.

(2) ينظر: محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، ص 141 وما يليها.

(3) المرجع نفسه، ص 146.

و جهوده تتمّة لما بدأه أستاذه (زليج هاريس) في النحو، الذي أدخل تحسينات على نموذج التحليل التوزيعي الذي قدمه (هوكات) قبله، ومهد الطريق لظهور النحو التحويلي التوليدي، حين تبني مبدأ أن الدراسة العلمية للغة لا تتلخص في تحديد مواقع العناصر وحسب، كما عند التوزيعيين الأوائل، بل تقوم على السياقات الخطية، حيث يصبح توزيع عنصر ما هو مجموع السياقات التي يظهر فيها، ومن خلالها يتميز عن عنصر آخر، وهنا يظهر مصطلح "التحويل"، ويرز مع تشومسكي، حين يتجاوز النظر في المعطيات السلوكية إلى الاهتمام بالقدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، وتفسيرها. والاهتمام بالمتكلم أيضا، لأنه هو الذي يمنح الملفوظ الدلالة التي يريد، فلا ينبغي إغفال دوره في عملية التحليل اللغوي.

و اللغة في نظره إبداع، وليست قوانين ثابتة، وبنى جامدة كما عرضها الاتجاه السابق؛ فهي تصنيف لعدد لا متناه من الجمل، انطلاقا من عدد متناه من الكلمات. ومثال ذلك، الطفل الذي يستطيع تكوين عدد لا محدود من الجمل، بفضل عدد محدود من الجمل المسموعة، ويرجع سبب ذلك إلى الاستعداد الفطري والكفاءة اللغوية. فحصر أكثر على الاهتمام بالجوانب الباطنية الذاتية التي أغفلها التوزيعيون.

ومن أهم المفاهيم التي يعرضها في نظريته:

- ينبغي الربط بين النحو والمعنى، خلافا للاتجاهات التي تفصل بينهما.
- يعتمد في دراسته للغة على شطر من الموروث التوزيعي، وعلى المفاهيم المنطقية الرياضية في النحو، واستعمل الرموز توخيا للدقة.
- يميز بين الكفاءة والأداء، فالكفاءة هي المعرفة الضمنية التي يملكها مستخدم اللغة، وتستخدم بالفطرة، أما الأداء فهو تحقيق هذه الملكة وإجازها.
- يبني على هذا المفهوم السابق نوعان للبنية في نظره؛ البنية العميقة، وهو أصل الجملة الذي يحمل دلالة المتكلم. والبنية السطحية، وهي ما يظهر أثناء التعبير، وتكتنفها الإضافة والحذف والتقديم والتأخير. ويقوم السامع بتحويلات عدة للوصول إلى قصد المتكلم الذي تحمله البنية العميقة. ومهمة اللساني هي كشف هذه التحويلات، ومدى قدرة كل من المتكلم والسامع على ممارستها.
- يرى أن للغات جميعا خواص مشتركة؛ كأن تحتوي على جمل نموذجية تتفرع عنها جمل أخرى يشترط فيها السلامة النحوية والاستحسان؛ أي أنها تستوفي قواعد اللغة من ناحية،

ومن ناحية ثانية تتماشى مع المدلولات المستخدمة، وهنا تكمن إبداعية اللغة؛ موضوع النحو التوليدي.

وخلاصة الحديث عن هذه المدرسة أنها لم تسلم من الانتقادات هي الأخرى؛ حيث تعاملت في نموذجها التحليلي للغة مع لغة مثالية، وأبنية مثالية، في مواقف مثالية؛ وهو النقد الذي ستوجهه الاتجاهات الوظيفية، والاجتماعية في دراسة اللغة، كما سنرى فيما بعد.

## 2- اللسانيات الوظيفية والأبعاد التداولية للغة:

تعود اللسانيات الوظيفية إلى حملة بحوث وأعمال لسانية لم تستقر في فترة معينة، ولا عند دارس معين؛ حيث يستطيع البحث أن يرصد بداياتها من أعمال البراغيين، حين ميزوا بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي الذي يقوم على مفهوم الفونيم. وقد وُصفت أعمالهم بأنها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة؛ لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل، بعدّه وظيفة أساسية في النشاط اللغوي عند الإنسان، وقدم في ذلك ياكبسون مخطط التواصل المعروف بوظائفه الست، والذي تعرض إلى انتقادات في الستينيات من طرف بعض اللسانيين، نحو: دانيش، وسبوفودا، وفيرباس وسكال... الذين يرون أن التواصل حركة وليس ثباتا، كما يوحي بذلك مخططة<sup>(1)</sup>

كما تستند الدراسات الوظيفية أيضا إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن، وهي متأثرة بأعمال براغ؛ حيث تعد اللغة ظاهرة بشرية متكاملة، وإن دراستها في مستوياتها الجزئية الصوتية والصرفية النحوية والدلالية تفقدها طابعها التواصلية الذي يميزها. فضلا عن أن مثل هذه الدراسة لا يقدمها في صورتها المتكاملة، لذا فقد دعت إلى عدم إغفال أبعادها الثقافية والاجتماعية والنفسية، وطورت في هذا المجال مفهوم "سياق الخال" الذي يدرس اللغة في سياقها المادي والمعنوي، لأنها ظاهرة سيميائية واجتماعية، وينبغي تفسيرها انطلاقا من هذه المبادئ، اعتمادا على ما قدمه سوسير، وهيلمسليف، ماتيزيوس ورفاقه، مالنوفسكي، فيرث،... هذا دون إغفال إسهام بحوث مارتيني، لا سيما في (نظرة وظيفية للغة/1962)؛ حيث اعتمد مبادئ سوسير في التقطيع المزدوج للغة، وكثيرا من آراء البراغيين في مجال الصوتيات الوظيفية، وقدم وصفا وظيفيا عاما للغة. وغاية الدراسة اللغوية في نظر الوظيفيين هي تحديد المبادئ العامة المرتبطة باستعمال اللغة.

ومن ثمرات الدراسات الوظيفية في السبعينيات النحو الوظيفي، الذي يُعدّ من أشكالها العامة، ويهتم بوظيفة اللغة الأساسية (التواصل). وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية

(1) ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 253.

لدى المتكلم والسامع، مما جعل بعضهم يعده نظرية في التركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية، وتُقدّم في هذا المجال بحوث سيمون ديث وأحمد المتوكل<sup>(1)</sup>.

وبنية الجملة في نظر الوظيفيين هي مجموع وظيفتين<sup>(2)</sup>:

- وظيفة المحور: ويمثلها الخبر المعلوم لدى السامع في مقام ما، وتبتدئ الجملة عامة بما هو مشترك بينه وبين المتكلم؛ إلا إذا كان المقام يتطلب اهتماما بالجديد المجهول؛ حسب طبيعة التواصل.
- وظيفة التعليق: يمثلها الجزء الحامل للمعلومة الجديدة، وكلما ارتبط بعناصر أخرى تدعم نموه، كلما اتسم بالحركة والنماء..

ومما تناوله الدراسة الوظيفية للجملة، الاهتمام بدراسة الوحدات اللغوية داخل الخطاب، إلى جانب دراسة المحتوى غير اللغوي، الاعتداد بالسياق اللغوي وموقف المتكلم من الخطاب ذاته ومن السامع.

### 3- اللسانيات النصّية وتحليل الخطاب:

تهتم اللسانيات النصّية بدراسة أبنية النص المختلفة، ضمن تأثيرات وظائفها؛ حيث تكشف عن الخصائص المشتركة بين الأشكال اللغوية وبين أوجه اتصالها<sup>(3)</sup>.

ومن أهم المفاهيم التي تستند إليها أن الخطاب هو كل كلام يتجاوز الجملة الواحدة سواء أكان مكتوباً أم ملفوظاً<sup>(4)</sup>. وتختل أثناء التحليل اللغوي بالدلالات غير الملفوظة، وهي مدركة لدى السامع والمتكلم أثناء الحديث، دون علامة معلنة واضحة<sup>(5)</sup>، نحو: ألا تسلّم على الضيف؟ دعوة إلى التسليم، وليست سؤالاً. واحتهدت كثيراً في أن تُنسب إلى النص خاصية الفعل الكلامي، وهي وصف الشروط التي ينجز في النص؛ بعدّه إنجازاً لغوياً.

ومن مصادرها مبادئ (جرايس) للمحادثة، ونظرية أفعال الكلام، والسيميائية... وغيرها؛ فهي وريث لكثير من المقترحات، نحو: البنيوية، الشعرية، الوظيفية، دراسات المعنى...؛ حيث أمكنها تجاوز

<sup>(1)</sup> يذكر في هذا المجال أعمال سيمون ديث في النحو الوظيفي، نحو: functional grammar

واعتاد محمد الشوكي عدداً منها في تأسيس النحو الوظيفي العربي الحديث، لا سيما في أعماله: الوظيفة بين الكلية والسمطية، والوظائف التداولية في اللغة العربية. ولقد أفاد هذا البحث أيضاً كثيراً من مصاهب الوظيفة والوظيفية في:

Georges mounin : dictionnaire de la linguistique, p142-144.

J. dubois et autres : dictionnaire de linguistique, 219-219.

<sup>(2)</sup> ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص253.

<sup>(3)</sup> ينظر: فان ديث: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية،

ط1، 2001، ص10-12.

<sup>(4)</sup> ميحان الرويلي وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسون تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي،

ط2، 2002، ص89.

<sup>(5)</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص89.

الحدود والانغلاق الشكلسي. وورثت من السميوطيقا مفهوم الأدبية عموما؛ فيما قدمه هودين (1966)، وكريستيفا (1969)، وبارت (1971)، حينات (1979)، وحكاية باريس وحديتها المجتمعة حول قر يماص.

ومن السيميائية أعمال (حرايس) و(بورال). ومن البلاغة كل مقولاتها البلاغية القديمة والحديثة. هذا، وينبغي التنويه بمكتسبات أخرى، نحو: أبحاث اللسانيات الاجتماعية (أعمال لابوف) في التعبير الشفوي، و(قوفمان) في طقوس المحادثة العادية،... واللسانيات النفسية<sup>(1)</sup>.

وهي محسوبة أيضا على الاتجاه الاتصالي والوظيفي في اللغة، وأحد مجالات الاتجاه التداولي العام في دراسة اللغة، إلى جانب اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية.

وتدعو إلى تجاوز الاعتداد بالجملة على أنها الوحدة الأساسية في علم اللغة، وتوسيع مجال القواعد؛ حيث إن الحمل في ذاتها بحاجة إلى عناصر من خارجها للإيضاح والإبلاغ. وتصبح حينها النصوص هي الوحدات الأساسية للتحليل، بوصفها الموضوع الحقيقي والكامل للاتصال اللغوي<sup>(2)</sup>. وليس الكلام إلا نصوصا (أو لغة ذات قيمة نصية) تبتدى أثناء الاتصال. ومن أهم ما تتجه إليه منذ نشأة نماذجها في مطلع السبعينيات تحديد كيفية عمل النصوص في سياق الحياة العملية.

أما في حقل النقد اللساني، فقد استوت اللسانيات النصية بعدّها آخر المناهج، وأكثرها استيعابا للمقولات السابقة، وجعلت مفهوم النص يشمل العناصر الداخلة في تشكيله والمرتبطة بالشروط الخارجية المحيطة به، ويتجاوز في مفهومه كل الأجناس والتصنيفات، وهو مثل اللغة تماما يقوم على اختلاف الدلالة، وتأجيل المعنى، مما يجعله مفتوحا على المشاركة لا الاستهلاك<sup>(3)</sup>.

#### 4- اللسانيات التداولية:

يعدّ هذا الاتجاه امتدادا لما أرساه (بيرس) في القرن التاسع عشر، حين صاغه بـ pragmaticism عام 1905، ثم عدّل مفاهيمه (وليم جيمس). وقوامه أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع وصياغتها عمليا. ثم سرعان ما صارت هذه السّمة مميزة للثقافة

(1) ينظر: Jean Michel Adem : Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, 2<sup>ème</sup> édition, mardaga, liège, 1990, p09.

(2) ينظر: فولفجانج هـ.م.د. فيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه ومهد له سعيد حسن بحري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2004، ص15-18.

(3) ينظر: صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، إشراف محمود مكي علي، ط1، 1996،

الأمريكية الحديثة بشكل عام<sup>(1)</sup>، وهي تسمح بالنظر إلى عالم يموج بالحياة والنشاط، بعيدا عن العالم المصطنع الذي يتخيله الفيلسوف المثالي.

ولئن كانت لا تعترف إلا بمادية الفعل وواقعيته، فالثقافة العربية تؤيد ذلك، لكنها لا تعزو كل شيء إلى انطباقه عمليا، مما يعكس الجانب الروحي للثقافة العربية وما يرتبط بها. ولفهم حقيقة اللغة، يدعو هذا الاتجاه إلى الاهتمام بما أهملته اللسانيات في الجانب الاتصالي، لا سيما دراسة علاقة اللغة بمستخدميها؛ حيث لا يمكن أن تبقى محصورة في علمي النحو والمعاني، والإلمام بكل العناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ. وستُفصّل قضايا هذا الاتجاه أكثر في الفصل الموالي بحول الله.

وخلاصة هذا المدخل الذي تتبّع بإيجاز كبير مسار اللسانيات منذ نشأتها إلى ظهور الدرس التداولي، أن دراسة اللغة شهدت تطورا في ظل المناهج المختلفة؛ حيث انتقلت من علم اللغة الذي يكاد يُسَخِّصُ للنظام اللغوي (من سوسير إلى تشومسكي) إلى علم لغةٍ يركز على التوجه الاتصالي والوظيفي. ولهذا التحول عواملٌ عدّة أهمّها:

- تعدد الحاجات والمصالح الاجتماعية، مما دعا إلى ضرورة تحديد دور علم اللغة في المجتمع.
- ظهور مشكلات جديدة في الممارسة اللغوية، تحتاج إلى معالجة جديدة تتجاوز الإخلاص للنظام اللغوي، نحو: التوثيق، المعالجة الآلية للمادة اللغوية، اكتساب اللغة، تعليم اللغة، الترجمة، التوجيه اللغوي، العلاج باللغة، تأثير اللغة في الاتصال اليومي...<sup>(2)</sup>
- ولذلك "يمكن فهم التحول البراغماتي في علم اللغة، على أنّه انعكاس حاجات مجتمعية متغيرة، مهمّة اجتماعية بوجه عام."<sup>(3)</sup>

(1) ينظر: ميحان الروبلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 100 وما يليها.

(2) ينظر: قولفحانج هـ.م.د. فيهمجر: مدخل إلى علم لغة النص، ص 15.

(3) المرجع نفسه، ص 15-16.

## الفصل الأول

### في اللسانيات التداولية

I- في المرجعيات الفكرية والثقافية للتداولية.

II- في الماهية؛ مفهوم التداولية.

III- تطوّر التداولية؛ أشكالها وأقسامها.

IV- من قضايا اللسانيات التداولية (أفعال الكلام، الملفوظية، الحجاج، التفاعلية والسياق، الوظائف التداولية).

V- علاقة التداولية بتخصصات أخرى (اللسانيات البنيوية، النحو الوظيفي، علم الدلالة، اللسانيات النفسية، اللسانيات الاجتماعية، اللسانيات التعليمية، اللسانيات النسّية).

VI- أهمية اللسانيات التداولية وآفاقها.



## I- في المرجعيات الفكرية والثقافية للتداولية:

تعدّ اللغة البشرية عنوانا لكل الأنظمة الدلالية الأخرى غير اللغوية التي تضمن التواصل في ظروف معينة، نحو الرموز والإشارات، والاصطلاحات المختلفة؛ ذلك أن هذه الأنظمة لا تؤدي إلا بتأويلها إلى اللغة؛ فهي تحتويها جميعا.

وقد ساق ذلك بعض اللسانيين، ومنهم (رولان بارت) أن يجعل علم اللغة أصلا لعلم العلامات<sup>(1)</sup>، خلافا لس (سوسير) الذي أفصح حين دعا إلى تأسيس علم العلامات بشرح العلاقة بينه وبين علم اللغة، بقوله: "فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام"<sup>(2)</sup>؛ يعني علم العلامات. وربما يعود ذلك حسب الدارسين، إلى أن اللغة هي نظام التواصل الوحيد الذي يؤدي وظيفته من زاويتين مختلفتين في التعبير عن الأشياء:

\*الزاوية الإشارية (السيمائية)، والزاوية الدلالية؛ وبذلك حُقَّت لها هذه الهيمنة على الأنظمة غير اللغوية الأخرى التي تؤدي الوظيفة نفسها (التعبير والإبلاغ) من زاوية واحدة، هي (الإشارية). ولا تتأتى لها (الدلالية) إلا بالتأويل إلى اللغة؛ يقول (إميل بنفست) بشأن ذلك: "إن اللغة هي النظام الوحيد الذي تتحقق دلالاته على المستويين، بينما لا تملك الأنظمة الأخرى سوى بُعد دلالي واحد، إما بعد سيميوطيقي بلا سيمنطيقا (مثل التحيات)، وإما بعد سيمنطيقتي بلا سيميوطيكا (مثل أشكال التعبير الفني). وتكمن ميزة اللغة الكبرى في أنها تشمل دلالة العلامات المفردة ودلالة القول في آن واحد. ومن هنا تستمد قدرتها الفائقة على خلق مستوى ثان من القول، يمكن من صياغة كلام دالّ حول الدلالة نفسها. ونجد في هذه الملكة الميتالغوية (métalinguistique) أصل علاقة التفسير التي تجعل اللغة قادرة على استيعاب الأنظمة الأخرى"<sup>(3)</sup>.

وتستند الصفة الأولى للغة البشرية (الإشارية) إلى الظواهر الصورية المتوافرة في البنية، أما الصفة الثانية (الدلالية) فتقوم على الدلالات التي تحقّقها هذه البنية، وتؤديها. لكنهما بقاء غير كافيتين لضمان تواصل تام، ناجح، بين المتخاطبين، إذا لم تستدعيا عناصر أخرى غير لغوية، مما تفرضه الظروف الخارجية، من تأويل، وسياق استعمال، وغيرهما.

(1) بنظر: jean caune: Esthétique de la communication, que sais je, puf, 1<sup>ère</sup> édition, 1997, p 93.

(2) ف. د سوسير: علم اللغة العام، ص 34.

(3) إميل بنفست: سيولوجيا اللغة، ترجمة سيزا قاسم، (مقال)، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، م 1، ع 3، 1981، ص 63.

ولم تتعدَّ مجهودات اللسانيين حديثا، منذ بعثتها في القرن التاسع عشر، دراسة هاتين الصفتين (الإشارية والدلالية)، وقد لخصها (أحمد المتوكل) في اتجاهين<sup>(1)</sup>:

الأول: نظريات لسانية صورية، تهم بدراسة الجانب الأول من اللغة متضافرا مع الجانب الثاني؛ حيث عكفت على دراسة اللغة الطبيعية، وعدتُّسها "أنساقا مجردة: يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية"<sup>(2)</sup>، وتناولتها تناولا صوريا صرفا على مستوى التركيب أو على مستوى الدلالة.

الثاني: نظريات لسانية وظيفية، تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بظروف الاستعمال، وتقوم على مبدأ أن "اللغات الطبيعية بنيت تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية؛ وظيفية التواصل"<sup>(3)</sup>. هي -إذا- تجعل ظروف الاستعمال مسؤولة على تحديد طبيعة البنية وتشكيلها؛ حيث لا تصلح هذه البنية إلا لهذا الاستعمال، وعكس ذلك صحيح. ومن نماذج هذه النظريات: التداولية أو ما يعرف بـ "البراغما تاكس"<sup>(4)</sup> التي سنعرض لها في الصفحات الموالية. ويستند التفكير التداولي إلى عدة مصادر، ذكرها الباحثون، وهي موزعة بين الفلسفة والمنطق، وبعض نظريات اللسانيات الحديثة؛ نذكر منها<sup>(5)</sup>:

1- الفلسفة اللغوية: تشمل بحوث رواد فلسفة اللغة الطبيعية والفلسفة التحليلية، مقابل مدرسة اللغة الشكلية، وتقوم على دراسة كيفية توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال الإبداع. وتلك هي المنابع التي نشأت فيها التداولية في الواقع، من خلال أعمال الفيلسوف وعالم الرياضيات الألماني (فريج). ثم الفيلسوف وعالم الرياضيات البريطاني (روسيل)، اللذين طورا كثيرا من قضايا الفلسفة التحليلية. وهي التي أنتجت، فيما بعد، الفلسفة الأوستينية في اللغة<sup>(6)</sup>، من خلال تناولها للقضايا

<sup>(1)</sup> أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص08.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص08.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص08.

<sup>(4)</sup> نصر: المرجع نفسه، ص8.

<sup>(5)</sup> للاطلاع على هذه المصادر، انظر، من التفصيل، ينظر:

-المرجع نفسه.

-مصطفى علفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم (4)، جامعة

احسن التاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية (المغرب)، 1998.

-Jhon .R. searle : les actes de langage, essai de philosophie du langage, collection savoir, lecture, Herman, paris, France, 1996, (nouveau tirage).

-Philippe Blanchet: la pragmatique d'Austin à Goffman, collection référence, édition, Bertrand-Lacoste, Paris, France, 1995.

-Philippe Blanchet: la pragmatique d'Austin à Goffman, p 14-15. <sup>(6)</sup>

التداولية؛ حيث "عولجت الظواهر التي من قبيل الإحالة، والأفعال اللغوية، الاستلزام الحوارية..."<sup>(1)</sup> ثم انتقلت عن طريق الاقتراض إلى حقل الدراسات اللغوية<sup>(2)</sup>.

ومما قدموه في هذا المجال دراستهم للجوانب الدلالية والجوانب التداولية للغات الطبيعية، وتجاوزوا الفكرة القائلة بأن المشكل الفلسفي يكمن في اللغة ذاتها، إلى تحديده في الاستخدام السليم للغة، ولذلك تجدهم "يلحون على وصف اللغة في استعمالاتها دون تجريدتها من تداولها العادي..."<sup>(3)</sup>، وحصروا المعنى في "الاستعمال".

ومن الذين اشتهرت بحوثهم في هذا الموضوع:

أ-فيتغنشتاين وألعاب اللغة: يعدّ فيتغنشتاين من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة، بدءاً من أعماله الأولى في المنطق والفلسفة والمنتبهة في (1918)؛ حيث ميزتها دراسة الوظيفة التمثيلية للغة، اعتداداً بمدى صحة الملفوظات أو خطئها.

أما فيما بعد، فاهتم أكثر بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر، وأكثما غير منفصلين، كما أنه لا وجود للغة خاصة بالفرد. وإنما كل ما في الأمر، أن الفرد يتبع في تراكيبه لغة عموم مجتمعه. وانتهى بذلك إلى استبدال معنى التواصلية في اللغة، بالتعبيرية. واللغة بهذا المفهوم ليست وسيلة للفهم أو تمثيلاً للعالم، بقدر ما هي وسيلة تأثير في الآخرين، لارتباطها بالمواقف المحسوسة في التواصل<sup>(4)</sup>.

وعرض في ذلك فكرة (ألعاب اللغة)، وهو تعبير "في معناه الأولي يوضح كم هو مهم أن تأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلق الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه"<sup>(5)</sup>، من خلال كتابه (بحث في الفلسفة والمنطق - 1921-)؛ الذي كشف فيه مفهوم التلاعب بالكلام، وأصبح فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية؛ ذلك أنه مرتبط بانعني الفعلي الذي منحه للملفوظات؛ فهو قائم -إذا- على ممارسة التأويل من خلال الأداء الفعلي للغة. وقد ختمه بالعبارة "كل ما نستطيع أن نقوله، يجب أن يبقى في طي الكتمان"<sup>(6)</sup>.

(1) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989، ص 15.

(2) انرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة،

(4) أنظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط (المغرب)، 1986، ص 22-23.

(5) Joachin scharte : lire wittgenstin ; dire et montrer, traduit de l'allemand par mariamme charrière et jean pierre cometti, collection « lire les philosophies », édi. L'échat(1989-texte original, 1992 pour la traduction française), France, p118.

(6) فيتغنشتاين: بحث في الفلسفة والمنطق، نقل عن: ييار أشار: سوسولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب ترو، منشورات هويدات، بيروت، لبنان، ط 1،

1996، ص 96.

وخلصة مفهوم (التلاعب بالكلام) أو (ألعاب اللغة) أن الأفعال التي نتلفظها، ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نعيشها؛ أي أنه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عباراتهم، وينتج عن "اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب، كونه مجموعة منظمة من وجهات النظر والممارسات والمصالح"<sup>(1)</sup>.

وبذلك ميز بين المعنى المحصل الذي يرتبط بالكلام، وبين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة. والناطق في كل ذلك يتبع قاعدة ويمثل إليها، وهي لا تعدو، في رأي فيتغنشتاين، كونها لعبة من ألعاب اللغة، شأنها في ذلك شأن الممارسات الأخرى<sup>(2)</sup>، (لعبة الشطرنج، وغيرها).

ب- أوستين:

عُرف أوستين من خلال محاضراته التي قدمها بجامعة هارفارد في 1955 في فلسفة اللغة، ونُشرت في 1962 بعد وفاته، بعنوان: "كيف نتجز أفعالاً بالألفاظ؟"<sup>(3)</sup>، ومما ورد فيه أنه ساوى بين بنية اللغة وبنية الفكر، وجعلهما شيئاً واحداً. واللغة في مفهومه تتجاوز وظيفة الاتصال إلى وظيفة التأثير، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية<sup>(3)</sup>.

وقدم بشأن مفهوم "فعل الكلام"، وهو "ترجمة من الإنجليزية (speech act)؛ مقترح في الستينيات من الفيلسوف الإنجليزي (ج.ل. أوستين) ثم كُرر وطُوّر من طرف الأمريكي (ج.ر. سورل)، قبل أن يكون مقبولاً لدى كل اللسانيين الذين يعتدّون بالنظرية الملفوظية."<sup>(4)</sup>

وخلصة فكرته في ذلك أن كل قول ملفوظ يُعدّ عملاً. وميّز بين نوعين من الملفوظات؛ الملفوظات الثابتة، التقريرية (constatifs) والتي تمثل حالات أشياء، وهي قابلة لأن تكون حقيقية أو خاطئة. والملفوظات الإنجازية (performatifs)، وترتبسط بشروط تحقيقها، التي تحملها حال النطق بها،

(1) - مع السابق ص 96.

(2) انظر: الخليلي دلائل، مدخل إلى اللسانيات التداولية (نظية معاهد اللغة العربية وأدائها)، ترجمة محمد بختان، د.م.ج، الجزائر، 1992، ص 18 وما بعدها.

(3) نشر كتابه أول ما نشر من طرف (J.O.Urmson) بعنوان: "how to do things with words" ضمن منشورات جامعة أوكسفورد في

طبعته الأصلية: نقلا عن الطبعة الفرنسية: Par Gille: J.L. Austin: quand dire c'est faire, introduction, traduction et commentaire. Lane, édit. Du seuil, 1970.

(3) - Austin: quand dire c'est faire, p13-14, introduction.

(4) Jean pierre robert : dictionnaire pratique de didactique du F.L.E, édi. Ophrys, paris, France, 2002, p 06.

" هذا التمييز مشابه تماما للتمييز العربي بين الخبر والإنشاء؛ حيث يحمل الخبر معلومة للسامع، ويقوم الإنشاء على ما ينشأ في الواقع الخارجي. وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الموالي بحول الله.

ومساعدة بعض الشروط الطرفية الأخرى، نحو: أعلن عن افتتاح الجلسة<sup>(1)</sup>. وبذلك فهو يعارض مبدأ الصدق والكذب الذي يحكم الجملة عسوماً، لدى المناطق.

ويعدّ حديثنا، من الأوائل الذين تبّهوا إلى أن دلالة الجملة في اللغة العادية، ليست بالضرورة إخباراً؛ ففي المثال السابق (أعلن عن افتتاح الجلسة)، كأن المتكلم يوجّه سامعيه أو يأمرهم بقوله: (باشروا أشغال الجلسة). أو فيما يبدو من قول أحدهم لمن يدخل عليه دون أن يغلق الباب: (تركت الباب مفتوحاً)، فيصرف الداخل إلى إغلاقه، وكأنه تلقى أمراً بذلك\*.

ويمكن تمييز ثلاث مراحل في بحث أوستين لتحديد معنى (القول يعني الفعل)؛ حيث فصل في البداية مدلول القول ومدلول الفعل فصلاً يقوم على مبدأ أن الكلام يناقض الحدث، وبذلك فيبين القول والفعل تضاداً. أما في المرحلة الثانية فقد جعل ترادفاً نسبياً بينهما في حالة القول الملفوظ بشروط معينة؛ حيث يصبح مرادفاً للفعل. وتطور هذا الترادف النسبي إلى ترادف تامّ في آخر مرحلة؛ حيث تم تعميم الفرضية بمفهوم تداولي؛ وعدّ كل قول فعلاً<sup>(2)</sup>.

ج- بيرس:

يدينُ الدرس التداولي كثيراً إلى بيرس، وهو من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقاً من مفاهيمها الفلسفية، ويعدها أساس النشاط السيميائي؛ حيث أضحت عنده أوسع من مجاها اللغوي، إلى حد أن الإنسان - حسب قوله - علامة، وحين نفكر فنحن علامة<sup>(3)</sup>. ولذلك عدّت الأسس السيميائية التي أرساها، أسساً فلسفية تأملية. وهو يربط فهم اللغة بحال التواصل، ويقرن المعنى بظروف الاستعمال، على نحو ما مرّ مع فيتغنشتاين وأوستين. ومن أهم ما أسهم به في نشأة الدرس التداولي<sup>(4)</sup>:

- التمييز بين التعبير بعدّه غمطاً، وبين ما يقابله أثناء الاستعمال.

- التمييز بين كل من العلامة، الرمز، الإشارة والأيقونة. وفي هذا الشأن قدم شروحا وافية في مفهوم الدليل؛ حيث يقوم على مبدأ التأويل، ويتنوع بحسب علاقته بموضوعه. والأيقونة تطابق الموضوع صورياً، والأمانة (المؤشّر) تقوم على علاقة العلة بالمعلول<sup>(5)</sup>.

(1) François latraverse : la pragmatique, histoire et critique, pierre mardaga, éditeur, Bruxelles, Belgique, 1987, p32.

\* يتم توسيع هذه الفكرة في محث لاحق لـ (أفعال الكلام)، وهي أيضاً لها ما يقابلها في الأساليب العربية، حين ميّزت الخبر الذي يؤدي غرض الإنشاء.

- Austin: quand dire c'est faire, p129.

(3) ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص15.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص16-19.

(5) ينظر: الجهليل «لاش»: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص09.

وخلال حديثه عن التأويل، استخلص الدارسون ما يرتبط بمفهوم التداولية عنده؛ حيث ميز بين الدلالة بعدّها دراسة المؤولات، وبين التداولية التي تهتم بدراسة بقايا هذه المؤولات ورواسبها<sup>(1)</sup>.

د- موريس:

تُصنّف جهوده ضمن البحوث الفلسفية التي درست الدليل وتصوراته الواسعة، كما أنّها امتداد لبحوث علم النفس السلوكي المهيمنة على اللغة في فترة سابقة. إضافة إلى أنه أسهم في تأسيس الدرس السيميائي إلى جانب بيرس.

وبنية اللغة في نظره نظام من السلوك؛ ذلك أنّها كَيْسِيّ المتلقّي إلى رد فعل ما، بناء على البنية التي يتلقاها. وقد جعل التداولية جزءاً من السيميائية؛ تعالج العلاقة بين العلامات ومستخدميها.<sup>(2)</sup> وهو تعريف كما سنرى، يجعل مفهوم العلامة تتجاوز مجالها اللساني إلى المجال السيميائي، ومجالها الإنساني إلى مجالات أخرى: المجال الحيواني، الآلي، الطبيعي..

ومن طموحاته أنه يرغب في توحيد العلوم الفيزيائية والإنسانية بأن تشملهما نظرية عامة للعلامات. وفيما يرتبط بدراسة اللغة، فإنه يلح - إلى جانب دراسة بنيتها الشكلية - على دراسة علاقة هذه البنية بالموضوعات المتداولة، وبالأشخاص المستعملين لها. وهو أمر، كثيراً ما يُغفل عنه - في نظره -<sup>(3)</sup>.

ولذلك رسم علاقة العلامة بأبعادها الثلاثة؛ علاقتها بالموضوعات الدالة عليها (بعد دلالي)، وعلاقتها فيما بينها (بعد تركيب)، وعلاقتها بالمؤولين لها (بعد تداولي). ولا يلغي أيّاً من هذه الأبعاد حين دراسته للغة والعلامة اللغوية. وخلص إلى تعريف تداولي للغة، بأنّها نشاط تواصلية أساساً، ذات طبيعة اجتماعية<sup>(4)</sup>.

ويجعل التداولية أحد الأسس التي يقوم عليها علم السيميائية؛ يقول فرانسوا لاترافارس: "إن مجموع المقترحات والتعريفات والفرضيات التي قدمها موريس في كل المجالات، تسعى إلى تمييز هدفين: يتعلق الأول بتعريف هذه المجالات، وتحديد عدد الاحتمالات والخصائص التي يمكن أن تكون ممثلة للأفكار الجاهزة. ومن ناحية أخرى، دمج المجالات وضمّها، ثمّ تعريف بنيتها بالنسبة إلى مجموع السيميائية. والتداولية تباشر عملها ضمن أسس أجوبة هذين الهدفين"<sup>(5)</sup>.

(1) F. Latraverse : la pragmatique, de 45 à 60 .

(2) Morris (1938) : cf. infra. P30 à 41 نقل عن : فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص8.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 27.

(5) F. latraverse : la pragmatique, p74.

وإلى جانب هذه الجهود، ينبغي الإشارة إلى ما قدّمه (بوهلر) فيما يتعلق بأفعال الكلام، وهو محسوب على الذين ينتقدون بعضاً من آراء البنيوية السويسرية<sup>(1)</sup>، التي عكفت -في رأيه- على دراسة البنية النظامية للغة، دون الاهتمام بجانبها الإبلاغي؛ واقترح في ذلك السياق ثلاث وظائف للدليل اللغوي؛ الوظيفة التمثيلية المتعلقة بالوقائع والأحداث، والوظيفة التعبيرية المتعلقة بالمرسل، والندائية المتعلقة بالمرسل إليه.

إضافة إلى جهود أخرى تلت نشر كتاب (أوستين)، تتلخص فيما قدّمه (سورل) بعدّه أحد فلاسفة اللغة المؤسسين لتدريس التداولي، لا سيما فيما يتعلق بإعادة تصنيفه للأفعال الكلامية<sup>(2)</sup>، وسيذكر ذلك في مبحث أفعال الكلام بشيء من التفصيل.

هذا، ويمكن أن ندمج في بحوث الفلسفة اللغوية، ما قدّمه المناطقة في الفترة نفسها<sup>(3)</sup>، نحو أعمال (فريج)، و(كرناب)، و(جوردن)، و(لاكوف)، و(جرايس) بما عرضه في (قوانين المحادثة) المتمثلة في قواعد الكم والكيف والبرود والكيفية، التي تُخدم جميعاً مبدأ التعاون أثناء التخاطب<sup>(4)</sup>.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر: الجيلاني دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 13 وما بعدها.

(2) من خلال كتابه: J.R searle : les actes de langage : essai de philosophie du langage

(3) ينظر: 9-19: F. Latraverse : la pragmatique, p 07 et Philippe blanchet : la pragmatique d'Austin à goffman, p9-19

(4) للتفصيل، ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 54-55.



## 2- النظريات اللسانية الحديثة:

منذ بداية نشاط نقد البنيوية في نهاية القرن الماضي، بدأ تشكيل الاتجاهات اللسانية المختلفة التي أسهمت في تكوين المعرفة التداولية عموماً؛ فبعد تعميم النموذج اللغوي على العلوم الإنسانية والمعارف، ظهرت تيارات الخروج عن هذا النموذج، بل ونقده، بدءاً من البنيويين أنفسهم الذين فضلوا الجواهر عن الأشكال\*.

وسرعان ما نشط البحث السيميائي، بعد الانتقال من البنيوية إلى السيميائية، والتأويل، والبحث عن المعنى، بصورة لم تُعرف من قبل. وتعددت مستويات القراءة في النص الأدبي نتيجة عدم خضوع المعنى لسلطة النظام اللغوي، وهو أساس الفهم البنيوي الذي كان سائداً. مع أنه يمكن إعداره في تمسكه بالنظام اللغوي حين نراجع دوافع البحث، وظروف نشأته في مطلع القرن التاسع عشر.

وبدأ تيار ما بعد البنيويين يبحث في حقيقة المعنى، ضمن الأنظمة الفكرية والفلسفية واللغوية والأدبية، وأتسع موضوع البحث من النص الأدبي إلى الخطاب الفلسفي أو الديني.

وتجاوزوا اعتماد الكلمة وحدة تحليل إلى الاعتداد بالجملة، وسرعان ما تجاوزوها هي الأخرى إلى النص وظروفه المقامية، ليصبح موضوعاً للسانيات، بعده وحدة التحليل الأساسية. وسادت مفاهيم (نحو النص)، و(الجملة النصية)، بدل نحو الجمل، والجملة النظامية المعروفة في اللسانيات<sup>(1)</sup>.

و"يرى علم النص أن مهمته هي أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال، ويصححها، كما تحلل في العلوم المختلفة، في ترابطها الداخلي والخارجي"<sup>(2)</sup>.

وإلى جانب إسهامات نقد البنيوية بما عرضته من ضرورة الاهتمام بالجانب التبليغي في اللغة وظروف الأداء فيها، والإسهامات التي قدمتها لسانيات النص في تشكيل المعرفة التداولية، تُضاف جهودُ اللسانيات الوظيفية؛ بدءاً مما قدمه الشكلانيون الروس بأبحاثهم في الإنشائية، ثم أعلام مدرسة براغ، والمدرسة النسقية، الذين اهتموا جميعاً بالوظيفة، انطلاقاً من مفهوم التواصل، بعده وظيفة أساسية في النشاط اللغوي لدى الإنسان.

\* يظهر ذلك مثلاً في: - رولان بارت: لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحان، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1988.

- روجيه غارودي: البنيوية فلسفة موت الإنسان، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1979.

(1) تراجع في ذلك: الأزهر زناد: نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص 17 وما بعدها.

(2) فان ديك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق سعيد حسن بحري، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2001، ص 11.



ومنذ منتصف الستينيات اهتم بعض اللسانيين بما قدّمه سابقوهم في (براغ)، وأسهموا في إرساء اللسانيات الوظيفية التي تناولت الجملة بالنظر إلى حركية التواصل فيها. وأوضحوا في هذا الشأن أنّ التواصل في لحظة معينة ليس ثابتا كما قد يوحي بذلك نموذج ياكبسون حول وظائف اللغة. والجملة ليست كلمات بقدر ما هي فعل لغوي وموقف إزاء واقع معين، وتنقل تجارب المتكلمين. والتحليل الملائم لها هو الذي يقدر على تبيان مقدار هذه الحركية التي تسهم بها في عملية التواصل اللغوي.

وحينها رفض الوظيفيون التقسيم المنطقي لعناصر الجملة (مسند - مسند إليه)، وعدّوها محورا (المعلومة المشتركة)، إلى جانب التعليق (الجزء الذي يحمل المعلومة الجديدة للسامع)<sup>(1)</sup>.

وفي ضوء هذه المفاهيم الجديدة المبنية على مبدأ الوظيفة، تبلورت مساعي النحو الوظيفي في السبعينيات من القرن الماضي<sup>(2)</sup>. ويقوم على أن الشروط التداولية هي التي تحدّد الخصائص التركيبية والصرفية؛ أي أن ظروف التواصل تحدّد بينة اللغة. ويهدف إلى رصد خصائص لغات طبيعية متباينة نمطيا، وإلى دراسة الحمل للوصول إلى تسميتها وفق ما يطابق العمليات الحاصلة في ذهن المتكلم، وإلى أن "يكونَ نظرية خطاب شاملة، وتفسّر الوصف والتفسير الملائمين، خصائص الخطاب الطبيعي أيا كانت أشكاله وأمطاه وظروف إنتاجه..."<sup>(3)</sup>. ويعده (سيمون ديك) جزءا من نظرية تداولية موسّعة، مجالها التفاعل الكلامي؛ حيث يعكف على كشف خصائص العبارات اللغوية الواردة، وكيفية استعمالها، وطرق ارتباطها بقواعد التفاعل الكلامي<sup>(4)</sup>.

وبذلك تكون اللسانيات الوظيفية هي أيضا، قد تجاوزت النصّ بعدّه موضوعا للدرس إلى الاعتداد بالمقام، وجعل الخطاب موضوعا للدرس اللساني.

وخلصة الخلفية الفكرية والثقافية التي نشأت فيها البحوث التداولية، أها تنطلق جميعا من الاهتمام بالتواصل، والاستعمال الفعلي للغة، لأن ذلك ما يحدد بنيتها التركيبية، إضافة إلى أن المتكلم

(1) هذه الآراء مأخوذة من: Sgall et autres : topics focus and generative semantics

- Fibras : an defining the therme in functional sentence analysis.

- Danès F.: a three level approach to syntax.

نقلا عن: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 252-253.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1988، ص 05.

(3) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية؛ بنية الخطاب، من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1،

2001، ص 276.

(4) ينظر: Dik.s : functional grammar, 1973 - ، نقلا عن: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 258-259.

يبي كلامه وفق ظروف التواصل، وطبيعة المتلقي، لا وفق مبادئ النظام أو حتى ما يرتبط به هو، بعدّه منتج الكلام.

لقد نشأت التداولية في ظل هذه المكاسب المعرفية اللسانية والفلسفية والبلاغية، مما يسمّها بالتنوع والشاء، ولم تكن تستقر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد الأعمال المذكورة سابقا لأوستين، وسورل، وجرايس وغيرهم. وتبقى مدينة لهذه التيارات المختلفة، تتوسل بها في معالجة اللغة بعدّها أهم ما يميّز واقع الإنسان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## II- في الماهية؛ مفهوم التداولية:

لا يُعدّ هذا البحث أوّل شاكٍ في صعوبة الإلمام بتعريف شامل ودقيق للتداولية، لِسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة.

ولعلّ أول أسباب ذلك، أن مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة، فعُدّت "ملتقىً لمصادر أفكار وتأمّلات مختلفة يصعب حصرها"<sup>(1)</sup>، ولا يكاد يستقر في أحد منها، وربما كان ذلك لنشأتها غير المستقرة أيضا - كما مر في المبحث السابق - فصارت "تسمية غامضة دوماً"<sup>(2)</sup> هذا، إضافة إلى أنّها تتداخل مع علوم أخرى، مما جعل مجالها ثريا وواسعا وعسيرا<sup>(3)</sup>.

ويردّف (مانقونو) حديثه عن التداولية، في موضع آخر بقوله: "إنه من الصعب الحديث عن التداولية، لأن هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة، تتقاسم عددا من الأفكار... واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطق؛ وتتجاوز اهتماماتها مجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامة للنشاط الإنساني"<sup>(4)</sup>.

ولاتساع حدودها بهذا الشكل، أقرّ العديد من الدارسين عدم وضوح معالمها، نحو تصريح (فرانسواز أرمينكو)؛ هي "درس جديد وغزير إلا أنه لا يملك حدودا واضحة... تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية"<sup>(5)</sup>، وهي تشغل اهتمام المناطق والسيميائيين والفلاسفة والسوسيوولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل، واللسانيين... وبذلك فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنّفها في أي من المستويات، ولا تدرس جانبها محددًا في اللغة، بل تستوعبها جميعا، وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية<sup>(6)</sup>.

ويؤكد (فان ديك) تاريخ اهتمام هذا العلم وتداخله مع العلوم الأخرى، بقوله: "براغماتية | هذا العلم الذي بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة | الكتاب صادر في 1979 |

<sup>(1)</sup> -Dominique Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, collection lettres. SUP, Dunod, paris, 1997, p 01.

<sup>(2)</sup> -Dominique Maingueneau : les termes clé de l'analyse du discours, seuil, collection mémo, février, paris, 1996, p 65.

<sup>(3)</sup> ينظر: محمود نغلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 10-11.

<sup>(4)</sup> -D. Maingueneau : l'analyse du discours, introduction aux lectures de l'archive, hachette, paris, 1991, p170

<sup>(5)</sup> فرانسواز أرمينكو: المقاومة التداولية، ص 07، وأنظر الفكرة نفسها في: نفسه (D.M)، ص 45 وما بعدها.

<sup>(6)</sup> ينظر: محمود نغلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 10.

له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى، وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاحتماع أيضا<sup>(1)</sup>.

هذا عن صعوبة تعريفها واتساع مجالها الذي لا يكاد يخلو من ذكره متن من المتون التي اطلع عليها البحث. ولعل أول صعوبة تصادف التعريف بالتداولية، تتمثل في الاستقرار على مصطلح قارّ يشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة؛ حيث تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي (Pragmatique)؛ فـ قيل: البراغماتية\* والبراغماتيك، البرجماتية والبرجماتيك، وليس بين هذه الاصطلاحات فرق، بعدّها نقلاً حرفياً للكلمة الأجنبية، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الدرائعية، التفعّية... وبين هذه التعبيرات - في الواقع - فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، لتكون مقابلة للمصطلح الأجنبي بمفهومه الذي سيُعرض لاحقاً.

لكن مصطلح التداولية الذي استخدمه المتوكل<sup>(2)</sup>، ومدحه الجليلي دلاش بالخفة والسلاسة<sup>(3)</sup>، هو الذي صار مهيمناً على استعمالات الدارسين. وستُفصّل دلالاته في الفصل الموالي.

ومن أسباب عدم استقرار المصطلح العربي على صيغة واحدة، عدم استقرار مفهوم التداولية نفسه وموضوعها في تيار واحد، وربما عكس الاصطلاح البيئة التي نشأ فيها أو الظروف الثقافية التي يحملها.

نصل الآن إلى عرض مدونة تعريفات التداولية، وهي مدونة كثيفة وغنية برؤى تعكس التنوع المعرفي الذي نشأ فيه الفكر التداولي، وبعد تفحص العديد منها - والتي نسجل بدايةً عدم تضاربها فيما بينها، بقدر ما تعث على اتساع المفهوم، وتنوع التصورات، وتعدد المشارب، إلى جانب إمكانية الأخذ

(1) وان ديت: علم النص، ص 114.

(2) (pragmatique) بفرنسية و (pragmatics) بالإنجليزية، وكلاهما يرجع تأصيله إلى اللفظ اليوناني (pragma) التي تعني الفعل أو الحدث (action). ينظر: D Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, p. 04.

كما أنهم يدكرون مصطلح (pragmatisme) ويميرونه عن (pragmatique)، بأنه "نظرية فلسفية عامة للعقلانية، والتي تنظر ملياً إلى المكاسب الأساسية للشخص، تطورت في و.ج.أ. في ق 20 من خلال (بيرس) الذي -بعده سيميائياً- لعب بالمكان دوراً في المقارنة التداولية. والـ (pragmatique) عرف في أوروبا، بعده فلسفة الفعل التي نزل الحقيقة عن السفحة".

-philippe Blanchet : la pragmatique d'austin à goffman, p13.

\*\* وكذلك جعلها المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات لـ (م.ع.ت.ث.ت)؛ حيث قابل براغماتية لـ: pragmatics و pragmatique، ودراسة استعمالية: دراسة كيفية استعمال الناطقين للغة في حالات الخطاب الملموسة؛ المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم، مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (الإنجليزي فرنسي عربي)، مطبعة المنظمة، تونس، 1989، ص 111.

(2) من خلال مؤلفاته العديدة في الموضوع، وأهمها: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري.

(3) ينظر: الجليلي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 01.

على بعضها- يظهر أننا أمام تداوليات، حسب فرانسواز أرمينكو، لم تتحدد بعد، مع أنها في قمة ازدهارها<sup>(1)</sup>. ومما يظبعها عموماً أن قسماً كبيراً من هذه التعريفات يعدها مكوّناً إلى جانب علوم أخرى للسانيات (التركيب، الدلالة). ومنها ما يوزعها على مجموع الفضاء اللساني<sup>(2)</sup>.

ولقد أمكن فحصُ مدونة تعريفاتها، من تصنيفها إلى الحقول الموالية:

أ-تعريفات ترتبط بحقل نشأة التفكير التداولي:

تُجمع هذه التعريفات على رصد أصلين لنشأة التفكير التداولي:

-الأول: تعريف تشارلز موريس لها؛ حيث عدّها جزءاً من السيميائية وأحد مكوناتها؛ تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات، وبين مستعملها أو مفسريها (متكلم، سامع، قارئ، كاتب...)، وتحدد ما يترتب عن هذه العلامات. كان ذلك حينما شرح أبعاد السيميائية الثلاثة:

-علاقة العلامات بالموضوعات المعبر عنها، وذلك بعد دلالي يهتم به علم الدلالة.

-علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالمتلقي، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها. وذلك هو البعد التداولي؛ اهتمام التداولية.

-علاقة العلامات فيما بينها، وذلك بعد تركيبي، يهتم به علم التراكيب.

وهذا الأصل هو التمييز الأول الذي استأنقه بعده الدارسون، ووُسّع إلى ما هو عليه اليوم<sup>(3)</sup>، ومما ينبغي ملاحظته على هذا التعريف الاهتمام بالبعد الدلالي وعده في الرتبة الأولى لأنه مرتبط بطبيعة العلامة ذاتها، ثم يعضده البعد التداولي، لأن العلامة لا تميز إلا عن طريق المتكلم الذي يحدثها، وتأخر البعد التركيبي؛ لأنه ينبغي للعلامة أن تكون لها دلالة ومداول قبل أن تركّب<sup>(4)</sup>.

-الثاني: يجعل حقل فلسفة اللغة العادية لدى أوستين وتلميذه سورل نواة لتأسيس التداولية<sup>(5)</sup>، ويحدد مصدرها في التفكير الأنجلوساكسوني انطلاقاً من إشكالية أفعال الكلام التي طورت التفكير في آليات معالجة اللغة: الحجاج، أنواع الخطاب...<sup>(6)</sup>

<sup>(1)</sup> فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 09 و 33.

<sup>(2)</sup> بنظر: D.Manguemau : pragmatique pour le discours littéraire, P 03.

<sup>(3)</sup> تراجع: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية. وفان ديك: علم النص. وشاهر الحسن: السيميائية والبرجماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 2001. و F.Latraverse : la pragmatique, P 42-43.

<sup>(4)</sup> تراجع بعض التعليقات على هذا التعريف في: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية. و F. La traverse: La pragmatique.

<sup>(5)</sup> بنظر: philippe blanchet : la pragmatique, p09 وما بعدها

<sup>(6)</sup> بنظر: D. mainguencau : l'analyse du discours, p169.

## ب- تعريفات ترتبط بحقل موضوع التداولية ووظيفتها:

تنطلق تعريفات هذا الحقل من مبدأ أن لسانيات القرن العشرين ساوت بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام، خلافا لموضوعها المحدد في اللغة وحدها، في محاضرات سوسير<sup>(1)</sup>. واهتمت بالخطاب بعده "أي إنتاج لغوي منظور إليه في علاقته بظروفه المقامية وبالوظيفة التواصلية التي يؤديها في هذه الظروف"<sup>(2)</sup>. وتتفق على أن التداولية في عمومها تهتم بجميع شروط الخطاب، وتعتمد أسلوبا ما في فهمه وإدراكه، بدراسة كيفية استخدام اللغة، وبيان الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا بالاستعمال<sup>(3)</sup>، وشرح سياق الحال والمقام الذي يؤدي فيه المتكلمون خطاباتهم. فاهتمامها ينصب أساسا على المتكلم انطلاقا من سياق المنفوقات التي يؤديها، إلى جانب تحليل الأفعال الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية، وسماتها في عمليات الاتصال<sup>(4)</sup>. ولذلك سماها بعضهم: لسانيات الاستعمال اللغوي؛ موضوعها توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي<sup>(5)</sup>. ويشمل مصطلح التداولية من هذه الناحية<sup>(6)</sup>:

- مجموع البحوث المنطقية واللسانية التي قُدمت في دراسة استعمال اللغة، ومطابقة التعبيرات الرمزية للسياق الوصفي الفعلي، والعلاقات بين المتخاطبين.

- دراسة استعمال اللغة في الخطاب، والآثار التي تثبت ذلك.

- دراسة اللغة بعدها ظاهرة تواصلية اجتماعية خطافية حجاجية.

ولقد حمل كتاب (المقاربة التداولية) في مقدمته أسئلة مثيرة، ترسم حدود التداولية، وتشرح وظيفتها في تناول الخطاب، وهي إشكالات جوهرية في النص الأدبي الحديث والمعاصر من جهة وفي دراسة اللغة أساسا من جهة ثانية؛ ومن هذه الأسئلة: "ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط، حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا أن يمدنا بكذا، بينما يظهر لنا واضحا أن في إمكانه ذلك؟ فمن يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم؟ ومع من؟ من يتكلم ولأجل من؟ (...). كيف يمكننا قول شيء آخر، غير ما كنا نريد قوله؟..."<sup>(7)</sup>.

(1) سوسير: علم اللغة العام، ص 253.

(2) أحمد الشوكلي: فضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، نية الخطاب، من الجملة إلى النص، ص 17.

(3) ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 08.

(4) ينظر: فان ديك: علم النص، ص 114.

(5) ينظر: محمود محلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

(6) ينظر: philippe Blanchet : la pragmatique d'austin à Goffman, p09.

(7) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 07.

لأن التداولية تقوم على دراسة استعمال اللغة، فاهتمامها في مجموع تعريفات هذا الحقل ينصب على دراسة العلاقة بين المتكلم والسامع، بكل ما يعترى هذه العلاقة من ملاسبات وشروط مختلفة؛ حيث تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات الاتصال والتفاعل. وتستند إلى علم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي، وتعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية [أو أفعال كلامية] وقواعدها بالنسبة إلى السياق. ويتلخص ذلك في دراسة العلاقة بين المتلفظ والمخاطب<sup>(1)</sup>. فموضوعها - إذا هو التواصل البشري المعتمد على دراسة المقام، والشروط المناسبة لأداء الحديث.

وهي بهذا اختصاص جديد في حقل الدراسات الإنسانية؛ يقول دالاش: "إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى كيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"<sup>(2)</sup>، ثم يردف ذلك بإجمال تعريفها، بقوله: "هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية"<sup>(3)</sup>. وعُدّت كذلك لأنها تبحث في معرفة مقاصد المتكلم، وأغراض كلامه؛ فالمعنى لا يُستقى من البنية وحدها وهي الجانب اللغوي منه، بل من الجانب السياقي أيضا؛ فقد يكون بعيدا جدا عن الجانب الأول، وعلى السامع أو اللساني إدراك ذلك. نحو قول أحدهم لمن مازال يخادته في عرفة -مثلا- في وقت متأخر من الليل: "إني متعب"؛ فمعنى متكلمه ههنا هو: أوقف الحديث، أو دعني أنام، وليس الإخبار بالتعب، وذلك بتوفر شروط معينة ضعا. أو أن يذكر المتكلم أمرا، وهو يعني أمرا آخر، نحو قوله لمن يدخل عليه المكتب ويترك أبواب مفتوحة: ألا ترى أن الجو بارد. وقصده في ذلك أن: أغلق الباب. وعلى السامع أن يدرك ذلك القصد لنجاح التواصل، وإحداث التفاعل.

ولاختصاص التداولية بدراسة مقاصد المتكلم، جعلها بعضهم "تشرح وضعية التواصل وسياقه، وتفتح أبواب دراسة ما لم يقل، ودراسة الضمني في الحديث"<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 12.

(2) الجليلي دالاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 01.

(3) المرجع نفسه، ص 01.

(4) Gilles siouffi et Dan Van Raemdonck : 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal, Rosny , Novembre, 1999, P 51.



د- تعريفات ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى، وبما تشمله من اتجاهات:

يمكن أن تتضح حدود أخرى لتعريف التداولية من خلال عرض علاقتها بتخصصات أخرى، ولأن هذا موضوعٌ مبحثٍ لاحق، فإنه يقتصر في هذا المقام على بيان مفهومات التداولية فحسب، دون تفصيل حدود العلاقة مع العلوم الأخرى.

وأول ما يصادفنا ضمن هذه المفهومات، أن التداولية تُعدّ امتداداً للسانيات التلغظ؛ حيث تستقبل ميراثها<sup>(1)</sup>، ولمفهوم الدلالة والدلالة التوليدية<sup>(2)</sup>؛ حيث ميز الدارسون بين دالتين: دلالة تربط باللغة، حسب المقترح السوسيري، ودلالة ترتبط بلسانيات الكلام، حسب المقترح الأوستيني. وتمثل بهذا المقترح الأخير أحد مفهومات التداولية<sup>(3)</sup>.

ولاهتمامها بلسانيات الكلام وعدم تمييزها بينه وبين اللغة، على نحو ما يشير سوسير، صار تمييزها قائماً بين الملفوظ الذي يقصد به ما يقال، والملفوظ الذي يُعدّ فعلاً للقول<sup>(4)</sup>.

وعرفها (مانفونو) بناء على هذه العلاقة، بأنها تميّز أساليب فهم الخطاب، وتوسّع أكثر عملية التواصل، على نحو يعارض طرائق البنيوية<sup>(5)</sup>، التي انغمست في النص، وأبعدت الكلام، وهو مظهر أداء اللغة. وبذلك استطاعت أن تجيب عن تساؤلات علماء اللغة التي لم تستطع أن تجيب عنها البنيوية<sup>(6)</sup>. ومبعث توسيعها لعملية التواصل هو نشأتها غير القارة في مصدر معين من مصادر المعرفة الإنسانية، فهي "تتسمي إلى علم اللغة كما تتسمي إلى علم النفس وعلم الاجتماع"<sup>(7)</sup>.

واتفقت تعريفات أخرى لها على أنها أحد ثلاثة مكونات للغة؛ إلى جانب المكون التركيبي والمكون الدلالي، وتلك نتيجة ما توصل إليه (موريس)، وتشمل - بهذا المفهوم - مجموع العلاقات التي تربط الدوال المستعمليها، وبظروف استعمالها، وآثار ذلك على البنى النحوية، إلى جانب بيان دور المتكلمين، وطبيعة السياق، والإلمام بآثار الخطاب نفسه على المتخاطبين؛ سواء أُنحى ناحية ذاتية المتكلم أم من ناحية تأثر السامع<sup>(8)</sup>، و"هي تصنّف الصيغ المستعملة بين المتخاطبين، على أن هذا الملفوظ له

<sup>(1)</sup> ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 09.

<sup>(2)</sup> ينظر: فان ديك: علم النص، ص 142 وما يليها.

<sup>(3)</sup> ينظر: Jacques Moschler : Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle, édi. Armand Colin, Masson, paris, France, 1996, P21.

<sup>(4)</sup> ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 08.

<sup>(5)</sup> -D. Maingueneau : les termes clés de l'analyse du discours, P 65.

<sup>(6)</sup> ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 09

<sup>(7)</sup> فان ديك، علم النص، ص 114.

<sup>(8)</sup> ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 07. و Maingueneau : les termes clés de l'analyse du discours, P 65.



وظيفة مقابلة عنى مستوى التواصل (...). إنها ذلك الذي يسند إلى المتكلم حال إنتاجه الخطاب، نحو عبارة الحث البسيطة المعبرة عن رغبات المتكلم (حالة بائعة في المتجر مثلا)، وعبارة التحذير (حذار: تقوم بسنوك غير لائق، أنا أراقبك)، وعبارة الأوامر: «توقف عن الرسم فوق الطنفسة»<sup>(1)</sup>.

وفي سياق شرح علاقتها بالسيمايا، عُرِّفت -حسب بيرس- بأنها فرع من السيمايا تهتم بالعلاقة بين الخطاب ومستعمليه، وبالخطاب أثناء التفاعل اعتدادا بشروط تلفظه<sup>(2)</sup>، وبأنها آخر مولود للدرس السيماي<sup>(3)</sup>.

ويعد استوائها في أعمال أوستين وسورل، حثت على الرجوع إلى تحليل الحجاج، وبصفة خاصة عند اللسانيين الفرنسيين، نحو: ديكرود، وأوركويوني، وغيرهما<sup>(4)</sup>.

وفي ختام عرض مدونة التعريفات المستقاة من مختلف مراجع التداولية ومصادرها، يُسَجَّل أنها ترجع جميعا إلى تعريف موريس في تأسيسه لعلم العلاجات، وتتفق على أن اللغة اجتماعية يمارسها أناس يعيشون في المجتمع، وفق قواعد الخطاب المتعارف عليها فيما بينهم.

ويبدو أن الحقل الأوسع في تعريفها، هو المرتبط بظروف النشأة والخلفية الفكرية للتداولية؛ ذلك أن التداولية لم تُعرف -في الغالب- بماهيتها، بل بإجراءاتها وتفسيرها للخطاب، كأن تُعرف مثلا بأنها تقوم على التفكير اللغوي وما يتعلق بفعالية الخطاب في الواقع<sup>(5)</sup>.

(1) christian baylon et paul Fabre : la sémantique, avec des travaux pratiques d'application et leurs corrigés. université Nathan information, formation. édi. Fern ard Nathan. France, 1978, P 55.

(2) -A.Bannour : Dictionnaire de logique pour linguistes (Français- Anglais- Allemand), CILF (Conseil International de la langue Française), Paris, Fance, 1995, P 128.

(3) ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 13.

(4) philippe Blanchet : la pragmatique d'anstin à Goffman, p12-13.

(5) -D. Mainguencau : L'analyse du discours, P 170.

### III- تطور التداولية؛ أشكالها وأقسامها:

لقد أصبحت اللسانيات الحديثة -في نظر المتبعين- محكومة بتيارين متميزين<sup>(1)</sup>: التيار السوسيري الذي أسسها وصاغ مشروعها، من خلال "علم اللغة العام"، والتيار الأوستيني الذي نشط بعد التيار السابق بنحو أربعة عقود تقريبا، وأعاد بعث القضايا بصياغة مختلفة، في محاضرات علمية متعددة، كما مر في مطلع هذا الفصل.

ولم يكد مستوى التيار الثاني عند بروز اللسانيات التداولية أساسا؛ على نحو ما مر تفصيله، حتى انفلتت مفاهيمها، متطورة إلى أشكال عدة، وأقسام متنوعة، أسست لمدونة اصطلاحية مستقلة، نحو: الميتاتداولية (Méta pragmatique) مثلا، وهي صيغة توسع الصيغة اللسانية المعروفة الميتالغوية (Méta linguistique) وتُثربها. وتعني "استعمال الخطاب بعدّه فعلا مرجعيا ممثلا في هدفه (استعمال العلامات فيما بينها)"<sup>(2)</sup>. وتقوم على دراسة العلاقة بين العلامات وسياقها اللساني<sup>(3)</sup>.

والحقيقة أن حصر امتدادات التداولية في اللسانيات الحديثة أو في العلوم الأخرى ليس أمرا هينا؛ لتنوع المشارب وتعدد المجالات؛ ولذلك فإن ما تُقدمه هذه المباحث -وهذا المبحث بشكل مخصوص- هو جهْدُ المقلِّ فيما طالته اليد القصيرة للبحث.

ولعل أحسن ما يُذكر في أشكال تطورها، ما ورد في كتاب "فرانسواز أرمينكو"، لأنه يقوم على بعض الحصر، إضافة إلى تصور هانسون، وجان سرفوبي. وفيما يلي بعض هذه التصورات:

1- تصور فرانسواز أرمينكو: جعلها كتاب "المقاربة التداولية" في اتجاهين لا تقاطع بينهما<sup>(4)</sup>:  
أ- تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية:

نشأت تداولية اللغات الشكلية أو (التداولية الشكلية) من الاتجاه الكانطي في اللغة، وسرعان ما التفت بتحليل فلاسفة اللغة العادية بدءا من السبعينيات، لاسيما عند ستالناكر (1972)، ثم هانسون (1974)<sup>(5)</sup>. فقد قامت على مبادئ الفلسفة والمنطق في معالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه، وبين الجمل وسياقاتها، من خلال أعمال (فيتغنشتاين)، و(شترابوس)، وغيرهما. وامتد مجال التداولية من دراسة شروط الحقيقة وقضايا الجمل، إلى دراسة حدس المتخاطبين، والاعتقادات المتقاسمة<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر مثلا: -Jacque Moschler : Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle, P 21.

(2) -Jean Emile Combert : le développement métalinguistique, psychologie d'aujourd'hui, presse universitaire de France, (PUF), 1990, P 123.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 124.

(4) ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 11 وما يليها.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص 35 وما يليها.

فالتداولية الشكلية -إذا- تجمع عددا من الأفكار، من المشكلات، من النظريات المشتركة لمناطق، نحو (مونتاجو)، (سكوت)، وغيرهما، ممن هم أيضا بصدد إعطاء معالجة منطقية لبعض ظواهر اللغات الطبيعية<sup>(1)</sup>.

أما تداولية اللغات الطبيعية فتشمل البحوث التي لجأت إلى دراسة اللغة بوصفها وسيلة وحيدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع.

ب- تداولية التلفظ، التي تتفرع بدورها إلى:

\* تداولية صنعة التلفظ؛ وتناولته من حيث هو صناعة؛ ومما يدفع إلى صياغته وتشكيله، وتمثلها فكرة ألعاب اللغة لفيثاغورثين، ومفهوم الأفعال لدى أوستين، ثم لدى سورل.

\* تداولية صيغ الملفوظ التي تهتم بشكل الملفوظ وعبارته، ومدى علاقته بالدلالة المرتبطة بهذا الشكل أو هذه العبارة، وضبط خطوط السياق المناسب.

**2- تصور هانسون:** لتقريب أهم التفرعات التي وسعتها التداولية في امتداداتها، قدم (هانسون) في 1974 تصورا متميزا -وهو الأول من نوعه- يهدف من خلاله إلى توحيد أجزائها، وفق درجة تعقد السياق من جزء إلى آخر، فميز بين<sup>(2)</sup>:

أ- تداولية الدرجة الأولى: تتمثل في دراسة رموز التعبيرات المبهمة ضمن ظروف استعمالها. وتعتمد هذه التداولية السياق الوجودي؛ المتمثل في المتخاطبين، ومعطيات الزمان والمكان. وتعكسها أعمال دارسي الإشارة والرمز، نحو بيرس، روسل، قيومين، كودمان، رايشنباخ، بارهيليل، بول كوشي... وبعض إشارات (بنفنست) في البعد الإشاري للزمن.

ب- تداولية الدرجة الثانية: تتمثل في دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه؛ أي دراسة حجم ما يبلغه المتكلم من دلالات في الملفوظ الذي يؤدي ذلك، ومدى نجاحه أو إخفاقه. وسياقها في هذه الحال يكون أوسع من السابق؛ حيث يمتد من الموجودات، إلى نفسية المتخاطبين وحدهم، والاعتقادات المشتركة بينهم. وتهتم خلال ذلك بقضايا مختلفة، نحو: شروط التواصل، التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى التواصلية (لدى ستالناكر وجاك)، أو المعنى الحرفي والمعنى السياقي (سورل)، أو المعنى الحرفي والمعنى الموضوعي (ديكرو).

وتُدرج ضمن هذه التداولية أيضا، حكم الحديث لـ (جرايس) القائمة على "مبدأ التعاون" بين المتخاطبين. والخطاب في نظره "نشاط مقنن؛ يخضع إلى قواعد، والمشاركون في الخطاب يحترمونها

(1) ينظر: F. La traverse: La pragmatique ; histoire et critique, P 133.

(2) ينظر في ذلك: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 41-73.

مبدأ التعاون<sup>(1)</sup>. وميز إلى جانب هذا المبدأ أربعة أصناف للقواعد<sup>(2)</sup>، وهي مستقاة مما وضعه الفيلسوف (كانط):

-الكمية quantité: أن يكون الخطاب غنيا بالأخبار، بشكل كاف فقط، دون زيادة.

-الكيفية qualité: أن يكون الخطاب صائبا وحقيقيا اعتقادا، ولا يفقد البرهنة على ذلك.

-العلاقة relation: أن يكون دقيقا، وأن تكون المساهمة دالة (ذات بال) للحديث.

-الصيغة (حكم الكلام) modalité: أن يكون واضحا، غير مبهم، موجزا، منظما.

فلو سألتنا أحدهم عن المدة التي تستغرقها السيارة من (سطيف) إلى (قسنطينة) وأجاب بقوله: بعضا من الزمن، لكانت إجابته -وفق هذه القواعد- غير كافية؛ لأنه أجب بأقل من المطلوب (خلافا للقاعدة الأولى، الكمية)، وغير دقيق (خلافا لقاعدة العلاقة)، ومبهم وغير واضح (خلافا للأخيرة). ويُذكر أن هذه القواعد لاقت رواجا كبيرا بين الشرح والمناقشة والانتقاد.

ج-تداولية الدرجة الثالثة: تتمثل في نظرية أفعال الكلام، مما قدمه أوستين، وطوره سورل.

ولا يتحدد الفعل الكلامي إلا من خلال السياق الذي يتكفل بتحديد جدية التلفظ أو الدعابة، أو إنجاز فعل معين، وسيأتي بيان ذلك في مبحث موال.

ولقد أسهم تطورها في نشاط بحث الملفوظية، لأنها نشأت في حضنها، مما ساعد أيضا في تقدم

الدرس الدلالي، الذي أصبح هو الآخر محكوما بتيار سوسير وتيار أوستين<sup>(3)</sup> شأنه في ذلك شأن ألسانيات عموما.

ومن النادرين من عدّ ما قدمه بنفست من بحوث في الملفوظية نظرية مستقلة من النظريات

التداولية، تجتمع كلها حول دراسة الآثار التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب (ضمائر، إحالات على الزمان، إحالات على المكان،...).

واللغة في نظرد تتحقق على ثلاثة أشكال؛ الأول شكلها الكلي بعدها سجلا من الأدلة، والثاني

بعدها نظاما تُركّب فيه هذه الأدلة، والثالث على أنها نشاط يتحقق من وقائع الخطاب؛ وهو موضوع لسانيات التلفظ.

(1) ينظر: - Gilles siouffi et D. V. reamdonck : 100 fiches pour comprendre la linguistique, p51.

(2) هي عدد جرابس (قواعد المحادثة)، وعند سورل (شروط النجاح)، وعند ديكر (قوانين الخطاب)؛ دون اختلاف في عددها أو بيانها. وللتفصيل أكثر، ينظر: - المرجع نفسه، ص 51. والجيلالي دلاتن: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 34. وفرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 54-55.

ومحمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص 142. وشاهر الحسن: علم الدلالة، ص 170-171.

(3) Jaques moschler : Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle, p21

كما أنها شهدت تطورات أخرى مرتبطة بالحقول الفلسفي، حيث صارت تمد الفلسفة بمفاهيم جديدة، فنشطت عدة تداوليات<sup>(1)</sup>، نحو التداولية وفلسفة الفعل (أبوستيل)، التداولية المعقلنة (كاشير)، التداولية الاستراتيجية (هيرمان)، التداولية المتعالية (أينل)، التداولية العالمية (هابرماز)، التداولية الحوارية (فرانسيس جاك)...

أما في حقل اللسانيات، فشهدت تنوعاً من هذا القبيل، فظهرت:

-التداولية الأصلية (العازلة) Radicale: تعني أن التداولية ليست قسماً مكملًا لعلم الدلالة، بل إنها منقسمة عنها<sup>(2)</sup>.

-التداولية التكاملية (المكتملة) Intégrée: اشتهر هذا المصطلح في التحليلات التداولية المنجزة من (أنسكومير) و(ديكرو). ويعكس نظرية دلالية اكتملت ضمن اللسانيات، مع طروحات الملفوظية<sup>(3)</sup>، ومهمتها دراسة أفعال الكلام، ثم دراسة المعنى والملفوظية (من مبدأ أن معنى ملفوظ ما هو صورة للملفوظية).

-التداولية المعرفية (الإيصالية، الإدراكية) cognitive: نشأت من نظام مركزي للتفكير، وعرضت فرضيات العمليات المرتبطة بالمعالجة التداولية للملفوظات؛ وهي ليست مختصة بالنظام اللساني<sup>(4)</sup>. وتوضح التداوليتان المكتملة والمعرفية في أعمال ديكرو: (1972، 1980، 1984)، وديكرو مع أنسكومير (1983)، وسباركر وويلسون (1986، 1989).

**3- تصور جان سرفوني:** ذكر أن التداولية بعد أوستين، تلتخص في ثلاث وجهات نظر<sup>(5)</sup>، هي:

أ- وجهة نظر (أوزوالد ديكرو)<sup>(6)</sup>: تتمثل في دراسته للسان والعلاقات المتبادلة (intersubjectif) بين القول واللاقول (Dire et ne pas Dire): فطرح سؤالاً في نظره، يعني وجوب الإجابة من السائل، وليس فقط السرعة في المعرفة. ويعني أيضاً إعطائه دوراً على نحو دور المتكلم. ويتناول أيضاً القول الفاعل الذي يتجاوز تصور أوستين للأفعال، فهو يتضمن أيضاً الافتراض

(1) ينظر: فرانسواز أرميكو: مقاربة تداولية، ص 74 وما بعدها.

(2) ينظر: J. moschler et anne rebole : dictionnaire encyclopédique de pragmatique, seuil, France, octobre, 1994, p30

وما بعدها.

(3) المرجع نفسه، ص 79.

(4) المرجع نفسه، ص 79 وما يليها.

(5) جان سرفوني: الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، عن منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998، ص 110 وما بعدها.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص 110 وما بعدها.

\* ترجم هذا المصطلح إلى البيذاتية، لكنها تبدو غير واضحة، ومادامت تعني العلاقات بين المتكلم وذاته من حيث إنه قال أو لم يقل، فيمكن الاعتماد بتعبير (التيابذة ذاتياً، أو التداولة)، لا سيما أن في الكلام شيئاً من ذات متكلمه دوماً، وينسحب ذلك على المصطلح الأخر (البيشيرية).

المسبق الذي هو وسيلة للقول أو عدم القول، وكذلك دراسة المضمرات والحجاج... وخلاصته في ذلك أن اللسان عكس ما تصوره سوسير؛ فهو مجموعة من الاتفاقات التي تسمح بالفعل المتبادل بين الأفراد، مما يتيح لهم فرض أنفسهم، وتبادل الأدوار في عملية الكلام.

ب- وجهة نظر (آلان بيريندونييه)<sup>(1)</sup>؛ تتضح من خلال مناقضته لطرح (أوستين): القول هو الفعل، بمذهبه "حينما نقول فنحن لا نفعل شيئاً"؛ حيث يمكن أن نتخلى عن مفهوم القول الفاعل (أوستين). حين نعلم بأن قيمة أيّ فعل، تنتجها الملفوظية بين القيمة الوصفية وبعض شروط السياق النوعي. فمفهوم القول الفاعل مفهوم عالي الكلفة. والأفعال الإنجازية في نظره ليست مهمتها الإنجاز، بل عدم إنجاز الفعل؛ حيث تستخدم لإحلال الكلام محل الفعل المادي، مثال: أتنازل عن ملكيتي لفلان، استبدال حركة الإعطاء بصيغة كلامية تعادل تلك الحركة. وبالتالي فمفهوم الفعل لديه متصل بمفهوم الحدث (الحركة)، ويمكن التصرف دون تحريك اليد أو الرجل... فالكلام نقيض الفعل أو العمل، بهذا الطرح. والفعل الوحيد المنجز - في نظره - حين التلفظ هو حركات صوتية؛ أيّ ملفوظ بالمعنى الحرفي للكلمة. ولقد لقيت وجهة نظره هذه، عدة انتقادات.

ج- وجهة نظر (ر. مارتان): من خلال كتابه "من أجل منطق للمعنى" يذهب إلى أن مجال البراغماتية ليس الجملة، ولكنها تتداخل على مستوى الملفوظ، وهي نتيجة للآلية الدلالية المنطقية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها.

وفي آخر هذا المبحث، نسجل أن بعض الدراسات لم تنظر إلى التداولية بعدّها نظرية متكاملة مستقلة، بقدر ما عاملتها على أنها مجموع نظريات عديدة، يجمعها مبدأ عام، هو "دراسة كيفية استعمال الناطقين للغة في حالات الخطاب الملموسة"<sup>(2)</sup>، وجعلت كل قضية من قضاياها نظرية بذاتها، نحو نظرية الخطاب، نظرية الأفعال الكلامية، نظرية التفاعل، نظرية السياق، نظرية الذاتية اللغوية... وغيرها.

(1) Alain berrendonner : Eléments de pragmatique linguistique, collection proposition, les éditions de minuit avec l'aide du conseil de l'université de tribonrg (suisse), Paris, France, 1981, P180.

وينسطر: جان سرفون: الملفوظية، ص 114-115.

(2) المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 111.

#### IV-من قضايا اللسانيات التداولية:

قد لا يستطيع هذا المبحث الإلمام بقضايا التداولية عموماً، وبالموضوعات التي صارت محدودة ضمن العنوان الكبير (اللسانيات التداولية)، وذلك لأسباب ذكرت سابقاً، أهمها: اتساع مجالها، وتعدد بيئة نشأتها... مما جعل حصرَ موضوعاتها أمراً يكاد يستعصي على من يريد رسم حدود لها. فهي أحياناً في تماسٍ مع معارفٍ أخرى، وفي اندماجٍ أحياناً أخرى.

ولذلك فضلَ هذا المبحث عنوان "من قضايا اللسانيات التداولية"، لأن الإلمام الشامل بقضاياها قد يتجاوز مجال اللسانيات الذي يحدد هذا البحث، إلى مجالاتٍ أخرى لا يحسنها. ولقد سمح فحص مدونة اللسانيات التداولية عموماً، بتحديد خمسة موضوعات تكاد تكون أساسية فيها، وهي:

**1-أفعال الكلام:** وهي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية؛ حيث ارتبطت اللغة بإجازها الفعلي في الواقع، و"هي تسمية اقترحت في سنوات الستينيات من أوستين. استأنفت من طرف (سورل)، قبل أن تكون مقبولة من طرف كل اللسانيين الذين يعتدّون بالنظرية الملفوظية"<sup>(1)</sup>.

**2-الملفوظية:** هي اتجاه جديد في دراسة اللغة، يوسع من مجال اللسانيات السوسيرية التي تعد في نظرها "لسانيات غير ملفوظية"<sup>(2)</sup>. وتطورت مع (بنفست) وتابعيه، منطلقاً من تطوير جاد للثنائية السوسيرية (لسان-كلام)، ومستندة إلى المفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللغة بالمتكلم، ولذلك عُدّت تياراً موازياً في نشأته للتداولية، إن لم يكن مندمجاً فيه.

**3-الحجاج:** هو حسب المعجم الفلسفي: سلسلة من الأدلة تُفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الأدلة وتقديمها.

ويمكن أن تعدّ اللغة بذاتها ذات بعد حجائي في جميع مستوياتها؛ ويظهر ذلك في نظام بنيتها، لأن المتكلم يستخدم الوحدات اللسانية، حسب ما يريد إبلاغه من أفكار، وبقدر المقصود. ويبنى هذه الوحدات وفقاً لأغراض التواصل المختلفة. ولذلك عدّ الدارسون بلاغة الحجاج وغايته، في أن المتكلم ينتظر ممن يوجه إليهم الخطاب حركة تنسجم مع المقاصد القولية التي أنجبها المقام، والتي هي بدورها منسجمة مع شكل البنية المقدمة.

(1) J.P. robert : dictionnaire pratique de didactique du FLE, p06.

(2) جان سرفون: الملفوظية، ص 11 وما بعدها.



#### 4- التفاعلية والسياق:

موضوع التفاعل هو أحد قضايا الفلسفة اللغوية الحديثة التي أنشأت التداولية؛ عرض له فلاسفة اللغة وهم يميزون بين الفعل والعمل. والتفاعل في نظرهم يميز سلوك الإنسان عن غيره، وعرفوه بأنه "سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين"<sup>(1)</sup>. وبذلك تكون وظيفة اللغة تحقيق هذا التفاعل بإنجاز أفعال اجتماعية. ويشمل بحث التفاعل قضايا عدة، منها: دراسة القدرة التواصلية، وشروط فعل التواصل، ودراسة السياق والمقام، وغير ذلك.

#### 5- الوظائف التداولية:

عُرفت الوظائف التداولية ضمن المدونة الاصطلاحية للدرس التداولي عموماً، وهي امتداد لبحوث وظائف اللغة السابقة. ويتلخص مفهومها في هذا المقام، في تحديد مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية، مع ربطها بالطبقات المقامية المحتمل أن تُنجز فيها<sup>(2)</sup>، فهي -إذاً- وظائف مرتبطة بالسياق والمقام، ومدى إنجازية اللغة في واقع التواصل. وفيما يلي بعض التفصيل لهذه الموضوعات الخمسة:

#### 1- أفعال الكلام: Les actes de langage

نشأت فكرة (أفعال الكلام) أو (أفعال اللغة) من أهم مبدإ في الفلسفة اللغوية الحديثة -مجال نشأة التداولية وتطورها-، وهو: أن "الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضاً في الوقت نفسه"<sup>(3)</sup>.

وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياساً وحيداً للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب<sup>(4)</sup>. مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد؛ هو العبارات

(1) فان ديك: علم النص، ص 128.

(2) أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، ص 25.

\* يرد أحياناً هذان المصطلحان بعدهما مترادفين، ترجمة لـ: Les actes de langage (بالفرنسية) للأخوذة من الإنجليزية (speech acts) وبالنظر إلى مدلول فكرة أفعال الكلام، والتي هي في جوهرها تمييز لأفعال اللغة كما يقصدها المرسل، وبقيمتها الإبداعية، فالأحسن في ترجمتها القول: أفعال اللسان، لأنها متعلقة باللسان. ينظر: جون سورل: من سورس إلى فلسفة اللغة (مقال) إشراف ومراجعة مطاع الصفدي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي بيروت، لبنان، العددان 13-14، ربيع 1991، ص 95.

وإذا سمحت المفاضلة بين (أفعال الكلام) و(أفعال اللغة)، فإن الأول قد يبدو أكثر ارتباطاً بالشفوي، والثاني بالكلامي، وذكروا أيضاً فعل التواصل الذي يجمع فعل الكلام بمدلوله السابق، بمحيطه الذي يسجل فيه بين المتحاطين، ينظر:

J.P.Robert : Dictionnaire pratique de didactique du F.L.E, P06.

(3) فان ديك، علم النص، ص 18.

(4) ينظر أحمد المتوكل: اللسانيات والوظيفية، ص 18. و محمود نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 42.



الخبرية؛ كأن تصف واقعا ما. ويُحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع، نحو(الجو جميل: صادقة في حال واحدة هي جمال الجو واقعا، وكاذبة في غير ذلك). وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنه لا يُقبل إلا إذا كان خاضعا للتححيص والتجريب. وأن الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها<sup>(1)</sup>.

ومن الذين تصدّوا لهذه الفكرة (أوستين) من خلال محاضراته بجامعة (هارفارد) في 1955؛ حيث نبه إلى أن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارا<sup>(2)</sup>، وهي ليست مقيدة دائما بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب. وأن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي، وتأثير في واقعه<sup>(3)</sup>. وبناء على ذلك فقد يقتصر هذا القياس على تقييم الجمل في علم الدلالة. أما في الدرس التداولي، وفق هذه الفكرة، فإن الجمل تقاس بمدى الإحفاق أو التوفيق<sup>(4)</sup>.

وأنه أيضا، إلى جانب النوع السابق (العبارات الخبرية أو الوصفية) الذي يقوم على وصف الحدث وتعيينه مقارنة بما يحيل إليه، ويمكن وصفه بالصدق أو الكذب. يمكن أن نصنف نوعا آخر، هو (العبارات الإنجازية أو الأدائية)، وهي "التي تحض على فعل أو تنهى عنه،... أو التي ترد أوصافا لأحداث. وميزتها هو أن تلفظها إنما ينجز الحدث الذي تصفه"<sup>(5)</sup>.

ومن خصائص هذه العبارات أنها جمل لا تصف واقعا خارجيا، ولا تعينه، ولا تحيل إليه، مع أنها جمل خبرية، نحو:

1-ألتزم بالحضور.

2-أعلن عن افتتاح الجلسة.

3-أعدك بالزيارة، غدا إن شاء الله.

4-سأعيد لك مالك، الشهر القادم بحول الله.

فهذه الجمل ونحوها، لا يمكن وصفها بالصدق والكذب، وهي لا تعكس واقعا موصوفا، بقدر ما هي أفعال منجزة من المتلقي أو المتكلم على حد سواء. ومن خصائصها أيضا، أنها جمل محكومة بالتلفظ بها؛ حيث إن نطقها سبب في إنجاز الأفعال المبنية عليها:

(1) -D.maigneueau :pragmatique pour le discours littéraire, p05.

(2) - Austin: quand dire c'est faire, p18 introduction.

(3) المرجع نفسه: ص13-14.

(4) ينظر:فان ديك: علم النص،ص118.

(5) سورل: من سورل إلى فلسفة اللغة (مقال)، مجلة العرب والفكر العالمي، ع13-14، ص95.

ففي (1) واعد، وفي (2) أمر بمباشرة أشغال الجلسة. وفي (3) وعد وطلب، وكذلك في (4). مما يغير في سلوك متلقي هذه الجمل بتوفر ظروف ذلك، وتنوع المتلقين، بتنوع الأخبار وأغراضها. وهي جمل شبيهة بالجمل المنطوية على موجّهات (أمر، استفهام...) (1). إلى آخر أمثلة العبارات المشروطة بالوضع الاجتماعي العام للمتخاطبين، وطبيعة مقاصد المتكلم من إسعاد السامع أو الإساءة إليه، أو إزعاجه، أو تهديده، أو وعده... كل ذلك يبقى مرتبطا بنية المتكلم وقصده. (2) ومن أمثلة ذلك أيضا:

1- أن يقول رجل مسلم لامرأته: أنت طالق.

2- أن يكتب رجل مسلم: أوصي بنصف ما أملك لدار العجزة.

3- أن يقول ولي امرأة، وفي ظروف معروفة، لأحد: زوّجك فلانة.

4- أن تقول الأم فور الولادة: سميتها (هداية).

فتوفر القصد والنية؛ حيث يفرض المتكلم نفسه في كل من هذه الجمل، مقتنعا بما يلفظه، ويضع مخاطبه في موقع لا يمكنه الرفض والإنكار، إذا كان حسن النية (3)؛ حيث يبدي اهتماما بالحدث، كأنه يتمناه في (3) أو يصدقه (4) في (1) و(2) مثلا، أو يسنّبني عنه عمل ما في (4)، وكذلك في (1)، و(2) و(3).

بتوفر ذلك، تنبني عن هذه الجمل أفعال وتغيرات في المواقف والسلوك. ومعناه أن المتكلم ليس محتما عليه أن يجعل أمره في صيغة أمر، والخير في صيغة الخير، والوعد في صيغة الوعد. وبالمقابل ليس ضروريا أن يتلقى السامع هذا الخطاب النسقي، بقدر ما يكون ملزما بتأويل الدلالات؛ فقد يجد بعض أنواع الطلب في صيغة الخير؛ كأن يدخل الأستاذ حجرة الدرس، قائلا: الجو خانق. فينهض أحدهم لفتح النافذة، دون أن يُطلب منه ذلك.

وقد يجد طلبا متضمنا في الطلب؛ نحو سؤال أحدهم لآخر في الشارع: هل عندك ساعة؟ وهو لا يريد معرفة أنه يملك ساعة أم لا، بقدر ما يودّ معرفة الزمن، وعليه أن يفهم ذلك سريعا. أو أن تخاطب ولدك، وأنتما على وشك الخروج من البيت: ألم ترتدّ ملابسك بعد؟ فهو ليس سؤالا بقدر ما هو تأنيب واستعجال.

ولذلك ميز (سورل) بين ثلاثة مستويات في أي نشاط اجتماعي (5):

(1) بنظر: جان سرفون: الملقوظية، ص 17-18.

(2) سورل: من سوسير إلى فلسفة اللغة، ص 61.

(3) بنظر: جان سرفون: الملقوظية، ص 17-18.

(4) بنظر: فان ديك: علم النص، ص 118.

(5) بنظر: سورل: من سوسير إلى فلسفة اللغة، ص 61.

- مستوى اللسان بعدّه اتفاقات اجتماعية تحملها العبارة دون التلفظ بها. (اللسان بالمفهوم السوسيري).

- مفهوم الحوافز الفردية (الكلام بالمفهوم السوسيري) التي تمنح للعبارة دلالة ما عند التلفظ بها.

- مستوى الاشتراطات الاجتماعية الواسعة، وهو مستوى معقد، يشرح سبب اختيار هذه الدلالة دون غيرها.

وخلاصة هذه الأمثلة، أنه ينبغي على المشاركين في الخطاب أن يدركوا العلاقة بين شكل الجملة ووظيفتها، وأن هذه الأفعال اللغوية تكسيها إضافات اجتماعية لها قواعدها ومعاييرها. ولا يمكن فهمها خارج هذه الشروط التي تحكم إن كانت الأمثلة السابقة ناجحة أو مخففة، لا صادقة ولا كاذبة؛ قياسا إلى أن اللغة بهذا المفهوم لا تتجاوز كونها وسيلة تعبير إلى كونها نشاطا اجتماعيا تفاعليا. وتصبح وفق هذا المفهوم أيضا بنية اللغة لا تختلف عن بنية الفكر، ووظيفتها تتجاوز كونها وسيلة تواصل إلى وسيلة تأثير في العالم والسلوك. ويصير الكلام ذا قوة بلاغية كامنة فيه، تظهر حال النطق به، وقوة أخرى تأثيرية فعلية، على مستوى المتلقي، تظهر من خلال الآثار والنتائج المترتبة<sup>(1)</sup>. وبذلك فإن تحديد دلالة جملة ما - اعتدادا بهذا المفهوم - لا يمكن، إذا استمر فصل قيمتها الوصفية عن قيمتها الملفوظية التي تقرّها<sup>(2)</sup>.

وبكلمة: لقد قدمت فكرة أفعال الكلام دراسة نسقية لعلاقة العلامات عموما بمستعملها ومؤولّيها<sup>(3)</sup>. وشرحت ما يقوم به التأويل في الخطاب. ولإشارة، فإن الاحتفاء بها لم يكن لدى اللسانيين وحدهم الذين وجدوا فيها مجالا جيدا لحل المشكلات التركيبية والدلالية ومشكلات تعليم اللغات، بل احتفى بها أيضا علماء النفس لأنها وسيلة هامة لاكتساب اللغة، ونقاد الأدب لفهم ما تتحمله النصوص من فروق تعبيرية، والفلاسفة لأنها مجال خصب لشرح علاقة اللغة بالعالم.

#### أ- فكرة أفعال الكلام عند (أوستين):

اقترح (أوستين) قسما ثانيا من العبارات إلى جانب (العبارات الوصفية) هو (العبارات الإنجازية) التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها. كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروطا أوضحها الدارسون، ولا تتحقق إنجازيتها إلا بها، هي<sup>(4)</sup>:

(1) - Austin: quand dire c'est faire, p13-14, introduction.

(2) ينظر: حان سرفون: الملفوظية، ص 18.

(3) ينظر: فرانسواز أرميكو: المقاربة التداولية، ص 60.

\* الوصفية، الإخبارية، التقريرية، الإثباتية، مقابلة لـ: constatifs. والإنجازية، الأدائية، الإنشائية، مقابلة لـ: performatifs.

(4) ينظر: أحمد المتركل: اللسانيات الوظيفية، ص 19. أو: Austin: quand dire c'est faire, p50-51.

- أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية\* : (وعد، سأل، قال، حذر، أوعد...).

- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم؛ أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

- أن يكون زمن دلالتها المضارع.

شروط - كما نرى - تجمع بين المستويين النحوي والمعجمي، وغياب شرط واحد كفيل بتحويلها إلى عبارة وهي وصفية. ويتميز الفعل الإنجازي عن الوصفي (الإخباري) بكونه عاكسا للآثار التي ينجزها كلامنا، وهو فعل دقيق للغاية. ثم لاحظ (أوستين) بعد ذلك أنه يمكن تقدير فعل، وفق الشروط المذكورة، في العبارات الوصفية، نحو: (أقول) الجو جميل، لتصير إنجازية هي الأخرى؛ وعليه فكل العبارات الملتفظة إنجازية على نوعين:

- إنجازية (صريحة/ مباشرة)، فعلها ظاهر (أمر، حض، دعاء، هي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.

- إنجازية (ضمنية/ غير مباشرة) فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد = (أقول) الاجتهاد مفيد = أمرك أن تجتهد. ونحو قوله تعالى: "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"<sup>(1)</sup>؛ (أقول): احذروا... وميز فيها بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية<sup>(2)</sup>:

- فعل قولي locutoire: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيب)، واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

- فعل إنجازي (القول الفاعل) illocutoire: يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أداته: يعد، يخبر، يعجب، ينذر، ويشمل (الجانب التبليغي والجانب التطبيقي).

- فعل تأثيري (استلزامي) perlocutoire: يحصل حين يغيّر الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه، كأن (يرعبه، يجعله يفعل...). ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة إنجازية، وهي: "تفترض تزامنا تاما بين موضوع الملتفظة، والتلفظ"<sup>(3)</sup>.

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية ميز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية<sup>(4)</sup>:

- الأفعال الحكمية (الإقرارية) verdictifs: حكم، وعد، وصف.

\* لأن فعلا من نوع (قاد سيارته، أو قطع الخشب) ليس فعلا كلاميا لأنني لست بحاجة إلى القول أو الكتابة لتنفيذ ما يتعلق بما.

ينظر: J.P.Rober t : dictionnaire pratique de didactique du F.L.E , P06.

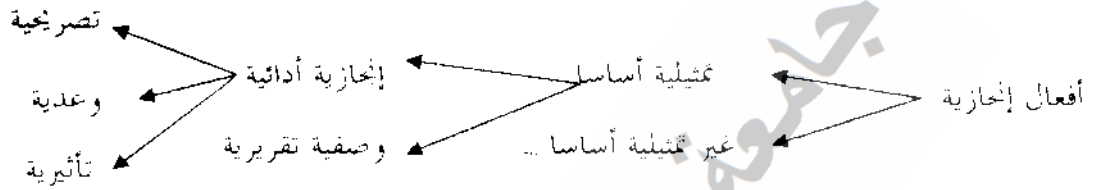
(1) سورة الحديد، الآية 20.

(2) - Austin: quand dire c'est faire, p114-115; huitième conférence.

(3) -D. maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, p06.

(4) ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص.62 و مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، ص 48.

- الأفعال التمرسية exersitifs: إصدار قرار لصالح أو ضد...، أمر، قاد، طلب..
- أفعال التكليف (الوعدية) comessifs: تلزم المتكلم: وعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم، ..
- الأفعال العرضية (التعبيرية) expositifs: عرض مفاهيم منفصلة، (أكد، أنكر، أحاب، وهب..).
- أفعال السلوكيات (الإخباريات) comportementaux: ردود أفعال، تعبيرات تجاه السلوك: اعتذر، هتأ، حتى، رحب.. وتتضح أشكال الفعل الإنجازي خصوصا في الترسيم التالية<sup>(1)</sup>:



ب-أفعال الكلام عند (سورل):

هو أول من أوضح فكرة (أوستين) السابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود<sup>(2)</sup>. فقول من في المكتب: "تركت الباب مفتوحا" لمن يدخل عليه، يخضع إلى جملة خطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازا، منها:

- إن الضحيج في الرواق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ← فهو يأمرني بإغلاقه.
- المكتب مكيف، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ← فهو يطلب مني (بشكل ما) إغلاقه.
- من الأدب أن تعلق الباب كما وجدته مغلقا حال دخولك ← فهو يعاتبني على سوء سلوكي.
- أو ما نأخذه في إجابة أستاذ تخصص ما في الجامعة، لمن يسأل عن مدى استعداد ابنه الطالب لدراسة ذلك التخصص، بقوله: "إن الطالب المذكور لاعب كرة ممتاز". فيدرك السائل مضمون الإجابة بأن ابنه غير موفق في هذا التخصص، كما يجد توجيهها آخر، وهو الأفضل أن يشتغل بالكرة.
- ومما قدمه سورل أيضا أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميز بين أربعة أقسام<sup>(3)</sup>:

-فعل التلطف (الصوتي والتركيب).

-الفعل القضوي (الإحالي والجملي).

(1) ينظر: D. maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, p10.

(2) ينظر: فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 66، 68.

-أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 21.

(3) J.R.sarle, les actes de langage, (essai de philosophie du langage), collection savoir, lettres, hermann, Paris, nouveau tirage, 1996, p60.

-الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين).

-لفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين).

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها<sup>(1)</sup>:

-الأخبار assertifs (تبلغ حبرا، وهي تمثيل للواقع) وتسمى أيضا: التأكيدات، الأفعال الحكمية.

-الأوامر directifs (تحمل المخاطب على فعل معين).

-الالتزامية commissifs (أفعال التعهد)، وهي أفعال التكليف عند أوستين؛ حين يلتزم المتكلم بفعل شيء معين.

-التصريحات expressifs: وهي الأفعال التبريرية عند أوستين، وتعبّر عن حالة، مع شروط صدقها.

-الإنجازيات déclarations (الإدلاءات): تكون حين التلفظ ذاته.

كما أنه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، منها: غاية الفعل، توجيهه، حالته السيكلولوجية<sup>(2)</sup>... وسماها شروط النجاح. وهي تستند كثيرا إلى قوانين المحادثة لجرايس، المذكورة سابقا. ووسع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم إلى العرف الاجتماعي اللغوي، وجعل للقوة الإنجازية أدلة عليها: (تقسيم، تأخير، نبر، تنعيم، علامات ترقيم...).

ج- أفعال الكلام بعد (أوستين) و(سورل):

تناول فكرة (أفعال الكلام) لسانيون عدة بعد (أوستين) و(سورل)، وعرضوا الكثير من قضاياها، لاسيما مفهوم الفعل الإنجازي وشروط قيامه، ومفهوم القوة الإنجازية ووسائل ظهورها في البنية أو إخفاقاتها، ومن أولئك:

-أوزوالد ديكرود: ذكر شروط الإنجازية، بقوله: "تكون جملة ما إنجازية إذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك، ويكون فعل ما إنجازيا إذا أمكنه صياغة الفعل المحوري لجملة إنجازية"<sup>(3)</sup>. وفي كتابه (القول واللاقول Dire et ne pas dire) حدد نوعا من الأفعال سماه أفعال الرأي، وهي: "ما يتعلق بالمتكلم، ويعلم به السامع يقينيات، مثل: فكر، علم، تيقن، أعتق، تخيل، شك، جهل، تعلم..."<sup>(4)</sup>، وهي مجموع أفعال الشك والرجحان واليقين في العربية، لكنه يجعل استعمالها مشروطا

<sup>(1)</sup> المراجع السابق نفسه: ص62.

<sup>(2)</sup> ينظر: فرانسواز أرميسكو: المقاربة التداولية، ص63.

<sup>(3)</sup> A. Culioli (responsable) laboratoire de linguistique formelle (équipe de recherche associée au CNRS, ERA 642 : Acte de langage et théorie de l'énonciation, département de recherches linguistiques (DRL), collection université paris VII, France, 1985, p36.

<sup>(4)</sup> Oswald Ducrot : dire et ne pas dire (principes de sémantique linguistique) collection savoir : sciences, hermann, 3<sup>ème</sup> édi., paris, France, octobre, 1991, p266.

بأمرين: الأول أن تسند إلى ضمير المتكلم في المضارع. والثاني أن ترتبط بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها و عدمه<sup>(1)</sup>.

ثم يميز أفعال الرأي هذه، عن قسم آخر من الأفعال يسمى أفعال الحجاج "التي تختلف عنها في أنها لا تمثل رأياً لشخص، ولكن تعني الافتراضات المسبقة للرأي، نحو: برهن، بين، قَدَّ"<sup>(2)</sup>.

-ديترو وريكاناتي<sup>(3)</sup>: هما من الذين انتقدوا أوستين في بعض أقسام الأفعال، إلى جانب

(بنفنست) و(سورل) وغيرهما. واقترحا أربعة أقسام فقط، هي:

-أفعال إنجازية.

-أفعال إدراكية.

-أفعال قوة الإنجاز.

-أفعال قوة الإدراك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>(1)</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 269.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص 267.

<sup>(3)</sup> ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 69-70.



## 2- الملفوظية L'énonciation:

أشار إلى هذا المصطلح (شارل بالي) في كتابه "اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية"<sup>(1)</sup>، كما تحدث (أوستين) في كتابه المذكور سابقا عن دور الملفوظ الذي يقوم بوصف وضعية معينة، أو بتعيين حدث<sup>(2)</sup>.

وتقوم فكرة الملفوظية أساسا على جهود (بنفنست) في شرح ثنائية سوسير (اللغة والكلام)، التي عرفت احتجاجا من طرف اللسانيات الحديثة عموما؛ حيث انساق اللسانيون بداية من الستينيات إلى إعادة تأويل هذه الثنائية؛ مؤكداين بأنه في الملفوظية لا يؤخذ كل شيء من الفرد<sup>(3)</sup>. وبين بنفنست أن ثمة فرقا عميقا بين اللغة بوصفها نظاما من الأدلة، واللغة بوصفها ممارسة يضطلع بها الفرد، وهذا المستوى الأخير هو أساس تحليل الخطاب في نظره خلافا لمذهب سوسير.

ويؤرخ لنا الدارسون من نهاية الخمسينيات؛ حيث بدأ يتسع مجالها انطلاقا من التأملات المنهجية لبنفنست وياكسون<sup>(4)</sup>. ولأنها تقوم على مفهوم الأداء الفردي للغة دون عزله عن شروط التفاعل الأخرى، فإنها نشأت من التداولية، ومن علاقة المتكلم باللغة<sup>(5)</sup>.

ولكن (منقونو) يميز بين نشأتها وبين النشأة التداولية، فيقول: "تتم النظريات الملفوظية التي هي أساسا عمل اللسانيين الأوربيين، بشكل خاص، بطرق الخطابات المؤداة وكيفيات توصيلها (...). بينما التداولية، فقد تطورت أساسا في المجال الأنثوسكسوي حول إشكالية أفعال الكلام"<sup>(6)</sup>.

فهي في نظره تيار مواز للتداولية، وشهدت تطورا أكبر في السبعينيات؛ حيث عرفت دراسات كثيفة. مما جعل حقلها في اللسانيات الحديثة مستقلا، يتضح في أعمال أتباع بنفنست وخلفه<sup>(7)</sup>.

ومما ورد في تعريفاتها التمييز بين تعريف فعل الملفوظ énoncé، والملفوظية l'énonciation، فالملفوظ هو "الوحدات اللسانية الحاملة لمعلومات، ليس عنى مستوى مرجع الخطاب، بل عنى مستوى لافظه"<sup>(8)</sup>.

<sup>(1)</sup> ينظر: جان سرفوي: الملفوظية، ص 07.

<sup>(2)</sup> ينظر: Roland eluerc : la pragmatique linguistique, édition fernard, nathan, (université, information, formation), paris, France, 1985, p147.

<sup>(3)</sup> Dominique Maingueneau : l'énonciation en linguistique française, les fondamentaux linguistiques, la bibliothèque de l'étudiant, nouvelle édition, hachette livre, France, 1999, p09-10.

<sup>(4)</sup> ينظر: D. maingueneau : l'énonciation en linguistique française, p07.

<sup>(5)</sup> ينظر: Josette rey-debove : lexique sémiotique, PUF, en édi. 1979, p57-58.

<sup>(6)</sup> ينظر: D. maingueneau : l'énonciation en linguistique française, p07-08.

<sup>(7)</sup> ينظر: J.M. Adam : linguistique textuelle, des genres de discours aux textes, édit. nathan, paris, France, 1999, p100.

<sup>(8)</sup> Catherine kerbrat : orecchioni : la connotation, presses universitaires de Lyon, thèse de doctorat d'état, Lyon, France, 1977, (pub), p104.



أو هو "الفعل المميز للصوت المنتج"<sup>(1)</sup> و"يكون -على الأقل- جملة (...). ويمكن أن يحمل آثار التلفظ من خلال بروز التصحيحات والتصويبات"<sup>(2)</sup>. فهو في عمومته، من خلال ما دُكر، ما تلفظ به المتكلم، وحافظ على حضور لفظه من خلال وحدات لسانية معينة، تشهد أن هذا الملفوظ لهذا اللفظ.

والمفروضية هي عملية إنتاج الملفوظ، ويكتسي تعريفها الطابع العملي؛ حيث تقابل التوظيف الفعلي للغة، وتشكلها مجموع العوامل والأفعال التي تسهل إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل ذاته، وهو حالة خاصة من حالتهما<sup>(3)</sup>.

فمفهومها يقوم إذا، بالنظر في الاستخدام الفردي للغة<sup>(4)</sup>. ومن أوجز ما عُرِّفت به: "هي فعل إنتاج ملفوظ لساني"<sup>(5)</sup>، أو "تفعيل الخبرة الذاتية Actualisation d'une expérience essentielle"<sup>(6)</sup>. وتمثل ثلاثة خصائص أساسية في نظره، هي<sup>(7)</sup>:

- تؤدي الخبرة الإنسانية في استخدام اللغة، من خلال بروز المتكلم (أنا)، وهي بذلك تسمح بمرور اللغة من الحالة الافتراضية إلى ما يتطلبه الموضوع.

- تكون وفق ما يريده المتكلم.

- نتيجتها أن الخطاب يسمح بوصف العالم وتقدير الحاجات المرجعية.

(1) -D. maingueneau : les termes clés de l'analyse du discours, p36.

(2) -J.rey-debove : lexicque sémiotique, p57-58.

(3) ينظر: -جان سرفوي، الملفوظية، ص07.

و -J.rey-debove : lexicque sémiotique, p52.

D. maingueneau : l'énonciation en linguistique française, p09-10.

(4) - D. maingueneau : l'énonciation en linguistique française, p07.

- D. maingueneau : les termes clés de l'analyse du discours, p36.

(5) و(6) ينظر: Jean Caune : esthétique de la communication, p97-98.

(7) ينظر: المرجع نفسه، ص96.

### 3- الحجاج : Argumentation

هو مجال عني من مجالات التداولية يشترك مع العديد من العلوم الأخرى<sup>(1)</sup>. يُعدّ ضمن الحقل التداولي، لكنه انبثق من حقل المنطق والبلاغة الفلسفية<sup>(2)</sup>. يرتبط مفهومه بالفعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما<sup>(3)</sup>. فهو - كما يبدو - يقوم في مفهومه على صناعة الجدل والخطابة. بل إن من الدارسين حديثا من عدّه خطابة جديدة، لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة<sup>(4)</sup>.

وفي تعريفه "يمكن أن يُفهم بما هو مركب منه (حجة / Argument)، ويمكن أيضا أن يُعرّف معمّيا بأنه معالجة المشكلات الكلامية، مما يتطلب مواجهة حجائية"<sup>(5)</sup>.

وبتعريف مختصر، هو: "طريقة عرض الحجج وتقديمها"<sup>(6)</sup>، أما الحجة تحديدا، فقد عرّفت في معجم اللسانيات لجورج موان، بقوله: "هي العناصر غير اللسانية المشاركة في التعبير، والتي لها علاقة مع محل الجملة الذي هو النواة"<sup>(7)</sup>. وتلخص مباحث الحجاج حديثا في الأعمال التالية:

#### ٢- الحجاج عند (بيرلمان) و(تيتكا):

لقد أسهمت بحوثهما في كشف جوانب عميقة من البلاغة. بوصفها تأملا في اللغة والفكر لا سيما من خلال كتاب (شام برلمان) في 1958، بعنوان (البلاغة الجديدة)، وكتاب آخر ألفه بالاشتراك مع (تيتكا) بعنوان (دراسة الحجاج) الذي درس فيه التقنيات التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم<sup>(8)</sup>.

والحجاج في نظرها يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت محدد، إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، فمبعثه - إذا - هو الاختلاف، وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار؛ حيث يقف فيه

<sup>(1)</sup> ينظر: D. Maingueneau : l'analyse du discours, p228.

<sup>(2)</sup> ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند (بيرلمان) وظهوره في البلاغة المعاصرة (مقال) مجلة عالم الفكر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج 28، ص 28. مارس 2000، ص 58.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص 57.

<sup>(4)</sup> ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة موب، منشورات كلية الآداب، موب، سلسلة: لسانيات، مج 13، تونس، 2001، ج 1، ص 31.

<sup>(5)</sup> Georges vignaux : l'argumentation (essai d'une logique discursive), librairie droz, Genève, paris, France. 1976, p02.

<sup>(6)</sup> المرجع نفسه، ص 2.

<sup>(7)</sup> Georges Mounin : dictionnaire de la linguistique, p40.

La nouvelle rhétorique.  
Traité de l'argumentation.

- Perlman et Tyteca: traité de l'argumentation, p05.

<sup>(8)</sup> نقل عن: المرجع نفسه، ص 40 وعبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 31.

الأخر المحاجج موقف الشريك المتعاون، لا موقف الخصم العنيد، من أجل تحقيق غاية، وهي: استمالة المتلقي لما يعرض عليه، وأن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وحيالاته وإقناعه<sup>(1)</sup>.

وذكر أيضا أنه على ضربين<sup>(2)</sup>:

-الأول: تمثله البلاغة البرهانية؛ حيث يقوم على البرهنة والاستدلال، ويتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة، يعتمد على العقل، وهو خاص بالفيلسوف، جمهوره ضيق، وغايته بيان الحق.

-الثاني: حجاج أوسع من السابق، يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي، وغرضه دغدغة العواطف والإثارة والأهواء، استنفارا للسامعين.

ويعتمد مبحث الحجاج حديثا على ما ذكر من أعمالهما، وعلى أعمال الآخرين، نحو:

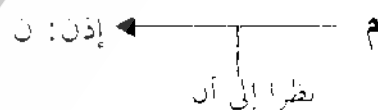
(تولين) و(ديكرو) و(أنسكومير)<sup>(3)</sup>...

فيه: الحجاج عند (س-إ-تولين):

اتضح مفهومه للحجاج من خلال بحثه المقدم في (1958) بعنوان (the uses of argument)

الذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام العادي للغة، وعرض ذلك بعدة رسومات بيانية على ثلاث مراحل، ترجمها (عبد الله صولة) عنى النحو<sup>(4)</sup>:

-الأول: يمثل حجاجا ذا ثلاثة أركان أساسية هي: المعطى أو المصرح به، (م)، والنتيجة (ن) والضمآن -يكون ضمنيا- (ض)، ويصاغ على النحو:



ومثاله: م (محمد جزائري) ← إذن: ن (هو ليس شيعيا)

نظرا إلى أن: ض (أغلبية الجزائريين ليسوا شيعية)

<sup>(1)</sup> - Perlman et Tyteca: traité de l'argumentation, p59

نقلا عن: - عبدالله صولة: الحجاج في القرآن، ص31.

و- جميل عبد الحميد: البلاغة والاتصال، دار عرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص105 ومايلها.

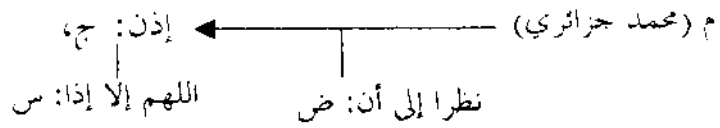
<sup>(2)</sup> - Perlman et Tyteca: traité de l'argumentation, p01 - نقلا عن: عبدالله صولة: الحجاج في القرآن، ص32.

<sup>(3)</sup> D. Maingueneau : aborder la linguistique, collection « lettre », dirigée par Jacques générént et Edmond Blanc, édi. Seuil, février 1996, p46-47.

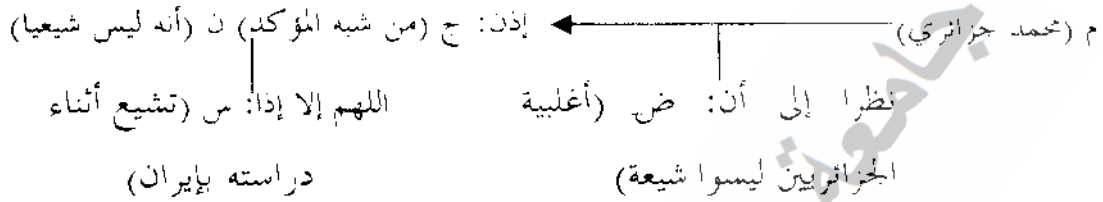
<sup>(4)</sup> S.E. Toulmin : les usages de l'argumentation, p122-128 et 137.

نقلا عن: عبدالله صولة: الحجاج في القرآن، ج1، ص26-28. والأمثلة من نسج (تولين)، ترجمة (صولة) بتصرف، مع تعديل ألحقه هذا البحث.

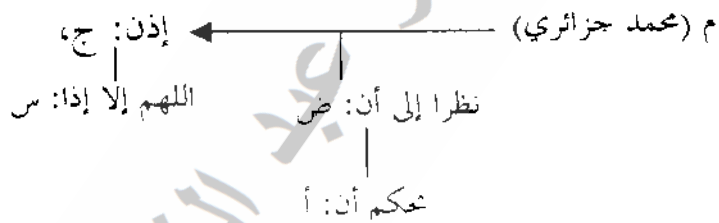
-الثاني: يمثل حججا أدق من السابق بإضافة الموجه (ج)، والاستثناء (س) الذي يحمل عناصر رفض القضية:



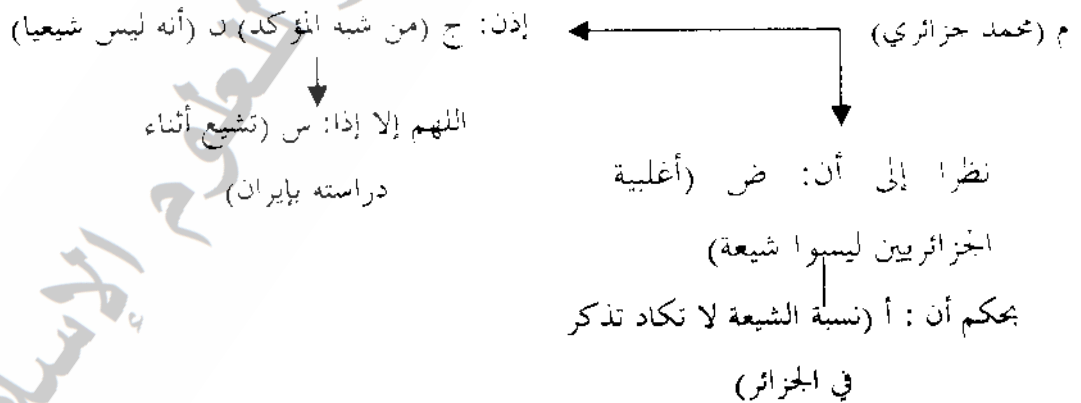
مثال:



-الثالث: يمثل حججا أكثر دقة، بإضافة عنصر الأساس (أ) الذي يبيّن عليه الضمان (ض)، فيكون على النحو:



ومثاله:



جـ - : الحجاج عند (ديكرو) و(انسكومبر):

عرضا مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما (l'argumentation dans la langue) في 1983. وهو يختلف عن المفهومات السابقة، لأنه حجاج لساني (لغوي) بحت<sup>(1)</sup>. وقد حصراه في اللغة ودراستها، دون الاهتمام بما هو خارجها؛ فـ "يكون بتقديم المتكلم قولاً (ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) (...) فهو إنجاز لعمليتين، هما: عمل صريح بالحجة من ناحية، وعمل بالاستنتاج من ناحية أخرى، سواء أكانت النتيجة مصرّحاً بها أم مفهومة من (ق1)"<sup>(2)</sup>.

وقدم ديكرو إلى جانب ذلك تحليلاً ستماء (آلية المعنى)<sup>(3)</sup>، يبين من خلاله أن الجملة في اللغة تُدرس بالمكوّن اللغوي (النسائي) الذي يخصّها بالدلالة، ثم تعالج هذه الدلالة بالمكوّن البلاغي الذي يخصّها بمعنى؛ هو معنى الملفوظ.

ويقوم المكوّن البلاغي بدورين: الأول أن يعطي مخرجاً أولياً تمهيدياً للمعنى، والثاني أن يقابل هذا المعنى الأولي بتحديد السياق الملفوظي، مما يفرض معرفة قوانين الخطاب الذي ذُكرت سابقاً.

<sup>(1)</sup> ينظر: D.Maingueneau : aborder la linguistique, p47.

<sup>(2)</sup> J.C. Anscombe et O. Ducrot : l'argumentation dans la langue, p08.

نقلا عن: عبدالله صولة: الحجاج في القرآن، ج1، ص36.

<sup>(3)</sup> ينظر: R. Eluerd : la pragmatique linguistique, p184-185.

#### 4- التفاعل والسياق: l'interaction et contexte

يُعدّ موضوع التفاعل من أهم معارف الفلسفة اللغوية الحديثة التي نشأت في كنفها التداولية، وهو مرتبط بفكرة أفعال الكلام؛ حيث ميز فلاسفة اللغة بين مصطلحي: الحدث والعمل، فالحدث له تصور فلسفي محض يشمل مفهوم تغيير الشيء، من حال إلى حال أخرى في زمن معين. والعمل تغيرات جسمية مرئية، خارجية، مُدركة، ويمكن التحكم فيها؛ فمجال مفهومه مادي عملي، بخلاف الحدث ذي المجال الفلسفي.

ويرتبط مفهوم الفعل بهذين المصطلحين؛ ومجاله لعوي محض؛ لأننا حين نفعل شيئا ندرك أنه يوجد تغير في الجسم أو في غيره. فإن اقترن هذا الفعل بقصد؛ أي نية الإنجاز، كان حدثا (الحدث الكلامي مثلا)، وإن لم يقترن كان عملا (نبض القلب، ما يفعله النائم...) (1).

ويبني فلاسفة اللغة على ذلك أن الحدث الذي يمثل سلوك الإنسان عن غيره هو التفاعل الذي يُعرّف بأنه "سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين" (2). ويكون حينها الغرض من استعمال اللغة هو إنجاز أحداث اجتماعية، وتحقيق التفاعل، بما يحققه هذا الاستعمال من تأثير متبادل بين مرسل ومتلق، بالأدلة اللغوية، في شروط سياقية ومقامية محددة.

ولقد تطور بحث التفاعل في بدايته مع اللسانيين الاجتماعيين، نحو (فيرث)، (مالينوفسكي)، (هايمز)،...؛ حيث انتقد بعضهم اللسانيات التوليدية التحويبية، لأنها عكفت على دراسة اللغة المنوال، بعيدا عن اللغة الاجتماعية. وحددوا الهدف من هذا الاتجاه، في دراسة اللغة في محيطها الاجتماعي، وتحليل ما ينتجه المتكلمون في مكان وزمان محدّدين، وبطريقة معينة، ولأغراض معروفة... وبذلك يكون الكلام المتصل هو وحدة التحليل لديهم لا الجملة، كما عند تشومسكي (3). ثم تطورت بحوثه أكثر مع أعمال (أوستين) و(سورل) وغيرهما من الذين ربطوا دراسة اللغة بمفهوم التواصل.

ويتجاوز مفهومه الاستخدام العادي للغة، إلى استخدامها الفني، فيكون كل ملفوظ أو مكتوب خاضعا لمبدأ مرسل ومتلق ضمن المفهوم العام للتفاعل، أساسه: "أن يقدر السامع على تأويل الملفوظات" (4). بمحاولته إدراك الأبعاد اللغوية في السيرورة الاجتماعية (5).

(1) راجع في ذلك: فان ديك، علم النص، ص 120 وما يليها.

(2) المرجع نفسه، ص 128.

(3) ينظر: نايف حرما وعلي حجاج: اللغات الأجنبية؛ تعليمها وتعلمها، سلسلة عالم المعرفة، شهرة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

الكويت، شوال/ 1408 هـ - يونيو 1988، ص 40 وما يليها.

(4) D. Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, p08-09.

(5) ينظر: ييار أشار: سوسولوجيا اللغة، ص 23.

ومما تتضمنه بحوث التفاعل، دراسة القدرة التواصلية للمتخاطبين، وهي مجموع القواعد التي تُمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج عبارات لغوية سليمة وفهمها في مواقف تواصلية ، قصد تحقيق أغراض معينة<sup>(1)</sup>، معتمدة في ذلك على قدرات الفرد النحوية، وقدراته التداولية. كما أنهم حددوا شروطاً لفعل التواصل، لخصها بعضهم في<sup>(2)</sup>: تسلسل الوحدات اللغوية داخل القول، السياق اللغوي والمقام التواصل، موقف كل من المتكلم والسامع من الخطاب. وتعدّ دراسة السياق محلّ اهتمام القضايا التداولية جميعاً، لأن تحليل الجمل يخضع إلى السياق، وكذلك تحليل أفعال الكلام، وقوانين الخطاب، ومسائل المنطوية، والقضايا الجحاجية وغيرها. وربما يمكن القول بأن اهتمام اللغويين التداولي كونه ينصبّ في بحث مدى ارتباط النص بالسياق. ومما عرّف به أنه "علامات شكلية تكون في المحيط النساني الفعلي (...)"<sup>(3)</sup>. ويشمل مدلول المحيط النساني: مستخدم اللغة (المتكلم: السامع): الحدث الذي ينجزه، النظام اللغوي المستخدم، مواقع مستخدم اللغة، أنظمة المعايير الاجتماعية والعادات والالتزامات... إلى غيرها من العناصر التي تحدد بنية المنطوق وتفسّره<sup>(4)</sup>.

ولسعة هذا المدلول أحجم آخرون عن تحديده، نحو قولهم: "السياق مفهوم مركزي يمتلك طابعه التداولي، ولكننا لا نعرف أين يبدأ وأين ينتهي"<sup>(5)</sup>، ولذلك تعددت أنواعه، فذكروا:

- السياق الظرفي أو الفعلي: يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانياً ومكانياً.
- السياق التداولي (الموقفي): يتضمن الغايات الممارسة خطايا.
- السياق الاقتضائي: يرتبط بخدس المتخاطبين.
- السياق اللغوي (النص المساعد): هو مجموع الكلمات المجاورة التي تحدد مدلول الكلمة.
- السياق غير اللغوي: هو مجموع الظروف الاجتماعية التي تحدد مدلول الخطابات.

إلى جانب السياق الثقافي، العاطفي،... وغيرها<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: أحمد التوكّل، الوظيفة بين الكلية والمنطقة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2003، ص 19.

(2) ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 256.

(3) G. Mounin : dictionnaire de la linguistique, p83.

(4) ينظر: فان ديك: علم النص، ص 117-118.

(5) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 48.

(6) للتوسع يُراجع: المرجع نفسه، ص 48-49.

وأهم ما عرض له الدارسون في موضوع السياق (contexte) أنهم ميزوا بينه وبين المقام (situation)، دحضا لبس شائع عند الكثيرين وهو أنهما متداول واحد. فعرفوا المقام بقولهم: "إنه مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الاحتفال بها حتى يوفق في إنجاز فعله اللغوي"<sup>(1)</sup>.

ومن عناصره: المشاركون في التبليغ، مكان التفاعل، القول، مقاصد المتكلمين... ويتلخص في مجموعة الشروط الاجتماعية والتاريخية والعوامل غير اللسانية التي يتحدد بمقتضاها إنشاء عبارة أو عبارات في زمان ومكان ما<sup>(2)</sup>. فهو بهذا المفهوم يرتبط بشكل مباشر بالموضوع أو الفعل اللغوي، أو الوضع العام المرتبط بالكلام، والذي إن غُيّبت عناصره، لا يكون كلام.

ويميز جورج مونان صراحة بينهما في معجمه، فيقول: "وينبغي تمييز السياق الذي هو لساني، عن المقام الذي هو الخيرة غير اللسانية (...). في المقام، نشير إلى قلم على الطاولة، قائلين: أعطني إياه. ونكتب مقابل ذلك: أعطني القلم الذي عنى الطاولة؛ راثنين المقام الغائب إلى السياق اللساني"<sup>(3)</sup>. فعبارة (الذي عنى الطاولة) توضّح السياق، وتعني عنها الإشارة باليد أو غيرها في المقام.

فالسباق - إذا - ذو مفهوم لساني، أما المقام فوضعي غير لساني، ولذلك إذا قلنا: سياق المقام (contexte de situation) أو سياق الموقف الاتصالي، فإن مدلوله لا يختلف عن مدلول السياق لسانيا<sup>(4)</sup> لأن في ذلك دحما لما هو لساني بما هو غير لساني، ويعني: "المعطيات التي يشترك فيها المرسل والمتلقي حول المقام الثقافي والنفسي، والتجارب المشتركة بينهما، والمعارف الخاصة بكل منهما"<sup>(5)</sup>. والعلاقة بينهما علاقة تكامل؛ حيث يسمح المقام بإزالة الإبهام عن الجملة، ويعني المعلومات التي يعطيها لتلا تكون بحاجة إلى التعبير عنها باللغة<sup>(6)</sup>.

<sup>(1)</sup> الخليلي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 40.

<sup>(2)</sup> ينظر: - Jean Dubois et autres : dictionnaire de linguistique, la rousse, paris, France, 1988, p 120.

<sup>(3)</sup> - G. Mounin: dictionnaire de linguistique . p 83-84.

\* وستبين فرقا غير مختلف عن هذا، في التمييز بينهما معجميا في الدرس العربي، الفصل الموالي بعون الله.

<sup>(4)</sup> ينظر: - Anne bonne et André joly : dictionnaire terminologique de la systématique du langage, l'harmattan, paris, France, 1996, p112.

<sup>(5)</sup> - Jean Dubois : dictionnaire de linguistique. p 120.

<sup>(6)</sup> ينظر: - Christian baylon et Paul fable : la sémantique. p 135.



## 5- الوظائف التداولية: Les fonctions pragmatiques

من أهم ما تميّز به الدرس التداولي تحديده لما يُعرف بالوظيفة التداولية للغة؛ حيث تجاوز فكرة الوظيفة الوحيدة للغة (التواصل) التي هيمنت زمنا طويلا، إلى تعدد الوظائف، وأهمها أن اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني، وتبني عليها تغيرات في المواقف والآراء.

والحق أن فكرة تعدد وظائف اللغة نشأت مبكرا، قبل نضج الدرس التداولي، مع (رومن ياكسون) في مخطظه المعروف للتواصل، وتوعدت مع دارسين آخرين، نحو (بوهلر) و(هاليداي)، وغيرهما.

والوظيفة -لسانيا- حسب معجم (ديبوا) هي: "الدور الذي تؤديه الوحدة اللسانية (...). في البنية التركيبية للملفوظ، ويعدّ كل عنصر من الجملة مشاركا في معناها العام..."<sup>(1)</sup>.

وفي معجم (جورج مونان) "تقوم وجهة النظر الوظيفية في تحليل لساني على وصف بنية لغة ما، والتي تُعرّف قبل كل شيء بأنها وسيلة تواصل (...). وفي هذه الحال، كل الوحدات اللسانية والعلاقات المتبادلة بينها، تحلل وتوصف اعتدادا بدورها (وظيفتها) في مؤسسة التواصل"<sup>(2)</sup>.

ومن خلال هذين التعريفين يبدو أن تحديد الوظائف اللغوية التي تكثف البنى اللسانية يقوم أساسا على فكرة التواصل؛ بيان قيمة العنصر أو دوره في الجملة، بعده واحدا من مكونات عناصر الإبلاغ العام، ولذلك عدّت الدراسات الوظيفية نظريات خطاب لا نظريات جملة<sup>(3)</sup>. لأنها تهتم بهذا العنصر بوصفه معطى ضمن سياق ومقام معروفين، ويكتسب قيمته منهما، ويؤدي دوره خلالهما. ولعل أحسن من تناول قضايا الوظائف التداولية في اللغة العربية، هو (أحمد المتوكل)، بما قدمه من تأليفات في الموضوع، يرجع في أغلبها إلى ما عرضّه (سيمون ديك) في نظرية النحو الوظيفي، وبحث مفاهيمها في اللغة العربية أساسا<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> - Jean Dubois et autre : dictionnaire de linguistique, p216.

<sup>(2)</sup> G.Mounin: dictionnaire de la linguistique, p 143-144.

<sup>(3)</sup> بظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بين الخطاب من الجملة إلى النص، ص 25.

<sup>(4)</sup> بظر من ذلك، مثلا: -المرجع نفسه، (2001).

-أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، (1985).

-اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، (1989).

-الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2003.

ولقد ذكر أن التواصل بوجه عام، يقتضي ثلاث بنى متضافرة، هي: البنية التداولية التي تحكمها طبيعة التواصل وشروط الأداء، ثم البنية المكوّنية وتحددها العلاقات القائمة بين الوحدات اللسانية للبنية. وتليها أخيرا البنية الدلالية التي يحددها مستوى تشكيل معنى الملفوظ سياقاً ومقاماً<sup>(1)</sup>.

وتعرض كل من هذه البنى بشكل خاص وظائفها المنوطة بها، حيث تختص البنية التداولية ببيان علاقة التخابر بين المتخاطبين في مقام ما، ويرتبط إسنادهما بكمّ من المعلومات ونوعيتها التي يعتقد المتكلم توفرها عند المخاطب<sup>(2)</sup>.

ومهمة الوظائف التداولية أن تحدد وضعية مكونات الجملة، بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية؛ في علاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها<sup>(3)</sup>. فهي -إذا- وظائف مرتبطة بالسياق والمقام، ومدى إجازيتها، في واقع التواصل.

واستناداً إلى (سيمون ديك)، جعلها المتوكل نوعين: داخلية وخارجية<sup>(4)</sup>. وتسم الوظائف التداولية الداخلية بكونها تسند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها<sup>(5)</sup>، وتشمل وظيفتي المحور والبؤرة. أما الوظائف التداولية الخارجية فغير مرتبطة بعناصر الجملة؛ حيث تستند إلى مكونات خارجة عن السّمْل، وتشمل وظائف المبتدأ والذيل.

وبذلك فمجموع الوظائف التداولية حسب (س. ديك) أربع، ويضيف المتوكل وظيفة خامسة، هي وظيفة المنادى، فيقول: "ونقترح شخصياً أن تضاف إلى الوظيفتين التداوليتين الخارجيتين وظيفة المنادى التي نعتبرها وارداً بالنسبة لنحو وظائف كاف لا لوصف اللغة العربية فحسب، بل كذلك لوصف اللغات الطبيعية بصفة عامة..."<sup>(6)</sup>.

وفيما يلي تعريف هذه الوظائف<sup>(7)</sup>:

<sup>(1)</sup> ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص 73.

<sup>(2)</sup> ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص 109-110.

<sup>(3)</sup> ينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، ص 25.

<sup>(4)</sup> ينظر مثلاً: المرجع نفسه، ص 25.

-أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص 109-110.

-أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية (كاملاً).

<sup>(5)</sup> أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص 110.

<sup>(6)</sup> أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 17.

<sup>(7)</sup> تراجع تعريفات هذه الوظائف في المرجع نفسه، كاملاً.

## i-الوظيفتان الداخليتان:

أ-1-الوظيفة المحور: تستند إلى المكون الدال على ما يشكل المحدّث عنه (محطّ الحديث) داخل الجملة. والمحور هو الذات التي تشكل محطّ خطاب ما، أو الذات التي تشكل موضوع حمولة المعلومات الواردة في الخطاب، نحو/ متى رجع زيد؟ - رجع زيد البارحة: يشكل (زيد) محور الجملتين، وهو محطّ الحديث فيهما، ويؤدّي وظيفة المحور بمقتضى الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة (في الأولى محور الاستخبار، وفي الثانية محور الإخبار).

أ-2-الوظيفة البؤرة: تستند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الجملة. ولا تستند إلى الحمل ولا إلى أحد حدوده؛ نحو/ أغاناً ألقاك؟ (أم بعد غدٍ)، أو إنما زيد مسافر (غير موجود). ويقترح لها المتوكل قسمين:

-بؤرة الجديد: ترتبط بالمكون الحامل للمعلومة المجهولة لدى المخاطب لا المعروفة. ولا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بينه وبين المتكلم.

-بؤرة المقابلة: ترتبط بالمكون الحامل للمعلومة التي هي محلّ شكّ أو إنكار من المخاطب.

## ب-الوظائف الخارجية:

ب-1-الوظيفة المتبدأ: المتبدأ هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه وارداً، نحو، (زيد، أبوه مريض)، ومن خصائصه أنه يكون معرفة لدى كل من المخاطب والمتكلم، وأن تكون إحالته مرتبطة بالمقام؛ أي بالوضع التخابري بين المخاطبين، فجملة (الشجرة تساقطت أوراقها) غير محيلة، لأن الشجرة وإن كانت محلاة بـ(الـ)، فهي لا تقدم معرفة كاملة.

ب-2-الوظيفة الذيل: تُسند إلى المكون الدال على الذيل، وهو الحامل للمعلومة التي توضح معلومة داخل الحمل أو تعلّلها أو تصحّحها، مثل (أخوه مسافر، زيد ساعدي زيد سلوكه، زارني خالد بل عمرو). ومن خصائصه أيضاً الإحالية، وهي مفهوم تداولي مرتبط بالمقام وبالوضع التخابري القائم بين المتكلم والسامع بشكل خاص.

ب-3-الوظيفة المنادى: تُسند إلى المكون الدال على الكائن المنادى في مقام معين. وينبغي التمييز بين النداء بعده فعلاً لغوياً، شأنه شأن الإخبار أو الاستفهام أو الأمر، وبين المنادى بعده وظيفة؛ أي علاقة تُسند إلى أحد مكونات الجملة؛ فالوظيفة التداولية مرتبطة بالمقام، على نحو ارتباط وظيفة المتبدأ أو الذيل...

## ٧- علاقة التداولية بتخصصات أخرى:

### ١- علاقتها باللسانيات واللسانيات البنيوية:

حين الحديث عن العلاقة بين التداولية وبين اللسانيات؛ وتحديدًا اللسانيات البنيوية التي اعتمدت مبادئ سوسير في دراسة اللغة، يشترك الدارسون في قولهم أن التداولية تهتم بالكلام الذي هو غير اللسان، المبعد من مجال دراسة علم اللسان في نظر سوسير، حسب قوله: "اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة"<sup>(١)</sup>؛ أي أن اللسانيات البنيوية تهتم أساسًا بدراسة نظام اللغة، دون الاعتداد بنوايا المتكلم وسياق التلفظ<sup>(٢)</sup>.. وغيرها من القضايا التي تطور الدرس التداولي في كنفها، مما ساق آخرين إلى عد التداولية لسانيات كلام، مقابل لسانيات اللغة التي أوضحها سوسير. مع أن مفهوم "لسانيات الكلام" قد يحصر حدود التداولية، ويقوّض كثيرًا من امتداداتها التي مرّ عرضها في المباحث السابقة. فضلًا عن أن الكلام ليس معزولًا عن اللغة إلا افتراضًا؛ فاللغة لا تتحقق إلا في مستوى الكلام، وتبقى حاملة لأهم خصائص من يؤديها، مهما اجتهد في تجاوز ذلك. فالكلام -إذًا- مظهر من مظاهر تحقق اللغة واقعا؛ ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينهما، مما يفرض الحاجة إلى دراسة متكاملة؛ أن نعتدّ بنظام اللغة دون إلغاء الخصائص الفردية والتمييزية التي تطبعه أثناء الأداء، ونكون بذلك أمام تأويل أوسع للظاهرة اللغوية، وهو هدف تطمح إليه لسانيات سوسير، وترجوه التداولية. لكن تمييزًا دقيقًا يطبع هذه الدراسة المتكاملة؛ فحين تهتم بدراسة نظام اللغة، فإننا نكون أمام وصف النظام وشرح شروطه وقوانينه التي تمثل منظومة مشتركة بين الناطقين بهذه اللغة، وقد لا تختلف في ذلك الوصف ولا في نتائجها.. ونحن بذلك أمام دراسة لسانية.

أما التداولية، فعُرِّفت حصرا في "دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة نظام اللغة"<sup>(٣)</sup>، واستعمال اللغة له تأثيراته على التواصل وعلى النظام اللغوي نفسه. وهذه التأثيرات هي أولى اهتمامات التداولية.

ولقد أقرّ (فرانسوا لاترافارس) في كتابه (البراغماتية؛ تاريخ ونقد) بصعوبة التمييز بين اللسانيات والتداولية، وأول مظاهر تلك الصعوبة -في نظره- أن اللسانيات علم يشتمل على عدد كبير من النظريات والمذاهب المترابطة، بما في ذلك التداولية؛ فنظرية التركيب مثلا يمكن أن تعرف إلى

(١) ف.د. سوسير: علم اللغة العام، ص 33.

(٢) بنظر: -G.siouffi et D.R. raemdonck : 100 fiches pour comprendre la linguistique, p50.

(٣) J. Moschler et anne reboule : dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p17.

جانب بعدها التركيبي، ببعدها التداولي، اعتدادا تعطيات اللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية<sup>(1)</sup>. وكذلك بالنسبة إلى المجالات الأخرى.

لكنه سرعان ما يعترف بأن التداولية تتموقع خارج النظرية اللسانية<sup>(2)</sup>، بناء على ما قدمه (تشومسكي) في مفهوم (الكفاءة) و(الأداء)؛ حيث تمثل الكفاءة الموضوع الأول للسانيات بدراسة (متكلم أو سامع) كامل، خيالي، تصوري، ينتهيان إلى مجموعة لسانية مشتركة كلياً، تعرف لغتها كاملة، وحين تؤديها في الواقع لا تتأكد باعتبارات غير مرتبطة بالموضوع، أو خارجه عن حدود النظام المشترك.

أما الأداء فهو الاستخدام الفعلي للغة في حالات واقعية ملموسة<sup>(3)</sup>، ويمكن تأكيد مقولاته باعتبارات غير واضحة في الظاهر من القول.

نصل أخيراً إلى إيضاح العلاقة بين ما هو (لساني) وما هو تداولي (براغماتي)، التي يعرضها معجم (جاك موشلر) و(آن ريبول)؛ حيث يبديان الحيرة السابقة نفسها؛ "ماذا يعني براغماتي؟ لساني، فيلسوف، نفساني؟"<sup>(4)</sup> ومرد تلك الحيرة - في نظرهما - إلى أن مجموع النظريات اللسانية من البنيوية إلى التوليدية، أكدت تقريباً أهمية اللسانيات التي تنحصر في دراسة نظام اللغة (صوتياً، صرفياً، نحويًا ودلاليًا). ومردها أيضاً أن اللسانيين أنفسهم لم يضعوا مجال التداولية مقارنة بالفروع الأخرى للسانيات، التي حددوها بشكل نهائي [الصوتيات تدرس النظام الصوتي في اللغة والقواعد، علم الصرف يهتم بأبنية الكلم، وعلم التركيب يدرس قواعد النحو ومجموع شروط حمل اللغة، وعلم الدلالة يهتم ببنية المعاني وقواعد دلالة الجملة بناء على دلالة الألفاظ]، ويمكن تلخيص مهمة اللسانيات في دراسة طرق التنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني، بين الشكل وبين المعنى بتعبير أوجز<sup>(5)</sup>.

ولكن البعد التداولي في دراسة اللغة يتجاوز منوال (الشكل، المعنى) إلى مجالات أخرى لا يحكمها هذا المنوال، نحو الملفوظية والحجاج، ومظاهر الاستدلال في اللغة، والتضمين، والاقتضاء، وغيرها... حيث تحكم هذه الموضوعات حالات خاصة، ومقتضيات تجعلها متجاوزة لوصف علاقة شكلها بمعناها.

(1) ينظر: F. latraverse : la pragmatique (histoire et critique), p161-162.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 163.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 163.

(4) J. Moschler et anne reboule : dictionnaire encyclopédique de pragmatique, p18.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص 19-20.

## 2-علاقتها بالنحو والنحو الوظيفي:

لقد سبق الحديث بأن النحو الوظيفي يعدّ أهمّ رافد للدرس التداولي، إلى جانب الفلسفة والنظريات اللسانية الحديثة. بل إن من الدارسين من جعل (الوظيفية) في عموم معناها، تقابل (التداولية)<sup>(1)</sup>. من مبدأ أن خصائص بنيات اللغات الطبيعية تتحدد من ظروف استعمالها. كما أن النحو الوظيفي المقترح من (سيمون ديك) في السبعينيات يجمع بين المقولات النحوية المعروفة، وبين ما عرضته نظرية أفعال الكلام<sup>(2)</sup>.

وإذا عدّ تداول اللغة مظهراً من مظاهرها إلى جانب المعجم والتراكيب، فإنه يمكن القول إن النحو الوظيفي، وهو يحدّد أهدافه في تحقيق كفاية نفسية، كفاية تداولية وكفاية نمطية، يقدم دعائم هامة للتفسير التداولي للخطاب.

ويذهب (سيمون ديك) إلى أبعد من ذلك؛ حين يقترح أن يُدرج النحو الوظيفي ضمن نظرية تداولية وُسعى، أو نظرية لغوية شاملة، تجمع نظريات التواصل اللغوي المختلفة<sup>(3)</sup>.

## 3-علاقتها بعلم الدلالة:

يمثل علم الدلالة فرعاً من فروع علم اللسان الحديث، وبذلك فعلاقته لا تخرج عن علاقة التداولية باللسانيات المذكورة سابقاً، ويرجع أفرادها بهذا الحديث المستقل، إلى سببين: الأول: كل من التداولية وعلم الدلالة، يبحث في دراسة المعنى في اللغة؛ ومن الضروري بيان حدود الاهتمام بالمعنى في علم الدلالة، وحدود الاهتمام به في التداولية، مع أن هذه العلاقة يشوبها كثير من الغموض؛ لذلك، فس"إن التمييز بين السيميائية والبراغماتية ينطوي على ظلال رمادية في التطبيق العملي حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات"<sup>(4)</sup>. وهما وإن اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى)، فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته.

الثاني: من الدارسين من يعدّ التداولية امتداداً للدرس الدلالي، على نحو ما يذهب إليه (لاترافارس)<sup>(5)</sup>. ولم تتضح العلاقة بينهما إلا بعد انتشار محاضرات أوستين، التي كان أول ثمارها هذا التمييز بين مجاليهما<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 08

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 09.

(3) ينظر: أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص 56.

(4) شاهر الحسن: علم الدلالة؛ السيميائية والبراغماتية في اللغة العربية، ص 159-160.

(5) F. latraverse : la pragmatique (histoire et critique), 43.

(6) D. Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, p05.

وسيسير هذا المبحث بينهما انطلاقاً من فكرة (الكفاءة) و(الأداء)؛ حيث يصنف علماء اللغة باتفاق، علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة)، أما التداولية فتصنف ضمن الشق الثاني المتضمن للأداء، الإنجاز واستخدام اللغة<sup>(1)</sup>. فهي بناءً على هذا، تقوم على التبعية لعلم الدلالة الذي يعرف شروط المعنى وحقيقتها؛ وتتم التداولية بعد ذلك بدراسة هذه الشروط حين تربط المعنى بالاستخدام، وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه، وهذه أول نقطة تنفصل فيها التداولية عن علم الدلالة، لأن استخدام المعنى مختلف عن المعنى<sup>(2)</sup>، نحو الجملة: في هذه الأرض حيات سامة؛ فالمعنى الحقيقي (هذه الأرض بها حيات حقيقية سامة). أما استخدامه فمختلف: قد يتجاوز مفهوم (حيات سامة) الحقيقية إلى المجاز، وقد يتجاوز استخدام هذا المعنى أيضاً من الإبلاغ (المعنى الحقيقي) إلى التحذير مثلاً. وهذا الانفصال لا يعني الاستقلال التام القائم على الاستغناء؛ لأن المقولات التداولية تبني على المقولات الدلالية، وربما لذلك، حين عُرضت الفكرة التداولية ضمن الدرس اللغوي عموماً، عُرضت واحداً من مكوناته الثلاثة إلى جانب المكونين الدلالي والتركيب.

كما أنه لا يمكن أن نحصر علم الدلالة في دراسة المعنى بعيداً عن المقام، و"الأصح بأن السيماتيكية تعالج معنى الجملة في إطار أدنى من الإشارة إلى المقام، بينما البراجماتية اللغوية تتولى المعنى ضمن إطار المقام المحدد المعالم والمقاصد"<sup>(3)</sup>.

وهنا يمكن أن يبدو حيزاً للتداخل بينهما، وأن أحدهما يكمل الآخر؛ حيث تعنى الدلالة بتفسير الملفوظات وفق شروطها وقيودها النظامية، وتحدد المعاني الحرفية لها، مع إشارة إلى أدنى مقاماتها، خدمةً للنظام اللغوي، لا لمقاصد المتكلمين. وتصف الكلمات ومعاني الجمل، كما تربطها بالصدق أو الكذب أحياناً؛ نحو المعنى الدلالي/الحقيقي/ للمثال المذكور سابقاً (في هذه الأرض حيات سامة).

وتُعنى التداولية بما وراء ذلك؛ فتربط مقاصد المتكلم أو الكاتب، بالبحث عن المقام المناسب، والشروط التي تضمن نجاح العبارة (في هذه الأرض حيات سامة) في إبلاغ التحذير مثلاً، أو الشروط التي تسمح بنجاحها، دون أن تهم بصدقها أو كذبها، بل بنجاحها أو إخفاقها. وتتجاوز الربط بين معاني الكلمات فيما بينها، إلى الربط بين النص كاملاً وسياق أدائه<sup>(4)</sup>؛ وتكون حينها بين نوعين من

<sup>(1)</sup> ينظر: جون ليونز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الروهاب، مراجعة يونيل عزيز، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق، ط1، 1987، ص 31-32.

<sup>(2)</sup> ينظر: D. Maingueneau : pragmatique pour le discours littéraire, p(04-05).

<sup>(3)</sup> شاهر الحسن: علم الدلالة، السيماتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ص 160.

<sup>(4)</sup> ينظر: فان ديك: علم النص، ص 116.



المعاني؛ معنى يُستقى من الجمل فيما بينها (مجال الدلالة)، ومعنى يُستقى من الوحدة الكلامية كاملة (مجال التداولية).

ويُسلخص هذا التمييز بينهما مثال (جيل سيوفي) و(ريموندونك) في كتابهما، نصّه أن تتصور دخول (أمين) إلى غرفة، تكون نافذتاها مفتوحتين، فيقول لـ(فاطمة): الجو ليس ساخنا هنا. وإجابة (أمين)، ينبغي على فاطمة تأويل الملفوظ المذكور. ولنفترض أنها لسانية، مما يفرض عليها إنشاء إجابة تبعا لمقاربة دلالية أو مقارنة تداولية:

أ-الخطوة الدلالية: كيف يمكن أن تفهم الجملة المذكورة؟ تحكم عليها أولا صحيحة أم خاطئة، وترى على الأقل بأن درجة الحرارة غير مرتفعة إلى درجة الإحساس بها. إذا كانت هذه الفرضية صحيحة وشروطها متوفرة، تكون العبارة قد أدت الحقيقة... وحينها تجيب: نعم، أنت محق. وهنا يستقر التحليل الدلالي؛ حيث توصف الحقيقة وشروط تحقق الملفوظ بجانب السياق، مما يبيّن عليه أن الدلالة عموما تدرس مظاهر مشروطة حقيقة للملفوظ (Vériconditionnel).

ب-الخطوة التداولية: قد تُفهم الجملة المذكورة فهما آخر، وتبني عليه إجابة أخرى، لا علاقة لها ظاهريا بما عرضه (أمين)، وهي: أن تعلق واحدة -على الأقل- من النافذتين، بعد أن تفك رموز رسالة (أمين)، وتقارن معناها بالسياق؛ تقول: أمين لا يشعر بالحرارة، أصابه تيار هوائي حين دخل الغرفة، وتفترض أنه يطلب منها -على الأقل- إغلاق نافذة. فتكون أمام دلالة أخرى مختلفة عن معنى العبارة المشتركة، ويكون (أمين) قد أنجز فعل طلب، ويمثل نجاحا، لأن فاطمة فهمته.

وهنا يستقر التحليل التداولي؛ في فك رموز رسالة المتكلم، من المحتوى المراد، حتى لو كانت الرموز مشتركة، لأنها قد تحتوي على اللامقول والضمي. واعتمادا على ما يزودها به السياق من فرضيات حول قصد المتكلم..

فالتداولية -عموما- تدرس مظاهر غير مشروطة حقيقة للملفوظ (Les nons-vériconditionnel).

\* ورد هذا المثال في: -G. Siouffi et D.V. Reamdonck : 100 fiches pour comprendre la linguistique, p50-51.

وقد نصّرَ البحث في نص المثال في بعض جوانبه وفي الاسمين (أمين) و(فاطمة)، بدل (Pierre) و(Marie).



#### 4-علاقتها باللسانيات النفسية:

إن إجابة (فاطمة) السابقة في الخطوة التداولية تعتمد كثيرا على جانب شخصيتها بعدّها سامعا، وتستند إلى سرعة البديهة، وحدة الانتباه، وقوة الذاكرة الشخصية، والدكاء، وبعض جوانب الطبع... وهي كلها عناصر تشرح منكة التبليغ الحاصلة في الموقف الكلامي. ولها تأثير كبير في أداء الأفراد. وبذلك، فإن التداولية تعتمد في درسها على مقولات اللسانيات النفسية في هذا المجال.

#### 5-علاقتها باللسانيات الاجتماعية<sup>(1)</sup>:

تتشارك اللسانيات الاجتماعية في ظروف نشأتها والبدائل التي عرضتها مع التداولية؛ حيث نشأت ردّ فعل على اللسانيات البنيوية التي أبعدت المكون الاجتماعي في اللغة، واقترحت في ذلك أن تُدرس اللغة استنادا إلى مباحث أفعال الكلام.

ومن خلال هذا الاشتراك، يبدو أن للتداولية تداخلا كبيرا مع اللسانيات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، على موضوعه، وبيان مراتبهم وأجناسهم، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار التنوعات اللغوية البارزة في كلامهم.

#### 6-علاقتها باللسانيات التعليمية<sup>(2)</sup>:

لقد عرفت التعليمية أو صناعة التعليم ثراء كبيرا في العصر الحديث، استنادا إلى مقولات اللسانيات الاجتماعية السابقة، وإلى بحوث التداولية أساسا، حيث تؤكد بأن التعليم لا يقوم على تعليم البنى اللغوية دون الممارسة الميدانية التي تسمح للمتعلم بالتعرف على قيم الأقوال وكميات الكلام، ودلالات العبارات في مجال استخدامها، إلى جانب أغراض المتكلم ومقاصده، التي لا تتضح إلا في سياقات مشروطة.

وتجاوزَ التعليمُ مهمةَ التلقين لتحصيل كفاءة، إلى مهمة تحصيل الأداء بتوفير حاجات المتعلم والاقتران على تعليمه ما يحتاج إليه، والاستغناء عما لا يحتاج إليه من أساليب وشواهد تُثقل ذهنه. كما أن البحوث التداولية أسهمت في مراجعة مناهج التعليم، ونماذج الاختبارات والتمارين وفق الظروف السابقة، وعدّت البعد التداولي للغة (ممارستها واقعا) أحد أهداف العملية التعليمية. وإلى جانب ذلك، فقد انتقدت طرق تدريس اللغات الأجنبية التي تتعامل مع لغات مثالية وأناس مثاليين، في مواقف مثالية.. بعيدا عن أي سياق اجتماعي. مما جعل الدارسين أنفسهم يعتقدون أن ظاهر اللغة

<sup>(1)</sup> راجع: الحيلال دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص45-46.

<sup>(2)</sup> راجع في هذا الشأن: - المرجع نفسه، ص46.

و- ناهب خرما وعلي حجاج: اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، ص219.

هو الهدف من تدريسها، فاهتموا بالشكل، ولم يُعلّموا اللغة التي هي في جوهرها ملكة استخدام اجتماعي. ودعت إلى تجاوز تدريس أنماط الترميز (القواعد اللغوية..) إلى تدريس أنماط التأطير (ما يتعارف عليه المجتمع في الحديث، طقوس التحاور، العبارات الاصطلاحية...).

#### 7- علاقتها باللسانيات النصّية وتحليل الخطاب:

يكاد لا يختلف مصطلح الخطاب عن مصطلح النص، وربما رادفه في بعض الاستعمالات، وإن كان في الخطاب إيحاء بأنّ النص يتجاوز كونه مجرد سلسلة لفظية لها قوانين لغوية، إلى الظروف المقامية<sup>(1)</sup>. وهو أكثر دلالة على الاستعمال والاستخدام من النص، وتتجاوزه الدراسات اللسانية، إلى جانب السيميائية والأدبية. وهو بهذا المفهوم حقل لللسانيات النصية، لأنه يقوم على "دراسة الاستعمال الفعلي للغة، من خلال متكلمين فعليين، في مقامات فعلية"<sup>(2)</sup>.  
ومجال اللسانيات النصية يتجاوز دراسة الخطاب بعده نصا، إلى عده نشاطا فاعليا أساسا، يعتمد المعارف المقامية والسياقية<sup>(3)</sup>؛ وذلك من المجالات الثرية للدرس التداولي.

(1) ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص 16.

(2) D. Maingueneau : les termes clés de l'analyse du discours, p11.

(3) تراجع بعض مفاهيم اللسانيات النصية مثلا، في:

- Jean Michel Adam : linguistique textuelles des genres de discours aux textes, édi. Nathan, 1999, paris, France, p34.

- Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, 2<sup>ème</sup> édi.,

Mardaga, liège, 1990

## VI- أهمية التداولية:

تتضح الآن أهمية التداولية من حيث إنها مشروع شاسع في اللسانيات النصية، تهتم بالحطاب ومناحي النصية فيه، نحو: المحادثة، المحاجة، التضمين.. ولدراسة التواصل بشكل عام؛ بدءاً من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصدًا محدد، إلى ما يمكن أن تنشئه من تأثيرات في السامع، وعناصر السياق؛ فهي تتساءل: "إلى أي مدى تنجز الأفعال الكلامية تغيرات معينة أيضاً، وبخاصة لدى الآخرين"<sup>(1)</sup> وتظهر أهميتها من حيث إنها " تهتم بالأسئلة الهامة، والإشكاليات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر، لأنها تحاول الإحاطة بعدد من الأسئلة، من قبيل: من يتكلم وإلى من يتكلم؟، ماذا نقول بالضبط عندما نتكلم؟، ما هو مصدر التشويش والإيضاح، كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟..."<sup>(2)</sup>.

وهي بهذا الطرح، في إمكانها الإجابة عن كثير من الأسئلة التي لم تحب عنها مجموع النظريات اللسانية السابقة، بما عرضته من مفهوم أوسع للتواصل والتفاعل، وشروط الأداء. ولكنها مع ذلك، لا ينبغي مقابلتها بمجال محدد، لأن نشأتها غير المستقرة، جعلت منها تداوليات عديدة؛ نحو: تداولية حقيقية لدى المناطق، تداولية مقارنة لدى اللسانيين، وتداولية الإقناع لدى البلاغيين.. وغيرها.

وإن هذه الصفة تفتح أمامها رهانات عديدة، وتجعل تطورها انطلاقاً لا يُحدّد، وتنوعها غير محصور، وامتدادها غير محدود..

(1) فان ديك: علم النص، ص 131.

(2) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، مقدمة المترجم، ص 4.

## الفصل الثاني

من قضايا اللسانيات التداولية في الدرس العربي القديم  
- محاولة تأصيلية -

- I- في مصادر التفكير اللغوي التداولي عند العرب ومبادئه.
- II - في المجالات المفهومية لمصطلح (تداولية)، في العربية.
- III- من مباحث اللسانيات التداولية في الدرس العربي القديم:
  - 1- في البلاغة العربية.
  - 2- في النحو العربي.

## I- في مصادر التفكير اللغوي التداولي عند العرب ومبادئه :

إن الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في التراث العربي في هذا الفصل، ليس تأصيلاً للمفاهيم المتناولة في الفصل السابق، بقدر ما هو ضروري لبيان الامتدادات المعرفية للمدونة العربية، وتقديم جانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماء العربية قديماً، وإن لم تكن تحظى بالاحتفاء أحياناً من لدن بعض الدارسين، احتفاءً بهم بكل وافد حديث من المقولات الغربية.

والواقع، أن حاجة البحث اليوم إلى مقولات الدرس الغربي الحديث وكشوفاته، لا تلغي بأية حال حاجته القائمة إلى التراث العربي والإنساني على اختلاف مشاربه، لتحديد رؤاه، وضبط أصول المعرفة الإنسانية، لئلا تكون مسيرة للفكر الحديث ومعزولة عن أي مرجعية أو هوية، كما هو واقع اليوم في كثير من المجالات.

ويتناول هذا الفصل عرضاً لقضايا (التداولية اللسانية) بشكل خاص، لحصر مجالها دون الاهتمام بجميع ما يرتبط بالدرس التداولي، بعدّه مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية، وإن كان قد عَسُر على البحث أحياناً الفصل بين آراء الفلاسفة وآراء اللغويين في كثير من القضايا.

ويشمل هذا العرض كل ما يرتبط بالتواصل اللغوي من الاهتمام بالسامع واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلم في صياغة الخطاب وإنتاجه، والإلمام بكل العناصر الفاعلة في الإبلاغ، ومعيار الصدق والكذب في الأساليب وفي الشعر، والمطابقة مع الواقع وعدمه؛ ذلك أن دراسة اللغة في التراث العربي، ميزتها بعض السمات التي هي من أهم المبادئ التداولية الحديثة؛ فقد تناول الدارسون القدماء مثلاً<sup>(1)</sup>:

- أن التكلم يتم لغايات وأهداف أو إشباع حاجات أو الحصول على فائدة.
- تُستعمل اللغة للأغراض والمآرب ذاتها.
- يضيف المتحاورون على الملفوظات دلالات أخرى غير ظاهرة.
- لم تُغفل البلاغة العربية ذلك بل إنها تعتمد مبدأ: "لكل مقام مقال".

(1) ينظر: محمد سويرق: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج 28، ع 3، يناير/مارس 2000، ص 30 .

وقد تعددت أشكال الاهتمام بدراسة الخطاب والإقناع، فتناولوا نص الخطاب في ذاته ودرسوا ما يرتبط بالمخاطب وطريقة أدائه، والمخاطب وطريقة تلقيه، ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر ومخالفته... إلى غير ذلك من المسائل التي يمكن أن يجمعها موضوع التداولية كما يعرضه الفصل السابق، والتي يمكن أن تمثل مبادئ للتفكير التداولي اللغوي عند العرب.

وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتجاه، يقول (سويرتي): "إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيغته بصفته فلسفة وعلمًا، رؤية واتجاهًا أمريكيًا وأوربيًا، فقد وُظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة."<sup>(1)</sup>

ومن أهم مصادر التفكير التداولي اللغوي عند العرب، علم البلاغة، علم النحو، والنقد، والخطابة، إضافة إلى قدمه علماء الأصول الذين يمثلون - إلى جانب البلاغيين - اتجاهًا فريدًا في التراث العربي، يربط بين الخصائص الصورية للموضوع وخصائصه التداولية<sup>(2)</sup>... وغيرها من المجالات الأخرى التي تتعدى مجال التداولية المحدد في الجانب اللساني فقط في هذا البحث.

ولقد عدَّ (أحمد المتوكل) الإنتاج اللغوي العربي القديم يؤول في مجموعته (نحوه وبلاغته وأصوله وتفسيره) إلى المبادئ الوظيفية،<sup>(3)</sup> ومن أهم ملامح ذلك:

- تخصص العلوم المذكورة سابقًا القرآن الكريم، وهو موضوع دراستها. وبذلك فالوصف اللغوي آنذاك لم يكن منصبًا على الجملة المجردة من مقامات إنجازها، بقدر ما نظر إلى النص بعدّه خطابًا متكاملًا.

- بالنظر إلى طبيعة الموضوع المتناول، كان الوصف اللغوي يربط بين المقام والمقال، وبين خصائص الجمل الصورية وخصائصها التداولية.

- يُميّز في الدراسات القديمة بين قسمين من البحوث؛ قسم يعتمد على الاهتمام بالخصائص التداولية تأويليًا؛ مطابقة المقال لمقتضى الحال، نحو (مفتاح العلوم) للسكاكي. والآخر يعتمد على الاهتمام به توليديًا؛ بمعنى أن الخصائص التداولية ممثّل لها في الأساس ذاته، نحو (دلائل الإعجاز) للجرجاني.

- يبرز في هذا المجال اهتمام النحاة والبلاغيين بدراسة أغراض الأساليب، من الدلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يقتضيها المقام، وسيأتي بيان ذلك لاحقًا.

(1) المرجع السابق نفسه، ص 30-31.

(2) ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 35.

(3) المرجع نفسه، ص 35.

ومن القضايا التي اهتم بها علماء الأصول، دراسة العلاقة بين اللفظ وما يحيل عليه<sup>(1)</sup>؛ حيث نظروا إلى العبارات اللغوية مثلا: من حيث أفراد المحال عليه وتعددده، وميزوا بين عبارات عامة تحيل على معان متعددة، نحو (إنسان، كل، مَنْ الموصولة...) وعبارات خاصة تحيل على معنى مفرد، نحو: رجل، قلم...).

ونظروا إليها من حيث تعيين المحال عليه أو عدم تعيينه. وميزوا بين عبارات مطلقة لا يتعين فيها المحال عليه، وعبارات مقيدة تحيل على معنى معين، وهي الفكرة نفسها التي يعرضها اللغويون في باب إطلاق الألفاظ وتقييدها<sup>(2)</sup>.

وهناك بعض نقاط التلاقي بين ما تناوله العلماء العرب القدامى وبين ما يقترحه الوظيفيون المحدثون وفلاسفة اللغة العادية، نحو:

- دراسة ظواهر الإحالة، أو تحليل العبارات اللغوية حسب نوع إحالتها.
  - الاهتمام بدراسة أفعال الكلام.
  - تحدد الوظيفة - جزئيا على الأقل - البنية، مما يستدعي ربط خصائص البنية بالأغراض المستهدف إنجازها باللغة.
  - دراسة مجالات الترابط بين البنية والوظيفة.
- وأقل ما تعنيه مجالات اللقاء هذه بين الفكر العربي اللغوي القديم، وبين ما يقدم حديثا من بحوث في المجالات نفسها، أنه لا يمكن التأريخ لتطور الفكر اللغوي بإغفال حقبة من حقه، ودون ذكر ما أسهم به اللغويون العرب في هذا التطور.
- ويذكر (المتوكل) في موضوع آخر أهم المبادئ المنهجية في الفكر اللغوي العربي القديم، أهمها<sup>(3)</sup>:
- اللغة وسيلة تواصل للتعبير عن الأغراض، وكذلك عرفها ابن جني: "أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(4)</sup>، وهذا التعريف غني بالقيم التداولية، وأهمها: أن اللغة ذات قيمة نفعية، تعبيرية.
  - ربط البلاغيون والأصوليون بين البنية والوظيفة في دراسة اللغة ودرسوا وظائف: التخصيص، التقييد، التوكيد.. وميزوا بين بنية جملة (في دار الرجل) وبنية (رجل في الدار)، تمييزا وظيفيا.

(1) ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 35 وما يليها.

(2) ينظر مثلا: ابن فارس، الصاحي، ص 194.

(3) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 84 وما يليها.

(4) ابن جني: الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين، 1418هـ، ج 1 ص 44.

- يمكن استخلاص أن القدرة اللغوية لدى علماء العربية تحكّمها ثلاث معارف:
- معرفة لسانية (تقتضي معرفة الدلالات والمعاني)، معرفة لغوية (تقتضي امتلاك المتكلم لقواعد لغته)، ومعرفة خطابية (تقتضي أن يملك قواعد إنتاج الخطاب)، وكل منها يقتضي الأخرى.
- وهي لا تختلف عن شروط التداول اللغوي التي يقترحها (طه عبد الرحمن) للمحاورة بأبعادها التواصلية، حيث يجمعها في النقطة الاجتماعية، الإقناعية والاعتقادية.<sup>(1)</sup>
- تميّز الأصوليون بين دلالة أصلية مطلقة تتقاسمها جميع اللغات، ودلالة تابعة خاصة بلغة بعينها،<sup>(2)</sup> والأولى فقط هي التي تقبل النقل والترجمة.
- يجمع علماء الأصول والبلاغيون على أن موضوع الدراسات اللغوية هو دراسة خصائص البنية وعلاقتها بالمقامات المنحزة فيها.
- وعن قيمة المنهج التداولي عموماً، يجعله (طه عبد الرحمن) أهمّ ما يستند إليه في تقويم الدراسة التراثية، لما يتميز به من قواعد محددة، وشرائط مخصوصة وآليات صورية،<sup>(3)</sup> فيقول: "لا سبيل إلى معرفة الممارسة التراثية بغير الوقوف على التقريب التداولي الذي يتميز عن غيره من طرق معالجة المنقول، باستناده إلى شرائط مخصوصة، يفضي عدم استيفائها إلى الإضرار بوظائف المجال التداولي، فضلاً عن استناده إلى آليات صورية محددة".<sup>(4)</sup>
- هذا، وينبغي أن لا تُغفل جهود المفسرين في كثير من المواضع؛ حيث قدموا وقفات أمام آيات قرآنية، عكست تصوراتهم اللغوية، والتي ما إن جُمعت مع أفكار البلاغيين واللغويين وغيرهم، تقترب بوضوح من رؤية اللسانيات التداولية الحديثة إلى اللغة بعدّها نشاطاً تداولياً.
- ومن وقفاتهم تلك، يُذكر تفسير الزمخشري لقوله تعالى: "أذعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن".<sup>(5)</sup>؛ حيث يقول: (بالحكمة) بالمقالة المحكّمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (الموعظة الحسنة) وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها،... (وجادلهم بالتي هي أحسن) بالطريقة التي هي أحسن طرق المحادلة من الرفق واللين من غير

(1) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص2000/2، ص37-38.

(2) ينظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص87.

(3) طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي في العربي، الرباط، المغرب، 1993، ص16 و243.

(4) المرجع نفسه، ص16.

(5) النحل/125.



فظاظة ولا تعسّف...<sup>(1)</sup>، فقد قدم وصفة شارحة لأحوال التواصل، وتوضيحات مقام الدعوة بالحكمة والموعظة، وفق أغراض الحديث ومقاصده، وذلك هو مجال اللسانيات التداولية الحديثة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د-ت ج-د 2 ص 435.

## II- في المجالات المفهومية لمصطلح (تداولية) في العربية:

لقد عدّل هذا المبحث عن استخدام (تعريف بمصطلح التداولية)، إلى استخدام المجالات المفهومية للمصطلح: لأن التداولية في ذاتها- كما مر في الفصل السابق- لا تنحصر في مجال معين، فتكتسب تعريفاً محدداً، ولكن بتعدد مجالاتها، وامتداد اهتماماتها، اكتسبت تعدد مفهوماتها- ولذلك فإن تعبير (المجال المفهومي) سيكون مقارباً بشكل ما لاتساع دلالتها، وموحياً، من ناحية أخرى بهذا الاتساع والامتداد. ويقتصر هذا المبحث على دراسة المجال المفهومي للمصطلح من الناحية اللغوية، لأن الموضوع في مجموعه لا يتعدى التداولية اللغوية أو اللسانية.

### 1- المفهوم المعجمي لـ (التداولية):

يرجع المصطلح إلى مادة (دَوَّلَ)، وقد وردت في (مقاييس اللغة) على أصليين: "أحدهما يدل على تحوّل شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: اندال القوم، إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض. والدولة والدولة لغتان. ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحوّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"<sup>(1)</sup> فمدار اللفظ لغةً هو التناقل والتحوّل، بعد أن كان مستقراً في موضع ومنسوباً إليه، وقد اكتسب مفهوم التحوّل والتناقل من الصيغة الصرفية (تفاعل) الدالة على تعدد حال الشيء كما ينتقل المال من هذا إلى ذاك أو الغلبة في الحرب من هؤلاء إلى هؤلاء... ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج من هذه الدلالات: جاء في (أساس البلاغة): "دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه. وعن الحجاج: إن الأرض ستُدال منا كما أدلنا منها (...). وإليه يداول الأيام بين الناس مرة ثم مرة عليهم، والدهر دَوَّلَ وعُقِبَ وتُوب. وتداولوا الشيء بينهم"<sup>(2)</sup>. وفي معاجم أخرى، الدولة: انقلاب الزمان من حال إلى حال، الدولة: العقبة (النوبة) في المال. وتداولوه: أخذوه بالدول.<sup>(3)</sup> أي توباً، وتداولته الأيدي، أخذته هذه مرة، وهذه مرة.<sup>(4)</sup>

(1) ابن فارس معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجليل ط2، 1991 حس 2 ص314.

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، عرف به أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص139.

(3) ينظر مثلاً الفيروز أبادي: القاموس: المحيط، دار الجليل، بيروت، لبنان، (دلت)، ج4، ص42.. و الرازي: مختار الصحاح، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1987، ص215. و الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994، م-ج 14، باب اللام، ص245. وابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دلت، مادة (دول)، ص252-253.

(4) الرازي: مختار الصحاح، ص215.

وختلاصة هذا المفهوم اللغوي، أن من مجالات لفظ (دول):

- الاسترخاء للبطن بعد أن كان في حال أخرى غيرها (اندال البطن).
- التحوّل من مكان إلى مكان (القوم).
- ... التناقل من أيدي هؤلاء إلى أيدي هؤلاء (المال).
- الانتقال من حال إلى حال (الحرب).
- التمكين من حال دون أخرى (الدولة)، ولذلك فرق العسكري بينها وبين الملك: قال: "الدولة انتقال حال سارة من قوم إلى قوم، والدولة ما يُنال من المال بالدولة فيتداوله القوم بينهم، هذا مرة وهذا مرة"<sup>(1)</sup>.

ومجموع هذه المعاني: التحوّل والتناقل: الذي يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشيء، وتلك حال اللغة؛ متحوّلة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم. ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتاً - بهذه الدلالة - من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية، السياقية... وغيرها.

ومن مجالاته المفهومية بالنسبة إلى اللغة.

- التناقل والتحوّل في المال أو الحرب، بما يحقق الملكة أو الغلبة... وكذلك اللغة تظهر آثار مستخدميتها وكأهم مالكون لها، وتبدو الغلبة في الحديث بينهم، وكأن اللغة نوع من المساجلة.
- الاشتراك في تحقيق الفعل: وكذلك اللغة بمعناها الاجتماعي؛ حين يستخدم الشيء الواحد من قبل الجماعة.

ولقد تناول (طه عبد الرحمن) هذا المفهوم لتقدم منهج التقريب التداولي للتراث الإسلامي، باقتراحه مفهوم المجال التداولي، ومما ذكره: "أن الفعل (تداول) في قولنا: (تداول الناس كذا بينهم)، يفيد معنى (تناقله الناس وأداروه بينهم)"<sup>(2)</sup>. وجعله قسيماً للفعل (دار) الذي من دلالاته نقل الشيء وجريانه، نحو قولنا: دار على الألسن؛ جرى عليها، ليخلص إلى أن المعنى الذي يحمله الفعل هو "التواصل"، ومقتضى التداول - إذا - أن يكون القول موصولاً بالفعل<sup>(3)</sup>.

(1) العسكري: الفروق في اللغة، مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط7، 1991، ص182.

(2) طه عبد الرحمن: تجديد للنهج في تقويم التراث، ص243.

(3) نظر المرجع نفسه، ص243-244.

ومن شواهد استخدامه في القرآن الكريم، قوله تعالى: "مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ" (1) وبيانها: "(كي لا يكون) ذلك الفيء (دولة) يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر وسبيل الخير." (2)، وفصل تفسيرها الزمخشري، قائلا: "كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بُلغة يعيشون بها. جدا بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كي لا يكون دولة جاهلية بينهم، ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة والدولة والغلبة..." (3).

وشرح في موضوع آخر (الدولة) بـ "ما يتداول...؛ يعني كي لا يكون الفيء شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء... والدولة بالفتح بمعنى التداول؛ أي كي لا يكون ذا تداول بينهم أو كي لا يكون إمساكه تداولاً بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء..." (4).

فمجال دلالة (الدولة) العام، هو التداول: أن يكون مرة لدى هؤلاء، ومرة لدى آخرين. ولعل أهم معنى يستأثر به هذا اللفظ هو معنى المشاركة، وتعدد مواضع التداول، وهو المعنى الذي تأخذه إحدى اشتقاقاته في قوله تعالى: "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ، وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ..." (5)؛ أي "ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم" (6).

ومنه أيضاً، قوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ..." (7)، وما ذكره صاحب الكشاف بشأنها: "...نداولها: نُصَرَّفُهَا بَيْنَ النَّاسِ، نُدِيلُ تَارَةً هُؤُلَاءَ وَتَارَةً هُؤُلَاءَ؛ كقوله: وهو من أبيات الكتاب:

فيوما علينا ويوما لنا      ويما نساء ويوما نسرُّ

... يُقَالُ دَاوَلْتُ بَيْنَهُمُ الشَّيْءَ فَتَدَاوَلُوهُ. (8)

(1) الحشر/07.

(2) القرآن الكريم ومامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيحيني، مذيلاً بأسباب النزول للنيسابوري، والمعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم لمروان العظيمة، قدم له وراجعته مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995، ص 546.

(3) الزمخشري: الكشاف، ج4، ص82.

(4) المرجع نفسه، ج4، ص82.

(5) البقرة / بعض الآية 188.

(6) الزمخشري: الكشاف، ج1، ص340.

(7) آل عمران/ بعض الآية 140 .

(8) الزمخشري: الكشاف، ج1 ص466.

## 2- المفهوم الاصطلاحي لـ (التداولية):

تأسيسا على المفهوم العام لـ (Pragmatique) في الدرس اللساني الغربي الحديث، وهو دراسة اللغة حال الاستعمال؛ أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها، فقد اختار (طه عبد الرحمن) مصطلح (التداوليات) مقابلا لـ: (Pragmatique)؛ يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالة على معنيين "الاستعمال" و"التفاعل" معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"<sup>(1)</sup>، ثم يجدد المعنى الاصطلاحي "للتداول"، قائلا: "هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم"<sup>(2)</sup>.

وكثيرا ما يشكو الدارسون حديثا من قلة الاهتمامات بالدراسات التداولية في الثقافة العربية الحديثة بشكل عام<sup>(3)</sup>، مع بروز جهود جادة في هذا المجال، نحو جهود (طه عبد الرحمن)، لا سيما في كتابه (في أصول الحوار وتحديد علم الكلام)؛ حيث يستند إلى المنطق والفلسفة واللسانيات في دراسة التراث، وينطلق من أن الخطاب في حقيقته لغة تبليغية تدللية توجيهية<sup>(4)</sup>، واللسانيات في نظره ثلاثة مجالات<sup>(5)</sup>:

- الدالّيات: تشمل الدراسات العاكفة على الدال الطبيعي، وتمثلها العلوم الثلاثة: الصوتيات الصرفيات والتركيبات.

- الدلاليات: تشمل الدراسات الواصفة لعلاقات الدوال ومدلولاتها، سواء أكانت تصورات ذهنية أم أعيانا في الخارج.

- التداوليات: تشمل الدراسات الواصفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها، وأبواب هذا القسم ثلاثة: أغراض الكلام ومقاصد المتكلمين وقواعد التخاطب.

ثم يقترح شروطا للحوارية بشكل عام، ومما تتضمنه شروط التداول اللغوي<sup>(6)</sup>، وتُلخّص في الشروط النطقية، الاجتماعية، الإقناعية والاعتقادية.

(1) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 27.

(2) طه عبد الرحمن: تحديد المنهج في تقويم التراث، ص 244.

(3) ينظر مصطفى غلقان: اللسانيات العربية الحديثة، 249.

(4) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 27.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ص 28.

(6) ينظر: المرجع نفسه، ص 37 وما يليها.

أما ما قدّمه (أحمد المتوكل)، فقد تقدم الحديث عنه في الفصل السابق، وخلصته أن التحليل التداولي للغة يقتضي الاهتمام بتحديد طبيعة الوظائف التداولية في اللغة العربية التي سبق ذكرها. وأهم ما يميز دراساته الوظيفية للغة أنها تستند إلى التركيب، الدلالة والتداولية<sup>(1)</sup>.

وخلصه هذا المبحث أن أهم ما يميز الدرس اللغوي العربي القديم أنه يقوم على دراسة اللغة أثناء الاستعمال منذ بدايته؛ ومثال ذلك ما يذكره السيوطي في اللغة أنها تؤخذ استعمالاً لا قاعدة، وجعل مخرج كتابه (الاقتراح في علم أصول النحو) هو ما نطقت به العرب بعدّه الأصل في كل ظاهرة؛ يقول: "إذا أتاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه"<sup>(2)</sup> ويظهر من خلال ذلك قيمة الاستعمال وما تتداوله العرب في اللغة، وأهميته في تحديد أساليبها وطرق أدائها.

وإذا ما نظرنا إلى علوم تراثنا العربي من نحو، بلاغة، فقه وأصول، تفسير وقراءات، يعدّها وحدة متكاملة في دراسة اللغة، يمكن أن نميز من اتجاهاتها ما يهتم بوجه استعمال اللغة، وما يتصل بها من قرائن غير لفظية، نحو: مثالة المتكلم وعلاقته بالسامع، وحالة كل منهما النفسية، الاجتماعية والأدائية (حركة، صمت، ظروف التواصل، الزمانية والمكانية... وغيرها)، مما يقدم دراسة تداولية شاملة عرفتها الدراسات اللغوية العربية القديمة.

(1) ينظر مثلاً: أحمد المتوكل: - الوظائف التداولية في اللغة العربية.

- اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري.

(2) السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

ط 1، 1998، ص 116.

### III- من مباحث اللسانيات التداولية في الدرس العربي القديم:

#### 1- في البلاغة العربية والاتصال:

من أهم العلوم المكتملة في الدرس العربي القديم، البلاغة، إذ تمثل علما للاتصال، يتناول كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها، من دون أن نستثني في ذلك شيئا مما له علاقة بالتواصل. وحين يتناولها هذا المبحث، فإنه ينظر إليها من هذه الزاوية؛ من حيث إنها نظرية متكاملة للتواصل. وتعد البلاغة أحسن ما يتناول إبراز العلاقات التداولية في اللغة، لأنها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته: اللفظية والتركيبية والدلالية، والعلاقات القائمة بينها.

وإذا كانت التداولية في أوجز تعريفاتها، هي دراسة مناحي الكلام، أو دراسة اللغة حين الاستعمال، فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها، وبكلمة هي: "فن القول"<sup>(1)</sup>. وأول ما اشتهرت هذه العبارة في الكتاب الشهير لأمين الخولي. ويشمل هذا التعريف الموجز، مجالين واسعين من مجالات اللسانيات التداولية:

- الأول: الفن، وهو كل ما يرتبط بالذوق، والاستخدام الشخصي للغة؛ أي أنه يقابل آثار المتكلمين على كلامهم، وكيف يمكن للمتكلم أن يعدل من موقف سامعه. وهو مجال التداولية الأوسع الذي حدده (بيرس) في دراسة العلامات وعلاقتها باستعملها.

- الثاني: القول، ويشمل الأداء الفعلي للغة؛ أي اللغة في واقع استعمالها. ولذلك لم يفرق بعض الدارسين المحدثين بين التداولية والبلاغة؛ "يرى ليتش" Leitch أن البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع"<sup>(2)</sup>. ولا يميز (محمد العمري) بينهما؛ يقول: "وحدثنا، يعاد الاعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السيميائية تحت عنوان جديد: التداولية"<sup>(3)</sup>. وتتلاقى التداولية التي أرساها (أوستين) في كثير من المفاهيم مع البلاغة القديمة، منذ أرسطو حتى وقتنا الحاضر، لا سيما مع البلاغة العربية في دراستها للإنشاء والخير في باب المعاني<sup>(4)</sup>.

حتى أن من الباحثين من يقول بـ"البلاغة التداولية، التي تقف مهمتها على مطالبة المتكلم بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة"<sup>(5)</sup>.

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، أدبيات، الشركة المصرية العانية، لوجمان، إشراف محمود مكي علي، ط1، 1996، ص123.

(2) المرجع نفسه، ص124.

(3) محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص214.

(4) ينظر: محمد صلاح الشريف وآخرون: تقدم عام للجمع البراهمني، ضمن كتاب (أهم المدارس اللسانية)، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية،

وزارة التربية، تونس، ط2، 1990، ص95.

(5) ينظر: محمد سالم ولد الأمين: مفهوم المحجاج عند (برلمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، ص62.

والمواقع أن البلاغة العربية ازدهرت بعد استواء الشعر العربي، وانتهاء عصر ازدهاره؛ ذلك مما يجعلها علما يتجه إلى دراسة مدونة منجزة في الواقع، ولغة تعددت في مستويات التبليغ.

ولم يتبلور درس البلاغة العربية إلا في مجال النقد التطبيقي والدراسات القرآنية، خلافا لما تذهب إليه بعض الآراء القائلة بافتقاره إلى هذا المجال<sup>(1)</sup>. على نحو ما قدّم (عبد القاهر الجرجاني) في (دلائل الإعجاز) مثلا؛ حيث يُعقّب كل مسألة أو حكم بمثال من القرآن أو الشعر ويحلّله في ضوء المسألة أو الحكم، وهذا ما زاد أبحاث البلاغة ارتباطا بواقع استعمال اللغة، وقوانين الخطاب، وهو المجال الحيوي للسانيات التداولية.

ويلخص (محمد عابد الجابري) مسار البلاغة العربية، قائلا: "يمكن القول بصورة إجمالية، إنّ الأبحاث البيانية قد انقسمت منذ قيامها إلى قسمين: قسم يعتني بـ(قوانين تفسير الخطاب)، وقسم يهتم بـ(شروط إنتاج الخطاب)"<sup>(2)</sup>.

وسيتناول هذا المبحث بعضا من القضايا التي تشترك في تناولها البلاغة العربية القديمة مع اللسانيات التداولية.

#### أ- مفهوم (البلاغة) والوصول إلى المخاطب:

مما تُعرّف به البلاغة حديثا أنها لسانيات ذهنية عامة، بوصفها تأملا في اللغة والفكر، وتتعلق بـ(كل اللغة)<sup>(3)</sup>؛ ذلك أنها تنظر إلى اللغة نظرة متكاملة لا يستقل فيها الشكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال ومقاصد المتكلمين. وقد تناول الدارسون حديثا العلاقة بين البلاغة والاتصال؛ انطلاقا من أن البلاغة من الإبلاغ، وهذا لا يختلف عن مفهوم الاتصال الذي هو إبلاغ أيضا؛ يقول تمام حسان: "وعندي أن المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع على معنى "الإبلاغ"، أو التواصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال"<sup>(4)</sup>.

وكذلك فعل كثير من الدارسين؛ حيث لم يميزوا بين البلاغة العربية وبعض الاتجاهات الحديثة في اللسانيات على نحو ما فعل (محمد العمري) في (بلاغة الخطاب الإقناعي)، مثلا، وهو يذكر أن البلاغة

(1) ينظر: عبد العزيز حمودة: المرايا المنفرة، نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 272، أغسطس 2001، ص316.

(2) محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، (نقد العقل العربي) 2، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 6، أكتوبر 2000، ص20.

(3) ينظر: رولان بارت: قراءة حديدة في البلاغة القديمة، نقل عن: محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بولمان، (مقال) مجلة عالم الفكر، ص54.

(4) تمام حسان: المصلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة (مقال)، مجلة فصول، مج7، ع3، 4، أبريل-سبتمبر 1987



صارت شعبة خاصة بفن التواصل وخطاب الإقناع بـ(الولايات المتحدة)<sup>(1)</sup> وفي سياق حديثه عن مراعاة المقام والحال، يقول: "فالبلاغيون العرب، وإن لم يهتموا كثيرا بالدراسة النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال، ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال السامعين"<sup>(2)</sup>.

وكذلك (أحمد المتوكل) حيث وازن بين مفاهيم الطلب عند السكاكي، وقواعد الخطاب عند جرایس<sup>(3)</sup>، كما ربط (صلاح فضل) بين (مقتضى الحال) و(التداولية) قائلا: "ويأتي مفهوم التداولية هذا، ليغطي بطريقة منهجية منظمة، المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال)، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال"<sup>(4)</sup>.

أما دلالة (بلغ) لغويا، وأصل استخدامها، فقد ذكر (أبو هلال العسكري) أن "البلاغة من قولهم بلغت الغاية: إذا انتهت إليها، وبلغتها غيري. الشيء: منتهاه، ... فسُميت البلاغة بلاغة، لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسميت البُلغة بُلغة لأنك تتبَّع بها فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضا، ويقال: الدنيا بلاغ، لأنها تؤدِّيك إلى الآخرة. والبلاغ أيضا التبليغ، في قوله تعالى: "هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ" إبراهيم/52؛ أي تبليغ"<sup>(5)</sup>.

فالدلالة العامة لها هي الانتهاء، الوصول، والبلوغ؛ وهي هذه الدلالة لا تختلف عن مفهوم الاتصال والإبلاغ، بل إنها تقتضي مفهوم التواصل ذاته.

أما ما ورد في مفهومها الاصطلاحي عند علماء العربية؛ فهو لا يختلف عن هذه الدلالات العامة التي يحيل إليها المعنى اللغوي، وتتحدد في البلوغ الذي معناه الوصول والانتهاء إلى نفوس المتخاطبين، نحو ما ذكر (أبو هلال العسكري): "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن."<sup>(6)</sup>.

فهي تقوم على مبدأ الاتصال، واستخدام اللغة استخداما سليما، يضمن وصول المعاني إلى المخاطبين، كما هي في نفوس المتكلمين؛ بحسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم؛ يقول (العسكري) في

(1) بنظر: محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص14.

(2) بنظر: المرجع نفسه، ص21.

(3) أحمد المتوكل: اقتراحات من الفكر اللغوي العبي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، البحث اللساني والسميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم06، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ماي1981، ص17 وما يليها.

(4) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص26.

(5) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البحوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، 1986، ص06.

(6) المرجع نفسه، ص10.

(معرفة صنعة الكلام وكيفية نظمه): "وينبغي أن تُعرفَ أقدار المعاني فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات؛ فتجعل لكل طبقة كلاماً، ولكل حال مقاماً، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات. واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال."<sup>(1)</sup>. فالتكلم في إنشائه للمعنى يعتدّ بشكل المعاني ونوع المخاطب، وحال الخطاب ومقامه، وهي كلّها شروط لإحراز المنفعة، ونجاح الإبلاغ، ولا تختلف عما تعرضه اللسانيات التداولية حديثاً من شروط نجاح الملقوظ التي عرض إليها الفصل السابق.

وفي صحيفة (معمّر أبي الأشعث) التي ذكر خبرها الجاحظ في (البيان والتبيين)<sup>(2)</sup>، كثيرٌ مما يرتبط بالتكلم منتج الخطاب من شروط نفسية ولسانية وبلاغية: "رابط الجأش... ولا يدقق المعاني كل التدقيق... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم"<sup>(3)</sup>، إلى ما يتعلق بالمعنى ذاته: "ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحال له وفقاً."<sup>(4)</sup>.

وكثيراً ما فصل بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم، على نحو ما سبق عرضه من شروط ترتبط بالمعنى، وأخرى مرتبطة بالتكلم في ذاته؛ فالبلاغة في المتكلم: "ملكة يقندر بها على تأليف كلام بليغ"، وأساسه إفهام المخاطب؛ فهي أيضاً: "أن تُفهم المخاطب بقدر فهمه، من غير تعب عليك"<sup>(5)</sup>، وذكر الجاحظ قول العنابي: "كل كلام أفهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حيسة ولا استعانة فهو بليغ"<sup>(6)</sup>. فمدار بلاغة المتكلم قائم على حسن التأليف، وسلامة الأداء، وإدراك المقاصد، ومطابقة مقاله للمقام؛ ورد في المقدمة: "إذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة"<sup>(7)</sup>.

(1) المرجع السابق نفسه، ص 135.

(2) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، لبنان، د.ت، د.ط، ج 1، ص 92-93.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 92-93.

(4) المرجع نفسه، ج 1، ص 92-93.

(5) ابن رشيقي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، ج 1، ص 244.

(6) المرجع نفسه، ج 1، ص 216.

(7) ابن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، نسخة محققة لولان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، ص 574.

أما بلاغة الكلام فمطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها<sup>(1)</sup>، ومحصولها حسب الباقلاني: "الإبانة في الإبلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى، وأجزل لفظ، وبلوغ الغاية في المقصود بالكلام، فإذا بلغ الكلام غايته في هذا المعنى كان بالغا وبلغا"<sup>(2)</sup>.

فخلاصتها - إذا - أمران: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وحسن تأليفه ليتفيح بغرض الكلام، ويأتي على إقناع المخاطب. ولخصها (الملاحظ) فيما ذكره عن (إبراهيم بن محمد) في قوله: "كفى من حظ البلاغة ألا يوتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يوتى الناطق من سوء فهم السامع"<sup>(3)</sup>، ثم قال (الملاحظ): "أما أنا، فأستحسن هذا القول جدا"<sup>(4)</sup>.

يظهر من هذا العرض الوجيز أن من أهم اهتمامات البلاغة العربية ومجالاتها، الإيصال والإبلاغ، وتناول خلال ذلك كثيرا من شروط هذا الإيصال وظروف أدائه، من أحوال مختلفة للمتكلمين، إلى كل ما يرتبط بالمعنى وملابساته، إلى معرفة أقدار السامعين ومنازلهم... ولها- بهذا المفهوم- مجالات مشتركة مع ما تناوله اللسانيات التداولية الحديثة، وتحمل كثيرا من القيم التداولية في دراسة اللغة. وفيما يلي عرض لأهم قضايا البلاغة العربية التي تشترك في تناولها مع قضايا اللسانيات التداولية، فضلً البحث أن يقسمها على أساس العناصر الاتصالية الثلاثة:

- تداولية المتكلم في البلاغة العربية.

- تداولية الخطاب في البلاغة العربية.

- تداولية المخاطب في البلاغة العربية.

لتكون أكثر دلالة على أن البلاغة العربية درست اللغة حال استعمالها، وبالنظر إلى كل ما يرتبط بالإبلاغ والتواصل من شروط وملابسات.

(1) ينظر: - الجرجاني (الشريف): كتاب التعريفات، مع فهرست، تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية جمعت من الكتب الفلسفية والفقهية واللغوية، ورتبت على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، مكتبة لبنان، ناشرون، ط200، ص47.

- السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وهامشه: أحمد الدمهوري: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت، ص27.

(2) الباقلاني: إعجاز القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص217.

(3) الملاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص87.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص، وذكر القول أيضا ابن رشيق: العمدة، ج، ص246.

ب- الأشكال التداولية في البلاغة العربية :

ب- 1 - تداولية المتكلم في (البلاغة العربية):

للمتكلم دور بارز في البلاغة العربية القديمة، بوصفه منتج الخطاب وبعثه، ولأنه وحده الذي يستطيع تحديد الدلالات ومقاصدها، بل إن المعنى في كثير من الحالات مرتبط بما ينويه وما يقصده. والملاحظ أن هذه نقطة اختلاف بارزة بين الدرس العربي عموماً في كثير من علومه، وبين اللسانيات الحديثة؛ حيث نشأت هذه الأخيرة في بدايتها متمركزة على بنية اللغة الداخلية، دون اعتداد بأي من عناصر البنية الخارجية، بما فيها المتكلم، وظلت كذلك عقوداً، حتى جاءت انتقادات (تشومسكي) الجريئة للمنهج البنيوي الصارم، واعتراضات فلاسفة اللغة على بعض آراء اللسانيات البنيوية، وهناك بدأ الاهتمام بالمتكلم يعدّه أساس فهم المعنى وقصد الدلالة. أما الدرس العربي عموماً، والبلاغي بشكل خاص، فقد قام من بداياته على الاعتداد بمجموع العناصر المسهمة في تشكيل الدلالة، بما فيها المتكلم، وما ينبغي أن يكون عليه من علم بأحوال الخطاب المختلفة، ودراية بأقدار السامعين ومنازلهم، بحيث يخاطب كل سامع بما يناسبه.

ولقد تعددت أشكال الاهتمام به، بحسب درجة بروزه في عملية الخطاب وانحساره، وبحسب تعدد الموضوعات التي تستدعي ذلك، ومنها:

- مما يحتاج إليه الكاتب، بعدّه منتجاً للخطاب، " معرفة اللغة مما تداول استعماله " (1).

- كثيراً ما ترتبط الدلالة والقصد بحال المتكلم التي تحاكي الملابس التي يكون فيها، وسماها ابن جني " الأحوال الشاهدة بالقصود، الخالفة على ما في النفوس " (2)، فيقول: " ألا ترى إلى قوله: تقولُ وصكّت وجهها بيمينها أبعليّ هذا بالرحى المتقاعس؟

فلو قال حاكيا عنها (أبعلي...) من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكراً، لكنه لما حكى الحال، فقال: (وصكّت) عُلِمَ بذلك قوة إنكارها وتعاضم الصورة لها. " (3).

فالحال التي يكون عليها المتكلم أثناء أداء الخطاب جزء من تشكيل الدلالة العامة لخطابه، وكان المعنى الذي يريده ابن جني من هذا البيت، هو مجموع القول (أبعلي...) مع حال (صك الوجه)، مما يشكل قوة الإنكار وشدّته.

(1) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد عبيد الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1990،

ج 1 ص 37 .

(2) ابن جني: الخصائص، ج 1 ص 117.

(3) المرجع نفسه، ج 1 ص 117 .

يظهر الاهتمام بالمتكلم أيضا في تمييز العسكري بين السؤال والاستفهام، يقول: "...وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم. ويجوز أن يكون السائل يسأل عما يعلم وعن ما لا يعلم، فالفرق بينهما ظاهر." (1). وتمييزه بين الخير والحديث؛ فجعل الخير محصورا في "الإخبار به عن نفسك أو عن غيرك" (2)، وكذلك بين الخير والأمر؛ حيث إن "الأمر لا يتناول الأمر لأنه لا يصح أن يأمر الإنسان نفسه، ولا أن يكون فوق نفسه في الرتبة، فلا يدخل الأمر مع غيره في الأمر، ويدخل مع غيره في الخير..." (3).

فتعريف هذه الأساليب جميعا قائم على المتكلم وموقفه من الخطاب، فلا يُعدّ مستفهما إلا إذا طلب الفهم، ولا سائلا إن إذا سأل عما يعلمه وما لا يعلمه، ولا مخبرا إلا عن نفسه أو عن غيره، بخلاف الأمر، حيث لا يكون أمرا إلا لغيره لا لنفسه.

وتعريف الخير ذاته قائم على المتكلم؛ يقول ابن فارس: "الخير ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه" (4)، وكذلك الاستخبار الذي يختلف عنه، فقالوا: "استخبار طلب خير ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام" (5).

ومن أحسن ما يرتبط بالمتكلم من قيم تداولية أنهم ميزوا بينه وبين الكلماتي، وعرفوا المتكلم بأنه "هو فاعل الكلام" (6) تعريفا تداوليا مرتبطا بإخازه الفعل الكلامي حقيقة في الواقع، ولا يُعدّ متكلمًا إلا بذلك.

ومما يرتبط به أيضا، موضوع القصد في الكلام والإبلاغ، وقد تناوله القدماء على اختلاف مذاهبهم واختصاصاتهم؛ جاء في (أساس البلاغة) في مادة (ق ص د): "قصدته وقصدتُ له، وقصدتُ إليه، وإليك قصدي، ومقصدي، وأخذت قصد الوادي وقصيد الوادي (...). رماه فأقصدَه وتَقصدَه: قتله مكانه (...). عضته الحية فأقصدته، وأقصدته المنية (...). ومن المجاز (...). قصد في الأمر إذا لم يُجاوز فيه الحدّ ورضي بالتوسط، لأنه في ذلك يقصد الأسد. وهو على القصد وعلى قصد السبيل، إذا كان

(1) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص 28.

(2) المرجع نفسه، ص 32.

(3) المرجع نفسه، ص 34.

(4) ابن فارس: الصحاح في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له مصطفى الشومري، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963، ص 179.

(5) المرجع نفسه، ص 182، 181.

(6) العسكري: الفروق في اللغة، ص 27.

راشدا.<sup>(1)</sup>، فهو بدلا لتين؛ الأولى لغوية وتعني النية، ونية الوجهة، أو الثانية فمجازية تعني تحديد المسار والوجهة.

وربما جعلوا المعنى جميعا في القصد؛ قال (ابن فارس): "فأما المعنى فهو القصد"<sup>(2)</sup>. والعلامة في ذاتها لدى الدارسين حديثا، تنطوي على قصد المتكلم؛ يقول (المسدي): "إن العلامة تنطوي على القصد، إذ يقتضي دستورها الدلالي توفر النية في إبلاغ ما تفيده"<sup>(3)</sup>.

والواقع أن ما يذكر بشأن المتكلم لا يستقيم إلا بدور السامع؛ حتى إن ما يرتبط بقصد المتكلم، يفترض وجود سامع مقصود بالخطاب. ولذلك فالحديث عن المتكلم هو حديث ضمني عن السامع أيضا، وهذا ما يتضح في أحد أبواب (الصاحبي)، في "باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع"<sup>(4)</sup>.

وللقصد - كما يبدو - مكانة بارزة في الدرس البلاغي، والدرس العربي عموما على تعدد مناحيه، حتى أنه أساس عملية التواصل والإبلاغ، ويقوم عليه تمييز المتكلم فيها؛ يقول (القاضي عبد الجبار): "إن المكلم لغيره إنما يحصل مكلما له بأن يقصده بالكلام دون غيره، ويكون أمرا له متى قصده بالكلام وأراد منه المأمور به..."<sup>(5)</sup> فلا يعد مكلما له ما لم يقصد. وهم لا يختلفون عن النحاة - كما نرى في المبحث الموالي - حيث إن فائدة الكلام عندهم مرتبطة بالقصد.

ويتحدد القصد في موضع آخر في التمييز بين أحوال خطابية مختلفة للمتكلم الواحد؛ فالمتكلم الحاكي يجب أن يقصد الحكاية دون الفائدة، ولذلك لا يكون كاذبا إذا كان المحكي كذبا. والمتكلم ابتداء يقصد الفائدة دون الحكاية.<sup>(6)</sup> وبذلك يعدّ القصد أحد أهم الأسس التي يقوم عليها الاتجاه المقامي في دراسة اللغة عند العرب؛ ذلك أن المتكلم لا يعد كذلك إلا إذا كان لكلامه قصد. وهو في

(1) الرمحمشري: أساس البلاغة، ص 327 (ق ص د).

(2) ابن فارس: الصاحبي، ص 192 .

(3) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، أوت 1986، ص 62.

(4) ابن فارس: الصاحبي، ص 190 .

(5) القاضي عبد الجبار: المغني/72، نقلا عن عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 1/ 1981، ص 2

1986، ص 146 .

(6) القاضي عبد الجبار: المغني ج 17 ص 17، نقلا عن المرجع نفسه، ص 145 .

نظر الأصوليين محدد عنده وثابت لا يتغير<sup>(1)</sup>. وهي الفكرة نفسها التي أشار إليها (تشومسكي) حين انتقد البنيويين وأكد الاعتداد بالمتكلم في دراسة اللغة، لأنه وحده الذي يملك تحديد الدلالة.

كما شدد (ابن القيم) على ضرورة الأخذ بقصد الكلام، في حديثه عن تعليق الطلاق قائلا: "وهذا الذي قلناه من اعتبار النيات والمقاصد في الألفاظ، وأنها لا تلزم بما أحكامها حتى يكون المتكلم بما قاصدا لها مريدا لموجبها، كما أنه لا بد أن يكون قاصدا للتكلم باللفظ مريدا له، فلا بد من إرادتين: إرادة التكلم باللفظ اختيارا، وإرادة موجهة ومقتضاه، بل إرادة المعنى أكد من إرادة اللفظ؛ فإنه المقصود واللفظ وسيلة."<sup>(2)</sup>.

ومفهوم الخير مرتبط بالقصد أيضا لدى (الغزالي)؛ يقول: "يصير (الخير) خيرا بقصد القاصد إلى التعبير عما في النفس"<sup>(3)</sup>؛ وفي هذا تمييز بين الكلام المنجز فعلا وحديث النفس، بمعيار القصد. وللقصد عموما مفهوم تداولي يرتبط أساسا باستعمال اللغة؛ يقول (المسدي)، وهو يقدم لمسألة المواضع في اللغة والقصد في التراث العربي: "القصد هو في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة قصدًا لفائدة معينة طبقا لسنن المواضع العامة في جهاز تلك اللغة، مع تكريس مظهر من مظاهرها العملية في الممارسة (...)"<sup>(4)</sup>.

وعرض البلاغيون العرب في هذا السياق مفهوما رائدا للفاعل، حين تمييزهم بين كون المتكلم حاكيا أو واصفا للكلام. وعد (ابن سنان الخفاجي) الكلام (فعلا) لا يختلف عن الضرب، التحريك، الإسكان (...). في وصف ما هو عليه في الواقع، "لأن أهل اللغة متى علموا أو اعتقدوا وقوع الكلام بحسب أحدنا وصفوه بأنه متكلم"<sup>(5)</sup>، وهو الذي يقع منه كلام "بحسب أحواله من قصده وإرادته واعتقاده وغير ذلك من الأمور الراجعة إليه حقيقة أو تقديرا"<sup>(6)</sup>.

وهذا مذهب فريد في التفكير البلاغي العربي، لا فرق بينه وبين ما يعرضه (أوستين) في بداية تأسيسه لنظرية أفعال الكلام، بافتراضه قسما جديدا سماه (الأفعال الإنجازية) على نحو ما مر عرضه في الفصل السابق. والفكرة نفسها لدى (ابن رشد)؛ حيث يربط الكلام بالفعل؛ يقول: "الكلام ليس شيئا

(1) ينظر: محمود خنة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص 89.

(2) ابن القيم: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق عماد عبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1987، ج 3 ص 75.

(3) أبو حامد الغزالي: المستصفى ج 1 ص 85، نقلا عن عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 146.

(4) المرجع نفسه، ص 145.

(5) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1982، ص 44.

(6) المرجع نفسه، ص 44.



أكثر من أن يفعل المتكلم فعلا يدل به المخاطب علم العلم الذي في نفسه، أو يصير المخاطب بحيث ينكشف له ذلك العلم الذي في نفسه، وذلك فعل من جملة أفعال الفاعل<sup>(1)</sup>.

وبذلك فإن أهم ما يتولد عن القصد مفهوم رائد للفعل في الدرس العربي؛ يعبر عن الأداء الفعلي للغة من طرف المتكلم؛ يقول ابن خلدون في ذلك: "اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني ناشيء عن القصد بإفادة الكلام."<sup>(2)</sup>، وهذا من أحسن تعريفات اللغة التي ربطتها بالاستخدام، والأداء الفعلي لها من المتكلمين المبني على إرادتهم. ويقول في موضع آخر: "إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه. والقصدات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة، يتلو بعضها بعضا، وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل"<sup>(3)</sup>. ويقول: "ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة، أحوال المتخاطبين أو الفاعلين، وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه، لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه."<sup>(4)</sup>؛ فعلى المتكلم أن يكون عارفا بالواقعات، وأحوال الكلام وظروف التخاطب. ومعنى القصد إلى معاني الكلم لدى عبد القاهر الجرجاني "أن تُعلم السامع بما شيئا لا يعلمه. ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تُعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها (...). وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق (...). والأحكام التي هي محصول التعلق"<sup>(5)</sup>. ومحصول تعلق الكلم فيما بينها هو المعنى الواحد للعبارة ولا يختلف بهذا المفهوم عن مفهوم الفعل.

كما يقوم التمييز بين البلاغة والفصاحة عند البلاغيين على كل من المتكلم والكلام في ذاته؛ جاء في الإيضاح "كل واحد منهما (البلاغة والفصاحة) تقع صفة لمعنيين: أحدهما الكلام (...). والثاني المتكلم، كما في قولنا (شاعر فصيح، أو بليغ)، و(كاتب فصيح، أو بليغ)".<sup>(6)</sup> وتظهر فصاحة المتكلم في "ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح"<sup>(7)</sup> فهي تقوم على قدرة ترتبط بالمتكلم في ذاته. فضلا عن أن هذه الشروط لا تختلف عما اقترحه (جرايس) في (شروط الخطاب).

(1) ابن رشد: الكشف عن مباح الأداة في عقائد الملة، ص55، نقلا عن: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص287.

(2) ابن خلدون: المقدمة، ص565.

(3) المرجع نفسه، ص440.

(4) المرجع نفسه، ص545-546.

(5) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، حققه وضبطه وعلق عليه محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، د.ت، ص313.

(6) الفزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتقيح محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1980، ص72.

(7) المرجع نفسه، ص79.



ويستند باب الحقيقة والمجاز إلى المتكلم أيضا؛ حيث ميز البلاغيون بين أربعة أحوال<sup>(1)</sup>:

\* مطابقة الواقع واعتقاده: نحو قول المؤمن: يشفي الله المريض؛ ذلك أن هذه العبارة لا تكفي في ذاتها بقدر ما تستند إلى طبيعة قائلها، وموقفه مما ورد فيها.

\* مطابقة الواقع دون اعتقاده؛ نحو قول المعتزلي، لمن لا يعرف حاله المخفية: خالق الأفعال كلها هو الله.

\* مطابقة الاعتقاد دون الواقع؛ كقول الجاهل: شفى الطبيب المريض.

\* ما لا يطابق واحد منهما؛ نحو الأحوال الكاذبة، والتي يعلم المتكلم حالها دون مخاطب.

ومما جاء في باب صدق الخبر أو كذبه، انفراد (النظام) عن الجمهور بتعريف الصدق؛ بأنه ليس ما طابق حكمه الواقع، بل ما طابق اعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ. والكذب عدم مطابقة حكمه له.<sup>(2)</sup> محتجا في ذلك بقوله تعالى: "وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ"<sup>(3)</sup>؛ حيث كذبهم في قولهم (إنك لرسول الله) وإن كان مطابقا للواقع لأهم لم يعتقدوه. ومحتجا أيضا بأنه من اعتقد أمرا فأخبر به، ثم ظهر خبره بخلاف الواقع، يقال ما كذب ولكنه أخطأ.<sup>(4)</sup> ويختلف عنه الجاحظ؛ حيث إن الصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده، والكذب عدم مطابقته مع عدم اعتقاده.<sup>(4)</sup> ومحصول ذلك أن صدق الخبر أو كذبه، مرتبط بالمتكلم أساسا؛ فيما يراه في الواقع أو ما يعتقد في نفسه.

ومن أهم ما يرتبط بالمتكلم وقصده في الخطاب، موضوع آخر أكثر أهمية، وهو السياق؛ حيث يجعل دلالة غير صريحة إلى جانب دلالة العبارة، نحو الآية القرآنية "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"<sup>(5)</sup> التي تحمل دالتين: الأولى مستقاة من اللفظ، وهي أن النفقة على الآباء. والثانية بالإشارة هي أن نسب الولد إلى أبيه دون أمه، لأن الولد أضيف إليه بلام الاختصاص.<sup>(6)</sup> وهي دلالة مستقاة من سياق الحديث وغرضه.

(1) المرجع نفسه، ص 97-98.

(2) ينظر المرجع السابق نفسه، ص 86.

(3) المنافقون/ 01.

(4) ينظر: القزويني: الإيضاح، ص 86.87.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

(5) البقرة/ بعض الآية 233.

(6) تفسير النصوح: 482/1، نقلا عن: الطلحي ردة الله: دلالة السياق، رسالة دكتوراه (مطبوعة) سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعتها، (33)،

المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ط 1، 1424هـ، ص 45.

ويعدّ حديث السكاكي عن مراتب الكلام (البليغ)، من أحسن مواضع الاهتمام بالمتكلم؛ حيث جعلها بحسب القصود المختلفة. ومثاله الآية الكريمة: "رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي"<sup>(1)</sup>؛ حيث يتدرج في بيان عدول المتكلم من مرتبة كلامية إلى أخرى، بطريقة لا تختلف عما يعرضه دارسو الحجاج المحدثون، حينما يبحثون في مختلف مراحل الاستدلال التي يتوخاها المتكلم لينتقل من جملة إلى أخرى؛ فيذكر أن المتكلم يترك في المرتبة الأولى (يا ربي، قد شخت) لتوحي مزيد التقرير، إلى تفصيلها. ثم يترك مرتبة ثانية (ضعف بدني وشاب رأسي) لاشتمالها على التصريح. ليعدل عن الكناية في المرتبة الثالثة (وهنت عظام بدني) ليؤكد بها (إن)... ويبقى يتدرج في ذلك من بليغ إلى أبلغ، إلى الإجمال والتفصيل، ليترك في المرتبة الثامنة الأخيرة توخيا لشمول الوهن للعظام فردا فردا، جمع العظام إلى الأفراد، ليعيد إمكانية حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد... فيحصل: "إني وهن العظم مني"، فضلا عن أنه بدأها باختصار في البداية من (يا رب) إلى (رب) مما يؤذن باختصار ما يورد<sup>(2)</sup>.

وفي (باب الالتفات)، ذكر السكاكي معنيين يرتبطان بالمتكلم؛ الأول: حالته النفسية، حين ربط بين الالتفات في اللغة وبين تغير الحالة المزاجية للمتكلم.<sup>(3)</sup> والثاني: مكانة المتكلم الاجتماعية، يقول: "وتترك الحكاية إلى المظهر إذا تعلق به غرض فعل الخلفاء؛ حيث يقولون: أمير المؤمنين يرسم لك، مكان أنا أرسم، وهو إدخال الروعة في ضمير السامع وتربية المهابة، أو تقوية داعي المأمور."<sup>(4)</sup> وفي هذا الالتفات عدول عن الخطاب المباشر: أمرك (يقولها الخليفة، أو مدير لعامل..) إلى خطاب آخر باسم المنصب والصفة (أمير المؤمنين يأمرك، المدير يأمرك..). وهذا قصد من المتكلم أن يلفت انتباه مخاطبه إلى ظروف الخطاب ودواعيه، ولوازمه، مما يدفع على تلقي الأمر بهذه اللوازم والظروف، ويربي في نفسه بواعث الالتزام بالأمر وتلقيه... وهذا مجال حي من مجالات اللسانيات التداولية الحديثة.

ومن أشكال الاهتمام بالمتكلم أيضا، ما ذكره من "تزييل الجهول منزلة المعلوم"<sup>(5)</sup> لادعاء المتكلم ظهوره؛ نحو: "إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ"<sup>(6)</sup>؛ حيث ادعوا أن كونهم مصلحين ظاهر جلي، ولذلك جاء "أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ"<sup>(7)</sup>.

(1) مرجم/ بعض الآية 04.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص285-287.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص113.

(4) المرجع نفسه، ص111.

(5) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص220.

(6) البقرة/ بعض الآية 12.

(7) البقرة/ بعض الآية 11.

## ب-2 تداولية المخاطب في البلاغة العربية:

يُحظى السامع في العملية الإبلابية في الدرس البلاغي العربي القديم بأهمية لا تقل عن أهمية المتكلم؛ ولئن كان المتكلم هو منشئ الخطاب ومنتجه، ويسمُّه بكثير مما يميزه متكلماً عن الآخرين، فإن السامع هو من يُنشأ له الخطاب ومن أجله، وهو مشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعالة، وإن لم تكن مباشرة؛ فالمتكلم حين يراعي مقام الخطاب، وأحوال السامع، وأشكال إلقاء الخبر إليه، وأنماط الطلب التي ينشئها... وما إلى ذلك من ظروف الحديث المختلفة، فهو إنما يستحضر السامع في كل عملية إبلابية، ولو بصورة ذهنية، إن لم يكن حاضراً عياناً.

وخلاصة ذلك أن الخطاب، كما يحمل الخصائص التمييزية للمتكلم، فهو ينبئ بطبيعة السامع الذي أنشئ من أجله. بل إن الخطاب في ذاته يكون في أغلب الحالات حسب ما يريد السامع لا المتكلم. وتلك هي سمة اللسانيات التداولية الحديثة التي تتقاطع فيها مع البلاغة العربية؛ حيث إن من أهم مجالات الاهتمام بالسامع واعتبار المخاطب، على نحو ما مر في الفصل الأول، والاعتداد بكل العناصر الفاعلة في الإبلاغ.

وسيعرض هذا المبحث مدى حضور الاهتمام بالمخاطب في البلاغة العربية، من خلال الموضوعات المختلفة الواردة في ذلك.

عرض بعضهم تعريف الكلام باعتداده بالسامع، نحو (ابن فارس) الذي يقول: "أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب، كقول القائل: شربت ماء، ولقيت زيدا." (1). كما حصروا إفادة الخبر في "استفادة المخاطب من ذلك الحكم (...). كقولك: زيد عالم لمن ليس واقفاً على ذلك" (2). يضاف إلى ذلك ما ذكره الرازي في شرحه للخبر في "أبئوني بأسماء هؤلاء" (3)، يقول: "يقتضي أن يكون المخاطبون بهذا الخطاب عاملين بتلك الأشياء، حتى يصح مطالبتهم بذكر أسمائها." (4)؛ فوضوح الكلام متعلق بمدى فهم السامع له، بناء على ما هو متداول في اللسان العربي. وفي هذا قيمة تداولية هامة ترتبط بالسامع، بعدّه أهم عنصر في العملية الإبلابية. وكثيراً ما عرّف الخبر ذاته بالنظر إلى السامع؛ ورد في (الصاحبي): "الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم، نحو قام زيد وقائم زيد" (1).

(1) ابن فارس: الصاحبي، ص74.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ص166.

(3) البقرة/ بعض الآية 31.

(4) الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، عارضه بأصوله وحققه بالمقارنة مع أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ومصادره الأخرى وعلق عليه: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر بيروت، ط1، 2004، ص74.

ولعل أهم ما يميز الاهتمام بالسامع في البلاغة العربية، حديث (المبرد) إلى (المفلسف الكندي) فيما رواه ابن الأنباري من سؤال الكندي إلى المبرد بأنه يجد في كلام العرب حشواً، يظهر من قولهم: (عبد الله قائم)، ثم (إن عبد الله قائم)، ثم (إن عبد الله لقائم)، والمعنى واحد، فأجابه المبرد: "بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه. وقولهم: إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم جواب عند إنكار منكر لقيامه." (2) وعلى هذا يمكن القول بأن البلاغة العربية ميزت بين ثلاثة مخاطبين (3):

1- المخاطب بحالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر، ويكون بأن يفرغ المتكلم ما ينطق به في قالب الإفادة، وأن يقصد في خبره ذلك إفادة المخاطب، نحو قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ويسمى الخبر في هذه الحال: خبراً ابتدائياً، يتمكن في ذهن المخاطب لمصادفته إياه خالياً.

2- المخاطب الشاك المتردد، يكون حين يتردد المخاطب في حكم الخبر، ولا يعرف مدى صحته، كأن يتصور طرفي الخبر ويتردد في إسناد أحدهما إلى الآخر، فيلجأ المتكلم إلى إنقاذه من الحيرة، وكأنه يلقي الخبر إلى طالب ما، ويستحسن تقويته بإدخال (اللام) أو (إن) على الجملة (إن زيدا عارف- لزيد عارف). ويسمى الخبر عندها: خبراً طلبياً.

وقد اعترض (شفيق السيد) في (البحث البلاغي عند العرب) على البلاغيين جعلهم الطلبي ما كان مرتبطاً بمؤكد واحد، مستشهداً بأن عدداً كبيراً في القرآن اقترن بـ(إن)، ولا يحمل على الطلبي، ويقول: "(إن) لازمةٌ يستخدمها المتكلم في بداية الكلام، أو في مطالع الفقرات عفواً، ودون أن يكون هناك تردد في الحكم من جانب المخاطب" (4).

والواقع أن كثيراً من الآيات القرآنية المقترنة بـ(إن)، إنما تستند إلى وقائع خارجية، وظروف سياقية، وقرائن عدة تجعل المخاطب بحاجة إلى أن يؤكد الخبر له بـ(إن)، نحو "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي كَيْثُفٍ

(1) ابن فارس: الصحاح، ص 179.

(2) الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص 222.

(3) ينظر: - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 170-171.

- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 35.

- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 92 وما يليها.

- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، عربي، عربي، مكتبة لبنان ناشرون، ط 2، 2000، ص 479.

(4) شفيق السيد: البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 2، 1996، ص 185-186.

الْقَدْرِ"<sup>(1)</sup>، فمن دون أن ينظر إلى حال المخاطب أهو متردد أم لا، تُرسل الآية مؤكدة ب(إن)لمخاطب يرضيه هذا التوكيد (مؤمن)، ومخاطب يُتوقع ترده (كافر)، نحو "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ"<sup>(2)</sup>.

3- المخاطب الجاحد المنكر للخير إنكارا يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد؛ ذلك أن المخاطب حاكم في الخير بخلافه، ولذلك وجب على المتكلم رده إلى حكمه، نحو خطاب المرسلين لأهل القرية في سورة (يس): "فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ"<sup>(3)</sup>، هذا بعد تكذيب الثلاثة، وهو خير ابتدائي. وبعد إنكارهم ورد قوله "قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون"<sup>(4)</sup>؛ حيث وجب تأكيده بأكثر من مؤكد لأنهم في مقام المنكر الجاحد، ويسمى في هذه الحال: خيرا إنكاريا.

وقد ورد في الإيضاح أنه: "كثيرا ما يخرج الكلام على خلافه، فيتزل غير السائل منزلة السائل، إذا قدم إليه ما يلوح بحكم الخير، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب: (لا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرّقون)".<sup>(5)</sup> كما أنه قد يتزل غير المنكر منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، أو العكس (المنكر منزلة غير المنكر)، إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع من الإنكار، كما يقال لمنكر الإسلام، الإسلام حق.<sup>(6)</sup> وقوله تعالى في حق القرآن "لا ريبَ فيه".<sup>(7)</sup>

ومن الأوجه البالغة في الاعتداد بالسامع، وضرورة حضوره حين إنتاج الخطاب، بل حتى ضرورة حضوره المادي بالخاص من المتكلم، ما أورده ابن جني، قائلا: "أو لا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم في تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه؛ فيقول له: يا فلان أين أنت، أربي وجهك، أقبل عليّ أحدثك، أما أنت حاضر يا هناه"<sup>(8)</sup>، فالمتكلم وهو ينتج حديثه يلح على ضرورة حضور السامع، وعلى ضرورة الانتباه إليه، والنظر أيضا... وفي هذه الإشارات المادية إلى حضوره قيمة تداولية كبيرة تتمثل في أنه لا يمكنه إنتاج الخطاب الذي يريد دون استحضار سامعه.

ويواصل ابن جني الفكرة السابقة: "... فإذا أقبل عليه وأصغى إليه، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين، مجزئا عنه، لما تكلف القائل، ولا

(1) القدر/01.

(2) الكوثر/01.

(3) يس/ بعض الآية 14.

(4) يس/ بعض الآية 16.

(5) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص95.

(6) المرجع نفسه، ص95.

(7) البقرة/ بعض الآية 02.

(8) ابن جني: الخصائص، ج1، ص217.

كلف صاحبه الإقبال عليه"<sup>(1)</sup> بل إنه لا يمكن إنتاج الخطاب نهائيا، دون هذا النظر إلى المخاطب، فيذكر: "... وقال لي بعض مشايخنا-رحمه الله- أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة."<sup>(2)</sup> ومن مباحث الاهتمام بالمخاطب أيضا ما يلي:

#### - التأدب في الكلام واعتبار السامع:

كثيرا ما يلجأ المتكلم إلى العدول عن دلالة الكلام إلى غرض آخر، تأدبا مع المخاطب، فيما يُعرف في الدرس البلاغي بأساليب التأدب في الكلام؛ فلو أن أحدهم مثلا قَدّم له طعام لا يشتهيهِ، فهو لا يبلّغ ذلك بشكل مباشر إلى مخاطبه، بل يعدل إلى ذكر سبب آخر من الأسباب التي لا تخرج مخاطبه، كأن يقول مثلا: أشكو من ألم في المعدة أو غيرها. وفي هذا عدول عما يريد المتكلم إلى غرض آخر تقتضيه طبيعة السامع، ومخالفة لمبدأ (التعاون) الذي يفترضه (جرايس) حديثا، وتقوم عليه حكم الحديث لديه، حيث "يضطر المشارك في الحدث الكلامي أن يخالف مبدأ التعاون، إيثارا لمبدأ التأدب"<sup>(3)</sup> ومن فوائد التأدب في الحديث واللفظ فيه، أن يُعرض الخطاب في أسلوب لا ينفّر السامع، ولا يصف المتكلم بالاستعلاء والترفع. وفي القرآن الكريم كثير من شواهد أدب الحديث، منها خطاب موسى - عليه السلام - لفرعون: "هل لك إلى أن تزكّي وأهديك إلى ربك فتخشى"<sup>(4)</sup>؛ حيث أخرج الكلام مخرج العرض والسؤال لا مخرج الأمر والإلزام، وهو اللفظ.<sup>(5)</sup>

#### - الحذف والافتراض المسبق:

ومن أهم القضايا البلاغية التي ترتبط بالسامع ودرجة درايته بالخطاب ودواعيه، الحذف، وهو "حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه"<sup>(6)</sup>، ويسمى أيضا الاكتفاء، وهو ليس مرتبطا بنص الخطاب وحده، بقدر ما يتعلق بالسامع وعلاقته بالخطاب، وكثيرا ما تميل إليه اللغات، لكن بما يمكن للسامع أن يفهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة<sup>(7)</sup>، وتلك هي شروطه التي وضعها البلاغيون والنحاة وهي مرتبطة بمدى حضور السامع في العملية الإبلاغية، ومعرفة بمواطن الحذف، والقرائن الدالة على المحذوفات، نسحو الشروط التي أوضحها (ابن جني) لحذف الصفة؛ حيث اشترط له دليلا من اللفظ

(1) المرجع السابق نفسه، ج1، ص217.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص217.

(3) شاهر الحسن: علم الدلالة، السيماتيكية والبراهماتية في اللغة العربية، ص174.

(4) البازعات/18-19.

(5) عبد الفتاح لاشين: ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الزائد العربي، بيروت لبنان، ط1، 1986، ص180-181.

(6) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص251.

(7) طاهر حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص6، نقلا عن: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكتبة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دت، ج2 ص191.

أو من الحال، وإلا لا يجوز حذفها<sup>(1)</sup>، نحو شهادة الحال واعتبارات السياق والظروف المحيطة بالكلام، ومن ذلك "قولهم لرجل مُهَوِّ بسيفه في يده: زيذا؛ أي أضرب زيذا، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلا من التلغظ به. وكذلك قولهم للقادم من سفر: خَيْرَ مَقْدَمٍ، أي قدمتَ خيرَ مقدمٍ."<sup>(2)</sup>

ومن دواعيه أن المتكلم يرى أحيانا أن ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد لها؛ يقول (الجرجاني) بشأن ذلك: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم بيانا إذا لم تُبين."<sup>(3)</sup>

ومن فوائد الحذف ومعانيه ما ذكره (الزرركشي) من "التفخيم والإعظام، لما فيه من الإهام، لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوفه إلى المراد، فيرجع قاصرا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه. ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يحتلج في الوهم من المراد، وخلص للمذكور."<sup>(4)</sup> وفي هذا تصوير لحال السامع وهو يتلقى الخطاب المتسم بالحذف؛ حيث يُعْمَلُ الذهن في بحث المحذوف ويقف على أسراره حين لا يجده مذكورا، وأول ما يحصل لديه عظم شأن الخطاب وعلو مكانه.

ويلتقي موضوع الحذف هذا وارتباطه بالسامع بمفهوم (الافتراض المسبق) الذي هو أحد مجالات اللسانيات التداولية الحديثة، ويهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم والسامع، أو بين ما ينبغي أن يكون معروفا، أو يُفترض العلم به سابقا قبل إجراء الخطاب، فهو: "مفهوم براجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة (المعروفة مسبقا) لدى المتكلم والمخاطب"<sup>(5)</sup> ولذلك فالتكلم يوحه حديثه إلى السامع على أساس أنه معلوم لديه: فلو أن أحدا قال لآخر: تعال، فافتراض سابقا أن بينهما مسافة ما، وأن هناك مبررا يدعو إلى طلب مجيئه، وأن المخاطب قادر على الحركة والإجابة، وأن المتكلم نفسه في منزلة الأمر.

أو نحو القول: هل يصح رمي الجمرات قبل الزوال غدا؟ فمما تشمله العبارة أن المتكلم والسامع في مقام حج، وأن المكان ربما يكون في منى، وأن لرمي الجمرات موعدا في مناسك الحج، وأن هذا

(1) ابن حني: الخصائص، ج1، ص247.

(2) ابن حني: المرجع نفسه، ج1، ص247.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص146.

(4) الزرركشي: الرمان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1988، ج3، ص104.

(5) شاهر الحسن: علم الدلالة، ص176.



الموعد له علاقة بوقت الزوال... كل هذا مشترك بينهما، وربما نفهم أيضا أن السائل أقل إلما بما مسائل الحج من المسؤول.

وبالنسبة إلى موضوع الحذف، فإن المتكلم لا يحذف شيئا من خطابه ما لم يكن في مقدور السامع معرفته، بناءً على افتراضات مسبقة، نحو: شاهدت رجلا؛ تكون لمتلق خالي الذهن من موضوع الحديث، أما شاهدت الرجل؛ فافتراض أن المعلومة موجودة في ذهن من يتلقاها مسبقا.

- الالتفات وأثره على السامع:

الالتفات من البديع ومحاسن الكلام، وهو مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله<sup>(1)</sup>. ولا يبدو أثره على السامع، حين يدرك انتقال الخطاب من أسلوب إلى آخر ومن حال إلى حال؛ لذلك فهو مرتبط به، ويحفل بكثير من القيم التداولية لما له من تأثير على السامع، على نحو ما يوضح القزويني: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطريةً (تجديدا) لنشاط السامع، وأكثر إيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"<sup>(2)</sup>. فتتويع أساليب الخطاب له وقعه على السامع، إذ يأخذ به من نشاط إلى آخر، ومن وضع إلى وضع، مجدداً في أحوال تلقيه له. وهي الفكرة نفسها التي أوردها ابن الأثير عن الزمخشري: "إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه"<sup>(3)</sup>. ثم ناقشه في ذلك، قائلا: "وليس الأمر كما ذكره (...). فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد، فينتقل إلى غيره ليجد نشاطا للاستماع، وهذا قدح في الكلام، لا وصف له..."<sup>(4)</sup> ويجعل فائدة الالتفات وقيمه قائمة على ما يمكن أن يقدمه للسامع أو للخطاب، فيقول: "والذي عندي أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب، لا يكون إلا لفائدة اقتضته"<sup>(5)</sup>؛ نحو تعظيم شأن المخاطب مثلا.

ومن أمثله قوله تعالى: "وقالوا اتخذَ الرحمنُ ولدا لقد جئتم شيئا ادا"<sup>(6)</sup>، وشاهد الالتفات فيه انتقال الخطاب من الغيبة (وقالوا اتخذ) إلى الخطاب (لقد جئتم) وغرضه "زيادة التسجيل عليهم بجراءة

(1) ابن الأثير: الملل السائر، ج2، ص03.

(2) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص160.

(3) ابن الأثير: الملل السائر، ج2، ص03.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص30-04.

(5) المرجع نفسه، ج2، ص03-04.

(6) مريم/88-89.



على الله تعالى والتعرض لسخطه، وتنبه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكرًا عليهم وموبخًا لهم<sup>(1)</sup>.

وهذا أحد أشكاله، أن يتم الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب، إلى جانب الرجوع عن فعل المضارع إلى فعل الأمر، أو عن الماضي إلى الأمر، والإخبار عن الماضي بالمستقبل أو العكس. وهي الأشكال الثلاثة التي فصلها ابن الأثير، وذكر أوجه أغراضها<sup>(2)</sup>، وتقوم في أغلبها على أثر هذه الانتقالات على السامع وكيفية تلقيه لها، وما يمكن أن تبعثه في نفسه من نشاط، وتحدد موقفه من الخطاب، فضلا عن الأغراض التي يتوخاها المتكلم على مستوى السامع، نحو إشعاره بالتفخيم أو التهويل والاستفظاع وغيرها<sup>(3)</sup>.

- أسلوب القصر وموقف السامع من الخطاب:

يعد القصر - وهو من علم المعاني - أحد الموضوعات البلاغية التي تهتم في مباحثها بالسامع، وموقفه من الخطاب. ومعناه "يرجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان، كقولك: زيد شاعر لا منجم، لمن يعتقد شاعرا ومنجما."<sup>(4)</sup>

فهو يقوم أساسا على تحديد موقف السامع مما يتلقاه؛ وتغيير ما يعتقد إذا كان مخالفا للحكم، وهو - بهذا المفهوم - يشترك مع مجالات اللسانيات التداولية التي تتناول ما يرتبط بالسامع في دراستها للغة.

ويبدو هذا الارتباط أكثر، إذا ما تتبعنا أنواعه المتعددة بحسب أحوال السامع وموقفه؛ فقد ميز القزويني بين حالتين للمخاطب في أساليب القصر<sup>(5)</sup>:

- المخاطب الأول: يعتقد الشركة، أي اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعا، فيكون القصر حقيقيا، نحو: ما زيد إلا كاتب، لمن يعتقد أنه يتصف بصفات أخرى غير الكتابة.

- المخاطب الثاني: يعتقد العكس؛ أي اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة، فيكون فيها القصر قصر قلب، لأنه يتم فيه قلب حكم السامع؛ نحو: ما شاعر إلا زيد، لمن يعتقد أن غيره شاعر أيضا.

والقصر بحسب هذين الحالتين يقوم مفهومه على السامع أساسا، وبذلك فهو يُدرج ضمن الاهتمامات التداولية في الدرس العربي القديم. إضافة إلى اهتمامه بالسامع أيضا، في كثير من طرقه التي

(1) ابن الأثير: المثل السائر، ج2 ص05.

(2) بنظر: الرجوع نفسه، ج2 ص03-13.

(3) يمكن مراجعة هذه الأغراض بأمتلنها في: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص160-162.

(4) السكاكي: مفتاح العلوم، ص288.

(5) تراجم في: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص213-214.

فضلتها كتب البلاغة، حيث تعدد بتعدد أحواله، وتتنوع بتنوع الأغراض التي يتوخاها المتكلم في السامع.<sup>(1)</sup>

### - أسلوب الحكيم ومخالفة حال المخاطب:

هو من مباحث البلاغة العربية، وإن كان من إنجاز المتكلم، فهو مرتبط أساسا بالسامع، لأنه متوقف عليه؛ و"هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنيبها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتزليل سؤاله منزلة غيره تنيبها على أنه الأولى بحاله المهم له."<sup>(2)</sup> فالسامع أمام هذا الأسلوب نوعان؛ إما أن يكون مترقبا لخير ما من المتكلم؛ فيحمل كلامه خلاف ما يترقبه تنيبها على أنه ما ينبغي أن يترقبه، نحو الآية "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج"<sup>(3)</sup>؛ فقد تلقى غير ما كان يترقب.

وإما أن يكون قد سأل عند أمر ما، فيحمل سؤاله على أنه سؤال آخر وهو الأولى لحاله، نحو:

أنت تشتكي عندي مزاولة القرى      وقد رأيت الضيفان ينحون منزلي  
فقلت كأني ما سمعتُ كلامها      هم الضيف، جدتي في قراهم وعجلي

وقد ذكره العديد من البلاغيين واللغويين العرب، ولم يختلفوا في هذين الحالين للمخاطب؛ بقدر ما عددوا مصطلحاته؛ فقد سماه الجاحظ (اللغز في الجواب)<sup>(4)</sup>، ومثل له بما يروى عن الخطيئة حين كان يرعى غنما وفي يده عصا، فمر به رجل، فقال ما عندك؟ قال: عجرا من سلم؛ يعني عصاه. قال: إني ضيف: قال الخطيئة للضيفان أعددتها.<sup>(5)</sup>

وسماه (عبد القاهر الجرجاني) المغالطة<sup>(6)</sup>، لما يقوم عليه من مغالطة الحال التي عليها السامع، وسماه الحموي القول الموجب<sup>(7)</sup>. وهو في هذه الحال يرتبط كثيرا بالمخاطب حين نتلقاه بغير ما يترقب، وبالسائل الذي يلقي غير ما يتطلب.

(1) يمكن مراجعتها في: - المرجع السابق نفسه ص 215 وما يليها.

- السكاكي: مفتاح العلوم، ص 288.

(2) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 120.

(3) البقرة/188.

(4) ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2 ص 147.

(5) ينظر: المرجع نفسه، ج 2 ص 147. (6) و(7) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 119-120.

ومن قيمه التداولية في الخطاب أنه يأتي غالبا للتظرف، والتخلص من إحراج السامع<sup>(1)</sup> وربما صادف المقام المناسب، فحرك من نشاط السامع، فسلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور، ولا يخفى ما له من أثر في العملية الإبلابية بين المتكلم والسامع.

وعموما، فإن حضور السامع يكاد يكتنف كل عملية إبلابية، بل إنه يُعتدّ به في كل كلام؛ ورد في مفاتيح الرازي: "إنا إذا تكلمنا بكلام نقصد منه تفهيم الغير، عقلنا معاني تلك الكلمات، ثم لما عقلناها أردنا تعريف غيرنا تلك المعاني، ولما حصلت هذه الإرادة في قلوبنا، حاولنا إدخال تلك الحروف والأصوات في الوجود لنتوسل بها إلى تعريف غيرنا تلك المعاني."<sup>(2)</sup>

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 119-120.

(2) فخر الدين الرازي: التفسر الكبير: مفاتيح الغيب، ج 21 ص 48. نقل عن: عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية. ص 297

### ب-3: تداولية الخطاب في ذاته، في البلاغة العربية:

يمثل مصطلح "الخطاب" خلاصة ما تطور إليه استخدام مصطلح "الجملة" ومصطلح "النص" بعدها، في المدونة النقدية الحديثة. ويكاد يُستقر على استعماله لما يحمله من دلالات أوسع من دلالات "النص"، لاسيما من ناحية إعائه بالاستعمال والتداول. ويقوم التمييز بين المصطلحات الثلاثة هذه، على أسس تداولية، أهمها الاستعمال.

ولا يكاد يختلف مفهومه حديثا عما تناوله الدرس العربي القديم، ومن شواهد ذلك ما ذكره الزمخشري، وهو يفسر قوله تعالى: "وَأْتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ"<sup>(1)</sup> ومعنى (فصل الخطاب) عنده "البيّن من الكلام الملتخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه. ومن فصل الخطاب، وملخصه: أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل (...). وكذلك مظان العطف وتركه، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار (...). -وفصل الخطاب-: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفساد والحق والباطل والصواب والخطأ."<sup>(2)</sup>

فقد وصف الخطاب ببعض الشروط البيانية التي تجعله فصلا بينا، وفيها أن لا يخالف قواعد الفصل والوصل، والعطف، والإضمار، والحذف، والتكرار... وغيرها من الشروط البيانية والأسلوبية التي تعتري الخطاب. فهو -إذا- "فن القول" من خلال هذا النص. ومما يتصف به الخطاب القرآني ذاته أنه راعي مقتضى أحوال المخاطب، من حيث الصدق في المنطق وترك ما لا يحتاج إليه، والدقة في التعبير، وعدم التناقض في القول، والإشارة أحيانا إلى المعنى دون التصريح به، والجدال، والحجاج والبرهنة، البناء المحكم... وغيرها.

وهو مصطلح "الخطاب" نفسه الذي استخدمه (ابن فارس) حين تحدث عن الكلام المتداول بين المتكلم والسامع؛ ذكر ذلك في (الصاحبي) في (باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع)<sup>(3)</sup>. وفي (باب الخطاب المطلق والمقيد)<sup>(4)</sup>.

والمتأمل في الدرس العربي، على اختلاف علومه، يجد أنه لم يفصل البنى اللغوية التي تناوّلها عن واقع استعمالها، فضلا عن وصفه اللغة أثناء استعمالها خطابا، وهذه من أهم القيم التداولية التي يتميز

(1) ص/ بعض الآية 20.

(2) الزمخشري: الكشاف، ج3 ص365.

(3) ابن فارس: الصاحبي، ص190.

(4) المرجع نفسه، ص194.

بها، والتي لا يختلف فيها عن مجال التداولية الذي حدده اللسانيون حديثا في وصف اللغة في استعمالاتها، دون تجريدها من تداولها العادي.

ويتناول هذا المبحث أهم ما يرتبط بالخطاب في ذاته في البلاغة العربية: الخطاب ومقتضى الحال، الإنشاء والخبر ونظرية أفعال الكلام.

### – الخطاب ومقتضى الحال:

كثيرا ما قارب الدارسون حديثا بين المفاهيم التداولية الحديثة وبين فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية، ومنهم (صلاح فضل)؛ حيث يقول: "ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة "مقتضى الحال"، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال"<sup>(1)</sup>. وفكرة مقتضى الحال تداولية أساسا؛ حيث نتجت في الشروط التي يكون بها الخطاب مطابقا للحال التي يستخدم فيها بين المتكلم والسامع، ومختلف الملابس التي تكتنف ذلك. وتقوم البلاغة في مجموعها على هذه الفكرة لدى الكثيرين؛ ورد في الإيضاح: "وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته."<sup>(2)</sup>.

وفي المقدمة: "إذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع. وهذا هو معنى البلاغة."<sup>(3)</sup>

فهي تتخلص في مدى مطابقة تأليفات المتكلم لمقتضى الحال؛ حيث تحصل إفادة المخاطب.

ومفهوم الحال لا يختلف عن مفهوم المقام "الذي يشمل مجموعة الاعتبارات والظروف والملابس المحيطة بالنشاط اللغوي، وتؤثر فيه، بحيث لا تتجلى دلالة الكلام إلا في ظلها"<sup>(4)</sup>.

ومقتضى الحال مختلف باختلاف مقامات الكلام؛ من مقام التنكير إلى مقام التعريف، ومن مقام الإطلاق إلى مقام التقييد، ومن مقام التقديم إلى مقام التأخير<sup>(5)</sup>... وغيرها من المقامات التي يتحدد بها شكل الخطاب ليكون مطابقا لمقتضى حال استخدامه. ولا تتحدد قيمة الكلام فيستحسن ويقبل إلا بالنظر إلى مدى حصول هذه المطابقة للاعتبار المناسب. وعلى خلاف ذلك يظهر انحطاط الكلام

(1) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 26.

(2) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 80.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص 574.

(4) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن نجح، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1991، مج 3 ص

574.

(5) ينظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 80.

بعدم حصولها<sup>(1)</sup>. ثم يخلص (القزويني) بعد ذلك إلى قوله: "وهذا- أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم"<sup>(2)</sup>.

ومن أول النصوص العربية التي اهتمت بمقتضى الحال، ما أورده الجاحظ من حديث بشر بن المعتمر: "وإنما مدار الشرف (شرف المعنى) على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال."<sup>(3)</sup> فشرف المعنى ووجه قبوله قائم على صوابه وصحته، مع ما يقدمه من فائدة للمخاطب (وهذا هو مبدأ المنفعة؛ أحد أسس التداولية اللسانية الحديثة) إلى موافقته لمقام المخاطب وحاله. وتتلخص في العبارة المشهورة "لكل مقام مقال؛ حيث "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار السامعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"<sup>(4)</sup>.

فمن أجل إحراز المنفعة وفائدة المخاطب، يوازن المتكلم بين المعنى والمخاطب والحال، ويوازن بينها بمقدار. وتسوق هذه الفكرة إلى أن بنية الخطاب تختلف باختلاف أغراضه، وهذا وجه آخر من أوجه اختلاف مقامات الخطاب، وقد مر مثال له في حديث المبرد مع المتفلسف الكندي، واختلاف بنيات (عبد الله قائم) باختلاف المقامات المستخدمة فيها. وأوضح ذلك (المرجاني) في مزية النظم، قائلا: "اعلم أن ليس المزية بواجبة لها في أنفسها (...). ولكن تُعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام (...). بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى تريد، والغرض الذي تورم"<sup>(5)</sup>.

ويوافق ذلك قول (ابن سنان) في سر الفصاحة: "وأما الغرض فبحسب الكلام المؤلف، فإن كان مدحا كان الغرض به قولاً ينبئ عن عظم حال المدح، وإن كان هجواً فبالضد."<sup>(6)</sup>

ومن أهم ما يذكر في اختلاف مقامات الكلام وقيمتها في البلاغة العربية، نص السكاكي الذي يختلف كثيراً عما يعرضه الدرس الحديث في نظرتة إلى دلالة الخطاب، بحيث لا تتحدد إلا في السياق والموقف الاجتماعي، والربط بين الخطاب والمقام؛ يقول (والإطالة في النص يقتضيها المقام): "لا يخفى

(1) ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 80.

(2) المرجع نفسه، ص 81.

(3) الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1 ص 136.

(4) المرجع نفسه، ج 1 ص 138-139.

(5) المرجع نفسه: دلائل الإعجاز، ص 106.

(6) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص 94.

عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنة يباين مقام التعزية، وكذا مقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجذ يباين الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يباين مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يباين مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يباين مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.<sup>(1)</sup>

فقد حدد طبيعة الخطاب (شكر، شكاية، تمهنة، تعزية، مدح، ذم، ترغيب...) بحسب الظروف المحيطة، وبحسب غرض الكلام وقصده، ثم بحسب المخاطب. وهي العناصر المتضافرة في إنتاج الخطاب، كما يشرحها الدرس اللساني الحديث.

ثم يعرض جانباً آخر مهما يقتضيه الخطاب، وهو البنية الداخلية، خلافاً للبنية الخارجية المعروضة سابقاً؛ فيجعل لعلاقات الكلم بعضه ببعض، وللقرائن والمؤكدات دوراً في تحديد طبيعته؛ يقول:

"ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال"<sup>(2)</sup>، فمقتضى الحال أن يكون الكلام مصادفاً لما يليق به من غرض ومقام.

ويواصل ممثلاً لأحوال الكلام المختلفة: "فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك، فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوة، وإن كان مقتضى ذلك طي ذكر المسند إليه، فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة، فحسن الكلام وُرُودُهُ على الاعتبار المناسب (...). وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، والإيجاز معها أو الإطناب، أعني طي جمل عند البين ولا طيها، فحين الكلام تأليفه مطابقاً لذلك"<sup>(3)</sup>.

فقد فصل النص أحوال الكلام المختلفة بحسب ما يقتضيه الحال، والظروف الخارجية المحيطة بالخطاب (وسط المخاطب ومكانته...) وبين الشروط الداخلية التي تكتنف البنية... وبمجموع ذلك يقتضيه الخطاب ويعتد به.

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، ص، 168.

(2) المرجع نفسه، ص 168-169.

(3) المرجع نفسه، ص 169.

ومن أشكال الاهتمام بتنوع الخطاب لتنوع مقاماته، ما ذكره الزركشي في (وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن)؛ حيث ميز بين خطاب العام الذي يراد به العموم، والخاص الذي يراد به الخصوص، وخطاب الخاص المراد به العموم، وخطاب العام الذي يراد به الخصوص<sup>(1)</sup>... وهي كلها مقسمة بحسب الأغراض التواصلية التي يتوخاها المتكلم، فيحدد شكل الخطاب ونوعه بحسب ذلك.

وقد يخرج الكلام من مقتضى الظاهر إلى خلافه، لأغراض نحوية وبلاغية، فيأخذ الخطاب حينها صيغة مخالفة لما يقتضيه الحال. وفي ذلك قيم تداولية ترتبط به أو بالسامع أو بالمتكلم<sup>(2)</sup>، نحو:

- وضع المضمير موضع الظاهر؛ في نعم عبدا(العبد)، هو الله أحد؛ وفي هذا يقصد المتكلم أن يمكن ما يتلو الضمير في ذهن السامع، لأن في الضمير كهيئة وتشويقا، فيتمكن بعد وروده، "لأن المحصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب"<sup>(3)</sup>.

- مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب، وهو الذي سماه(الرجحاني)المغالطة، و(السكاكي) الأسلوب الحكيم، وقد مر بيانه.

- ومن إجابة السائل بغير ما يتطلب تبيينها على أنه الأولى أو الأهم، نحو قوله تعالى: "يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج"<sup>(4)</sup>؛ سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يستوي، ثم ينقص حتى يعود كما كان. فأى فائدة تحت ذلك؟ فأجيبوا ببيان حكمة ذلك وهي معرفة المواقيت والحلول والآجال.

- وضع الماضي موضع المستقبل، تبيينها على تحقق وقوعه<sup>(5)</sup>؛ نحو قوله تعالى: "ويوم ينفخ في الصور فصعق"<sup>(6)</sup>، أو للإشراف: أي مشاركة وقوعه؛ أي مقاربتة، نحو: قوله: "وليخش الذين لو تركوا"<sup>(7)</sup>، لو شارفوا أن يتركوا<sup>(8)</sup>. أو لإبراز غير الحاصل في معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشتري: اشتريت، حال انعقاد أسبابه. ولا خلاف بين ما يعرضه هذا الغرض الأخير، وبين فكرة الأفعال الإنجازية، التي مر بيانها في الفصل السابق.

(1) الزركشي: الرهان في علوم القرآن، ج2 ص217-225.

(2) يمكن مراجعة ذلك في: السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص62-30.

(3) المرصع نفسه، ص28.

(4) البقرة/ بعض الآية 189. (5) ينظر السيوطي: شرح عقود الجمان، ص30. (6) الزمر/68. (7) النساء/9.

(8) ينظر السيوطي: شرح عقود الجمان، ص30.



وقد يخرج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة، لغرض المسامحة وحسم العناد<sup>(1)</sup>، نحو قوله تعالى: "وإِنَّا أَوْ إِنَّا كُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"<sup>(2)</sup>، مع أنه "يعلم أنه على الهدى، وإثم على الضلال، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك، تغاضياً ومسامحة، ولا شك عنده ولا ارتياب"<sup>(3)</sup>. وهذا من باب "إرخاء العنان للخصم" في البلاغة العربية.

كما يحصل الخروج على خلاف الأصل، والقصد منه تربية المهابة، وإدخال الروعة في ضمير السامع<sup>(4)</sup>، بذكر الاسم الحقيقي لذلك، كأن يقول الخليفة لمن يأمره بأمر: أمير المؤمنين يأمر بكذا، مكان: أنا آمر بكذا، وقوله تعالى: "الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ"<sup>(5)</sup>، وقوله: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"<sup>(6)</sup>، فذكر الاسم الذي يحدث به الخروج عن الأصل، لبيان موقع المتكلم. وهي الفكرة التي مرّت في الفعل الإنجازي الذي يصدر ممن يقدر على إصداره وأدائه.

(1) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص409.

(2) سبأ / 24.

(3) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص409.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص409.

(5) الحاقة / 01-02.

(6) النحل/90.

## – الإنشاء والخبر، ونظرية أفعال الكلام:

يذهب الدارسون المحدثون إلى أن ما قدمه العرب في باب (الخبر والإنشاء)، سواء أكانوا لغويين أم بلاغيين أم أصوليين، لا يختلف عما تعرضه نظرية الأفعال الكلامية الحديثة التي قدمها (أوستين) وطورها (سورل)، كما مر في الفصل السابق؛ ذلك أن البلاغيين-مثلا، تناولوا في باب المعاني (الخبر والإنشاء) وعلاقتها بالخارج؛ فالخبر ما احتمل الصدق أو الكذب بالنظر إلى درجة مطابقته للخارج أو مخالفته. وأهل اللغة "لا يقولون في الخبر أنه أكثر من إعلام (...)" والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه.<sup>(1)</sup>

أما (الإنشاء) فلا يرتبط مفهومه بالصدق والكذب، ويتميز بأن مدلوله يتحقق بمجرد النطق به، والطلبي منه " ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، لامتناع طلب الحاصل"<sup>(2)</sup>.

وهي الفكرة نفسها التي مر عرضها (أوستين) في مبحث الأفعال الكلامية؛ حيث ثار على آراء الوضعيين، وميز بين نوعين من الأفعال التقريرية والإنجازية، من حيث درجة تحققها في الخارج وموقف المتكلم.

يقول (أحمد المتوكل) في ذلك: "من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية "الخبر/الإنشاء" التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية الأوستينية "الوصف/الإنجاز"، كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء"<sup>(3)</sup>.

كما ربط (ابن خلدون) من قبل بين مفهوم اللغة والفعل، حين تحدث عن علم النحو، قائلا: "اعلم أن اللغة في المعارف، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانی ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان."<sup>(4)</sup>

فاللغة مرتبطة بقصد المتكلم، من حيث هي إنشاء لفعل على مستوى السامع أو غيره، وبذلك فهي ليست أصوات تعبيرية فحسب، بل هي أفعال ناشئة عن قصود المتكلمين بإفادة الكلام. حتى أن المتكلم لا يسمى متكلمًا إلا لفعل الكلام الذي ينشئه ويؤديه<sup>(5)</sup>. وقد لا نستطيع التمييز بين هذه

(1) ابن فارس: الصحاح، ص 179.

(2) السيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص 48.

(3) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 37. والفكرة نفسها في:

- شاهر الحسن: علم الدلالة، ص 182.

- محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 85.

- الطلحي بن ضيف الله: دلالة السياق، ص 232.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص 565.

(5) يمكن مراجعة هذه الفكرة بمظاهرها في التراث العربي، لدى: عبد السلام المسدي: التفكير اللسان في الحضارة العربية، ص 286 وما يليها.

الفكرة المعروضة في نص (ابن خلدون) وبين عنوان كتاب (أوستين) الذي أسس اللسانيات التداولية بـ(القول هو الفعل)، أو(عندما نقول فنحن نفعل). وقبل تفصيل ما تقدمه ثنائية الخير/الإنشاء في الدرس البلاغي العربي، ماذا عن مفهوم الفعل؟

وتتفق المعاجم العربية على دلالة عامة للفعل هي: الإنجاز و الأداء. ورد في مقاييس اللغة: "الفاء والعين واللام أصل صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره"<sup>(1)</sup>. وأضاف(الزبيدي): "هو إحداث كل شيء من عمل أو غيره، فهو أخص من العمل."<sup>(2)</sup> على أن هذا الإحداث، منه المادي ومنه المعنوي؛ فمن المادي قولهم: فعل، والفعال-بفتح الفاء- الكرم وما يفعل من حسن<sup>(3)</sup> أو "السؤدد"<sup>(4)</sup>، لما يحدثه في نفوس متلقيه أو سامعيه، "والفعال: خشبة الفأس"<sup>(5)</sup>، لما يمكن أن نفعله بها. وقيل: "الفعل- بالكسر- حركة الإنسان، أو كناية عن كل عمل متعدد..."<sup>(6)</sup>، لأن العمل يتبع حركة من يعمله.

ومن المعنوي قولهم: "كانت من فلان فعلة حسنة أو قبيحة"<sup>(7)</sup>، و"كتاب مفتعل؛ أي مختلق مصنوع"<sup>(8)</sup>، لما فيه من تحريف.

وعرفه ابن الأنباري في(أسرار العربية)، بقوله: "فإن قيل لم سمي الفعل فعلا؟ قيل: لأنه يدل على الفعل الحقيقي، ألا ترى أنك إذا قلت "ضرب" دل على نفس الضرب الذي هو فعل في الحقيقة، فلما دل عليه سمي به، لأنهم يسمون الشيء بالشيء إذا كان منه بسبب، وهو كثير في كلامهم"<sup>(9)</sup>، وهذا من سنن العرب في كلامها، كما يبدو، أن يسمى الفعل بسبب ما يدل عليه.

وهو في (التعريفات) "الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب التأثير أولا، كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعا"<sup>(10)</sup>، وكذلك سمي المتكلم متكلمًا، لأنه "هو فاعل الكلام"<sup>(11)</sup>.

(1) ابن دريم: معجم مقاييس اللغة، ج4 ص511.

(2) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1994، بيروت، لبنان، مج15، باب اللام، ص583.

(3) تراجع نفسه، ج4 ص511 . والرازي: مختار الصحاح، ص508.

(4) الزمخشري: أساس البلاغة، ص344.

(5) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج4 ص511.

(6) الفيروز زابادي: القاموس المحيط، ج4، باب اللام، فصل الفاء، ص32.

(7) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج4 ص511 . و: الرازي: مختار صحاح، ص508.

(8) الزمخشري: أساس البلاغة، ص344.

(9) ابن الأنباري: كتاب أسرار العربية، تحقيق محمد محبت البطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، د.ت، ص11.

(10) الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ص175.

(11) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص27.

فالفعل بهذا المفهوم يكون حاملاً لقيمة تداولية هامة، هي أن تسميته قائمة على الاستعمال والتداول، وما يدل عليه، وهي من المجالات المفهومية للتداولية، كما سبق عرضه في الفصل الأول. ويتضح هذا المفهوم أكثر، إذا وقفنا عند دلالة (فاعلون) في الآية "والذين هم للزكاة فاعلون"<sup>(1)</sup>، ومما ورد في تفسيرها، قول الزمخشري: "... والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له، ولا يسوّغ فيه غيره، لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال محدثه فاعل، تقول (...) للزكي فاعل التزكية، وعلى هذا الكلام كله"<sup>(2)</sup>.

فالتعبير القرآني عدل عن (للزكاة مؤدون، مزكون..) إلى التعبير بالفعل (فاعلون) تقوية لوضعهم، وإيضاحاً لأدائهم الفعلي للزكاة على وجهها، وجاء في فتح القدير "ومعنى فعلهم للزكاة تأديتهم لها، فعبر عن التأدية بالفعل لأنها مما يصدق عليه الفعل"<sup>(3)</sup>.

وهناك وجه آخر للدلالة (فاعلون) في الآية، وهو أنه "يصح أن يكون (الزكاة) بمعنى التزكية وهو الحدث؛ أي فعل المزكي، فيكون (فاعلون) في معناها، فيكون أصل التعبير (فاعلون الزكاة)، ومعنى (فعل الزكاة) زكى، أو إخراج الزكاة، كما يقال للضارب فعل الضرب."<sup>(4)</sup> وفعل الزكاة إذا أداها؛ حيث تم أنوصف بالفعل؛ ورد في التفسير الطبري: "يقول تعالى ذكره والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدون، وجعلهم الذي وصفهم به هو أداؤهموها"<sup>(5)</sup>.

فالفعل في مجموع هذه النصوص لا يختلف عن معنى الأداء والإحداث، وهي القيم التداولية التي يحملها فضلاً عن إفادته التعميم والإيهام لئلا يبقى الأداء مرتبطاً بشكل من أشكال إخراج أو غيره، نحو التعبير في الآية "وفعلت فعلتك التي فعلت..."<sup>(6)</sup>؛ حيث "عدد (فرعون) نعمته على (موسى عليه السلام) ووجهه بما جرى على يديه من قتل خبازه، وفضّعه عليه بقوله (وفعلت فعلتك) ووجه التفضيع عليه من ذلك أن في إتيانه به مجملاً مبهماً إذاناً بأنه لفظاً مما لا ينطق به إلا مكنياً عنه..."<sup>(7)</sup>.

(1) مؤمنون/ 04.

(2) الزمخشري: انكشاف - ج 3 ص 23.

(3) فاضل صالح السامرائي: نسات بيانية في نصوص من التنزيل، جمعية عمال المطابع التعاونية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 3، 2003، ص 140.

(4) المرجع نفسه، ص 139.

(5) الطبري: تفسير الطبري، دار المعرفة، 1990، ج 18، ص 04.

(6) الشعراء/ 19.

(7) الزمخشري: انكشاف، ج 3، ص 108.

أما عن القيم التداولية التي يحملها كل من مفهومي الخير والإنشاء، فلأن البلاغيين فرقوا بينهما انطلاقاً من علاقتهما بالواقع، وبالنظر إلى مقياس الصدق والكذب الذي يبحث في مدى مطابقة مدلول الكلام للواقع الخارجي أو انتفائها.

ولقد تعددت معاني الكلام عند البلاغيين العرب واللغويين إلى جانب الخير والإنشاء، باتفاق من النحاة، وأهل البيان قاطبة على انحصاره في الخير والإنشاء. لكن كثيراً منهم تجاوزوا هذين المعنيين إلى معانٍ أخرى، منهم ابن فارس في باب (معنى الكلام) في (الصاحبي)، يقول: "وهي عند أهل العلم عشرة: خير واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمن وتعجب"<sup>(1)</sup>.

وحصر الخير في الإعلام<sup>(2)</sup>، والاستخبار في الاستفهام<sup>(3)</sup>، والأمر في "ما إذا لم يفعله المأمور به سمي عاصياً"<sup>(4)</sup> إلى آخر عرضه وتفصيله.

واقترح غيره عشرة أخرى هي: "نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشكر، واستفهام"<sup>(5)</sup> ومنهم من أسقط الاستفهام لدخوله في المسألة، ومنهم من أسقط أيضاً التشفع للسبب نفسه، وكذلك الشك لدخوله في الخير، فصارت سبعة. وقالوا: خمسة: الخير، الأمر، التصريح، الطلب، النداء.

ويمكن جمع أشهر هذه الآراء في معاني الكلام، بدءاً ممن قالوا بأنها ثلاثة: خير وطلب وإنشاء، إلى من قال خمسة (وهي السابقة)، إلى من قال تسعة (بإسقاط الاستفهام في المذكورة سابقاً، إلى من قال ستة عشر: أمر، ونهي، وخير، واستخبار، وطلب، ووجود، وتمن، وإغلاظ، واختبار، وقسم، وتشبيه، وبجازاة، ودعاء، وتعجب، واستثناء... والتحقق فيها جميعاً، ليتضح أنها تنحصر في الخير والإنشاء، وترجع بقية المعاني إليهما.

(1) ابن فارس: الصاحبي، ص 179.

(2) المرجع نفسه، ص 179.

(3) المرجع نفسه، ص 181.

(4) المرجع نفسه، ص 184.

(5) ذكرها الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 316.

\* علي أن هناك فروقاً دقيقة بين السؤال والاستخبار، وبين السؤال والاستفهام، وبين الدعاء والسؤال. أوضحها أبو هلال العسكري في: الفروق في اللغة، ص 28-29.

والواقع أن تقسيم الكلام إلى هذه المعاني والأغراض، قائم على الأحوال المختلفة للكلام بحسب المتكلم وقصوده، والسامع وتأويله، والمقام وسياقته. وهذه كلها شروط تداولية للخطاب، اهتم بها كثيرا البلاغيون العرب، واحتفى بها اللسانيون التداوليون المحدثون، فالخير مثلا إفادة المخاطب بشيء مجهول عنده، أما الاستخبار فيكون في حال ثانية، بحيث يكون المتكلم قد تلقى خيرا مما ينشئ لديه طلبا ثانيا يسمى استخبارا... وهكذا.

ولئن تعددت هذه المعاني، فلأن أحوال التواصل متعددة ومتباينة، وهي لا تبعث على التذمر، بقدر ما توحى بغى الدرس العربي البلاغي، بظروف التواصل وملاساته.

والخير نفسه لا يقبل كله مقياس الصدق والكذب، فمن الخير الذي لا يقبل الكذب، أخبار القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والأخبار الدالة على مسلمات نحو خمسة أكثر من أربعة. ومن الخير الذي لا يقبل الصدق، خير قلب المسلمات نحو: مجموع (واحد) مع (واحد) يساوي ثلاثة، إلا إذا توفرت شروط معينة. وينبغي التذكير بأن اللسانيات التداولية انطلقت من فكرة مماثلة لهذه لدى أوستين، حين أقر بأن هناك جملا ليس بالضرورة أن توصف بالصدق أو الكذب، بل إن حكمها مثل الإنشائية ينظر إليه بما تنشئه في الخارج. ولقد فصل ذلك علماء العربية، نحو تقسيم (الغزالي) للخير ثلاثة أقسام<sup>(1)</sup>:

- خير يجب تصديقه، نحو ما أخبر عنه، وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأئمة.
- خير يعدم كذبه، نحو: ما خالف العقل أو النظر أو الحس أو المشاهدة، أو الأخبار المتواترة، أو ما يخالف النصّ القاطع من الكتاب والسنة والإجماع.
- خير لا يُعتم صدقه، ولا كذبه فيجب التوقف فيه.

كما أن الإنشاء نفسه ميزه بعضهم عن الطلب، لأن الطلب ينحصر في الأفعال التي تقرر دلالتها بألفاظها، نحو طلب الضرب مقترن بلفظه في الوجود. وميزوا بين الإنشاء الطلبي الذي "يستدعي" مطلوبا غير حاصل وقت الطلب<sup>(2)</sup>؛ وأنواعه كثيرة، منها<sup>(3)</sup>: الأمر، النهي، النداء، التمني، الاستفهام. أما غير الطلبي فما لا يستدعي ذلك، نحو: التعجب والذم، والمدح، والقسم وغيرها. وميز السكاكي في الطلب نوعين<sup>(4)</sup>:

(1) الغزالي: المستصفى، 162/2، نقلا عن غزلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص96.

(2) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص227، والسيوطي: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص48.

(3) ينظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص227-245.

(4) السكاكي: مفتاح العلوم، ص302 وما يليها.

- لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول.

- يستدعي فيه إمكان الحصول.

وفصلوا أيضا مواضع التداخل بينهما؛ فقد يقع الخبر موقع الإنشاء، ومن أغراضه التي ذكرها القزويني: "للتفاؤل، أو لإظهار الحرص في وقوعه (...). والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين، أو للاحتراز عن صورة الأمر (...). أو لحمل المخاطب على المطلوب..."<sup>(1)</sup>.

ومما أوردوه أيضا في هذا الباب أن يعبر بالأمر لكن الدلالة ماض، نحو مدلول (اعملوا) في نص الحديث الشريف "... لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وحبّت لكم الجنة أو قد غفرت لكم"<sup>(2)</sup>، فلا يمكن أن يفهم من (اعملوا) الإباحة بأن يفعلوا أي شيء، وهي ليست للاستقبال، بقدر ما هي للماضي، وتقديره: "أيّ عمل كان لكم قد غفرته"<sup>(3)</sup>.

وقد يكون القصد إدخال الروعة والمهابة في ضمير السامع، لما سبق عرضه، نحو قول المدير مثلا لأحد العمال: مدير المؤسسة يأمرك بكذا، بدلا من أمرك بكذا، بالخروج عن الأصل.

ومن أمثله أيضا "بجيء الخبر بمعنى الأمر في القرآن في نحو قوله: والوالدات يُرضعن<sup>(4)</sup>؛ والمطلقات يُترصدن<sup>(5)</sup>، ونظائره."<sup>(6)</sup>، والدعاء "قُتِلَ الْخُرَّاصُونَ"<sup>(7)</sup>.

وإلى جانب ذلك فصلوا أغراض الأساليب البلاغية؛ حين تخرج العبارة خبرية كانت أو إنشائية عن معناها الحقيقي والمفهوم من الصيغة إلى غرض آخر، وقد جمع (تمام حسان) آراء القدماء، في تقسيم الجملة وما استقروا عليه من الخبرية والإنشائية، وجعل الإنشائية طلبية وشرطية وإفصاحية، حسب البيان<sup>(8)</sup>:

<sup>(1)</sup> القزويني: الإصحاح في علوم البلاغة، ص 245.

<sup>(2)</sup> رواه البخاري في كتاب المغازي، باب (فضل من شهد بدرا)؛ صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981، ج 3، ص 5، ج 10.

<sup>(3)</sup> ابن القيم الجوزية: الفوائد، المكتبة الثقافية، لبنان، 1993، ص 14-15.

<sup>(4)</sup> البقرة/ بعض الآية 233.

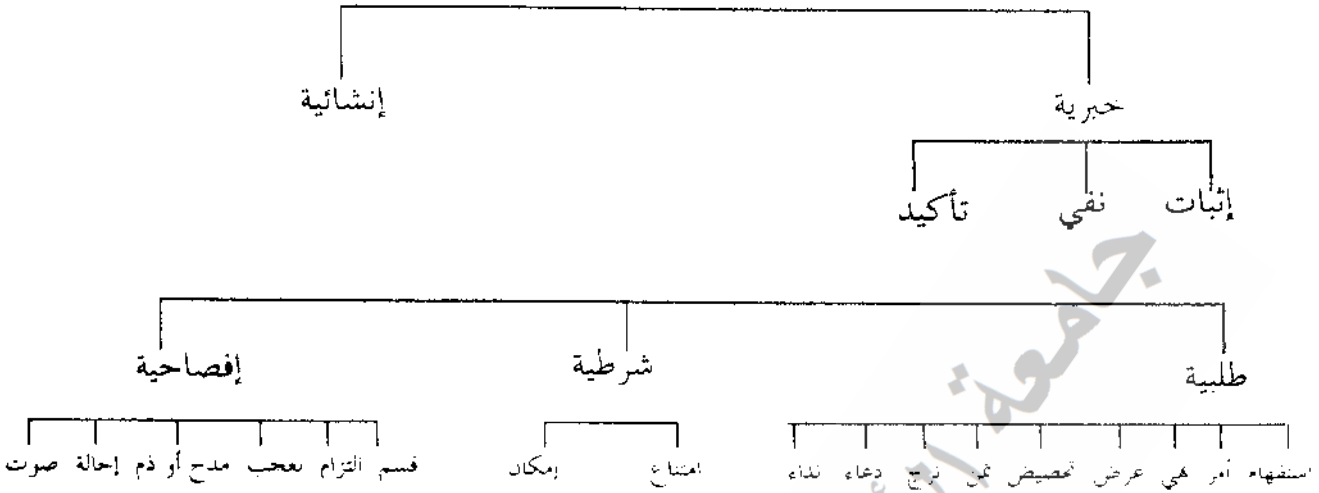
<sup>(5)</sup> البقرة/ بعض الآية 288.

<sup>(6)</sup> ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج 1 ص 104.

<sup>(7)</sup> الفاربات/ 10

<sup>(8)</sup> تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998، ص 244.

## الجملة



وإلى جانب خروج الخبر إلى الإنشاء، قد يخرج إلى أغراض أخرى، نحو: الوعيد "سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ"<sup>(1)</sup>، والتعظيم، نحو (سُبْحَانَ اللَّهِ)<sup>(2)</sup> والتحقير والتبكيك نحو: "ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ"<sup>(3)</sup>... وغيرها.

وكذلك مختلف الأساليب الإنشائية؛ حيث تتعدد الأغراض البلاغية التي تخرج إليها، وتستفاد من قصود المتكلم وأحوال السياق. فقد يخرج الاستفهام (الاستخبار) عن معناه الحقيقي (طلب الفهم، أو طلب الخبر)، إلى الخبر نحو الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى "فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ"<sup>(4)</sup>، والاستفهام التقريري نحو: "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"<sup>(5)</sup> وقد يخرج إلى التكرير "وَكَمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَا"<sup>(6)</sup>، والتوبيخ "لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ"<sup>(7)</sup>.

وكذلك الأمر والنهي والنداء... وغيرها، كل منها يخرج إلى أغراض بلاغية فصلتها كتب المتقدمين والمتأخرين، نحو أغراض: النصح والإرشاد، الكراهة، الدعاء، اليأس، الالتماس، التهديد، التعجيز،... ولقد تناول (أحمد المتوكل) موضوع انتقال الجملة من معناها المفهوم من الجملة إلى معنى

(1) فصلت/ بعض الآية 53.

(2) نضافات / بعض الآية 159.

(3) الدخان / 49.

(4) الاحقاف / بعض الآية 35.

(5) الأعراف / بعض الآية 172.

(6) الأعراف / بعض الآية 04.

(7) الصف / 2.



آخر، وكيف يتم التأويل الدلالي من الاستفهام الظاهر مثلا إلى الطلب، في نحو: هل تستطيع أن تناولني الملح؟، موازنا بين اقتراحات السكاكي في هذا الموضوع وتحليله الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم مقاميا، وبين ما يعرضه المحدثون لوصف الظاهرة نفسها، نحو مبادئ (جرايس) وتصنيف (سورل) للأفعال الكلامية. وقد خلص إلى نقاط اشتراك كثيرة لتحليل الظاهرة، فضلا عن تبدي إرهابات قيمة في اقتراحات السكاكي تمكّن من تحديد المعنى المنتقل إليه<sup>(1)</sup>.

فقد ذكر السكاكي مراحل انتقال الدلالة في نحو قوله مثلا: "إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب: "أفعل هذا؟" امتنع توجيه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه إلى ما لا تعلم مما لا يلبسه من نحو: أمتحسّن؟ وولد معنى الإنكار والزجر. أو كما إذا قلت لمن يهجو أباه مع حكمك بأن هجو الأب ليس غير هجو النفس: هل تمجّو إلا نفسك؟ أو: غير نفسك؟ امتنع إجراء الاستفهام على ظاهره لاستدعائه أن يكون الهجو احتمال عندك توجهها إلى غيره، وتولد منه معنى الوعيد والزجر."<sup>(2)</sup>. كما أن (محمود نخلة) اقترح أيضا، تقسيما للأساليب العربية، على غرار ما يعرضه (أوسين) و(سورل)، حيث ميّز<sup>(3)</sup>:

## 1- الإقاعات:

وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنا للفظه في الوجود، وتشمل أفعال البيع، والشراء، والهبة، والوصية، والوقف، والتنازل عن الحق، والزواج، والطلاق، والإقرار، والقذف، والوكالة... وهذه كلها يقع الفعل بمجرد النطق بها.

وقد سماها ابن القيم "الإنشاءات التي صيغها أخبار كعبت وأعتقت"<sup>(4)</sup>، واختلف الحنفية الذين يعدونها أخبارا مع الخنابة والشافعية الذين يعدونها إنشاءات. وبعد تحقيق ابن القيم فيها، ذكر "أن هذه الصيغ نسبتين؛ نسبة إلى متعلقها الخارجية، فهي من هذه الجهة إنشاءات محضة كما قالت الخنابة والشافعية، ونسبة إلى قصد المتكلم وإرادته، وهي من هذه الجهة خبر عما قصد إنشاءه كما قالت الحنفية؛ فهي إخبارات بالنظر إلى معانيها الذهنية، إنشاءات بالنظر إلى متعلقها الخارجية"<sup>(5)</sup>. ولقد وضع الفقهاء شروطا صارمة لصحة مثل هذه الأفعال، لا تكاد تختلف عن شروطها الموضوعية حديثا، والمذكورة في الفصل السابق.

(1) أحمد المتوكل: اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام النحاطي، (مقال)، البحث اللساني والسيماي، ص 17.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 147.

(3) محمود أحمد نخلة: أفاق جديدة في الفكر اللغوي المعاصر، ص 98-104.

(4) ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، ص 09.

(5) المرجع نفسه، ص 11.

## 2- الطلبات:

تشمل كل الأفعال الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغها، نحو: أمرتك، أوجبت عليك، فرضت، قضيت.. وعدّها (الغزالي) أوامر، بقوله: "وهذه الألفاظ الدالة على معنى الأمر تسمى أمرا."<sup>(1)</sup> وأمثلتها في القرآن الكريم كثيرة، نحو: "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ"<sup>(2)</sup> و"قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ"<sup>(3)</sup>، و"وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.."<sup>(4)</sup>.  
ويذكر أن هذه الأفعال لها شروط لاستعمالها، أهمها أن تصدر ممن يمكنه إصدار الأوامر، وممن تكون له ظروف ومواصفات تُحوّل له إصدارها، وهي مرتبطة بالمخاطب.

## 3- الإخباريات:

تشمل الأفعال التي تصف الوقائع والأحداث في العالم الخارجي، وتنقل أحوالها نقلا أمينًا.

## 4- الالتزاميات:

هي أفعال يقصد بها المتكلم الالتزام طوعا بفعل شيء، نحو أفعال الوعد، الوعيد، المعاهدة، الضمان الإنذار، وغيرها، فهي مرتبطة بالمتكلم.

## 5- التعبريات:

تشمل الأفعال التي يعبر بها المتكلم عن وجدانه ومشاعره، في حالاته النفسية المختلفة من سرور ورضى وغضب وحزن...، إلى جانب أفعال الشكر والاعتذار والمواساة، والحسرة والشوق... الخ.  
ولا يذكر تقسيم هذه الأفعال، استنادا إلى ما قسمه (أوستين) و(سورل)، من باب محاججتها، بقدر ما تُذكر للاستثناس، بأن في المدونة العربية القديمة على اختلاف مصادرها، كثيرا من المسائل التي تحتاج إلى إعادة قراءتها في ضوء ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، وليس لتقريبها منها، بل لتقريب بين مجهودات إنسانية في دراسة اللغة.

ولعل أهم ما يمكن تسجيله بشأن هذا العرض أن ما تقدمه نظرية الأفعال الكلامية في اللسانيات التداولية، وما يقدمه موضوع الخبر والإنشاء في الدرس البلاغي العربي، يؤكد أن الملفوظات والجملة لا يُعتد بشكل صياغتها بقدر ما تستفاد دلالتها من السياق، وأحوال الحديث، ومواقف أدائها.

(1) الغزالي: المستصفى 21/3، نقل عن عمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر، ص100.

(2) المائدة/ بعض الآية 45.

(3) التحريم/ بعض الآية 2.

(4) الإسراء/ بعض الآية 23.

وفي نهاية مبحث البلاغة العربية، نجد أنها وحدها، بمباحثها العديدة، تقدم نظرية كاملة للاتصال، والمقاربة بينها وبين اللسانيات التداولية أكثر من ممكنة. ويمكن القول بأن التداولية وجه من وجوه البلاغة. وقد عرض هذا المبحث إلى العلاقة بين البلاغة والاتصال، واتضح أن الدرس البلاغي العربي القديم قد عرف نظرية بلاغية متطورة جدا، وهي نظرية للتواصل عند كثير من الدارسين، لا تختلف عما تعرضه اللسانيات التداولية الحديثة.

وهي من ناحية أخرى ذات صلة وثيقة بالتداول اللغوي، حيث إنها تطرقت إلى العملية التواصلية التي تُعدّ أساس الدرس التداولي الحديث.

وكما تبين، فإن كلا من مباحث الإنشاء والخير وأغراض الأساليب البلاغية، والصدق والكذب، لها علاقة بنظرية أفعال الكلام؛ أحد مفاهيم اللسانيات التداولية.

وإذا كانت البلاغة العربية في أوجز تعريفاتها هي مطابقة المقال لمقتضى الحال، فهي لا تختلف عن اهتمامات اللسانيات التداولية التي هي دراسة اللغة حال الاستعمال؛ أي الكلام، بما يكتنفه من أحوال المتكلمين، وعناصر المقام وكل ملاسبات التواصل. وبذلك فهي متداخلان، لاشتراكهما في هذه القضايا وغيرها.

## 2 - النحو العربي واستعمال اللغة :

قد تكون البلاغة العربية القديمة وحدها كافية لأن تمثل كثيرا من مباحث اللسانيات التداولية الحديثة، لما تناولته من قضايا عديدة ترتبط بالاتصال واستعمال اللغة.

ولأن هذا البحث يتناول خصائص التركيب اللغوي رأى أنه ينبغي النظر فيما يشمله النحو العربي من مسائل ترتبط بعناصر الاتصال السابقة : المتكلم ، السامع ، والخطاب في ذاته.

ولم يكن النحو بعيدا عن البلاغة في هذا الموضوع وفي غيره، بل إن بينهما اتصالا وثيقا في الدرس القديم. وكثيرا ما تقيم البلاغة أحكامها على المقولات النحوية.

وعلم النحو نفسه، لم يكن تناولا للبنية اللغوية دون النظر إلى أحوال الاستعمال المختلفة؛ حيث اهتم بمسائل مرتبطة بالمتكلم بعده منتج الخطاب، مما يُظهر أثره على البنية ذاتها، وكذلك السامع ونص الخطاب؛ وذلك أن اللغة، وهي موضوع النحو، تقوم على مفاهيم الاستعمال والتداول، نحو ما جاء في تعريفها وعرض وظيفتها الأساسية لدى (حازم القرطاجني): "لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى بعضهم على تحصيل المنافع وإزاحة المضار وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها، وجب أن المتكلم يتبغى إما إفادة المخاطب وإما الاستفادة منه"<sup>(1)</sup>. فالكلام دليل المعاني المتداولة بين الناس، وهو الذي يعرض حاجاتهم فيما بينهم، لذلك فأهم، ووظيفة تقدمها اللغة أن تحمل فائدة إلى سامع أو تطلبها منه.

فليست اللغة بُنى وتراكيب مستقلة بذاتها، بقدر ما هي قائمة على الفعل الحي، والأداء الفعلي الذي تتضمنه. ولقد عرض (عبد القاهر الجرجاني) في مطلع دلائل الإعجاز تصوره للنحو والحاجة إليه: "ومفاد نصه أن النحو الذي يعنى بالإعراب ومشاكله من المسائل اللفظية، لا يمكن أن يعد نحوا، وأن النحو هو الوصف الذي يجاوز رصد الخصائص اللفظية إلى رصد العلاقات القائمة بين اللفظ والمعنى باعتبار المعنى مجموع الوسائط التي تتفاعل في تحديد الصورة التركيبية للحملة"<sup>(2)</sup>. فالنحو في نظره يتجاوز النظر في العلاقات القائمة بين عناصر البنية فيما بينها، العلاقات بين البنية ذاتها وما يمكن أن تؤديه من وظيفة وأغراض كلامية في واقع الاستعمال، و"بهذا المعنى يمكن أن تقول إن النحو الذي

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلاء وسراج الأدهاء، تقوم وعميق محمد الحبيب بن الخروجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص 344.

(2) محمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية ، ص 87 - 88 .

كان يدعو إليه الجرجاني (ومن حذا حذوه من البلاغيين والأصوليين) نحو "وظيفي" باعتبار قيامه على مبدأ ضرورة الربط بين اللغة والوظيفة التي تؤديها في التواصل<sup>(1)</sup>.

ولا يختلف مفهوم (علم النحو) عند (ابن خلدون) عما ذكره (الجرجاني) وعلق به (المتوكل) إذ ورد في حديثه عن (علم النحو) قوله: "اعلم أن اللغة في المتعارف، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان"<sup>(2)</sup>. فعبارة المتكلم عن قصده، هي (إنجاز فعل) - بتعبير اللسانيات الحديثة - ويتمثل في إفادة السامع بالكلام. ثم يتابع ذلك بتفصيل أشكال الإفادة، فتكون: "إما تصور مفردات تُسند ويُسند إليها (...). وهذه كلها هي صناعة النحو"<sup>(3)</sup>، ويضيف أهم من ذلك: "ويبقى من الأمور المكتشفة بالواقعات، الحاجة للدلالة، أحوال المتخاطبين أو الفاعلين، وما يقتضيه حال الفعل؛ وهو محتاج إلى الدلالة عليه، لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة من كلامه"<sup>(4)</sup>. فمعرفة أحوال المتخاطبين، وظروف أداء الخطاب بينهم ضرورة لصناعة النحو. وفيما يلي عرض لبعض قضايا التواصل والتداول، وفق العناصر:

2 - أ - تداولية المتكلم في النحو العربي .

2 - ب - تداولية المخاطب في النحو العربي .

2 - ج - تداولية الخطاب في ذاته في النحو العربي .

2 - أ : تداولية المتكلم في النحو العربي:

للمتكلم مكانة بارزة في الدرس النحوي العربي؛ حيث يُعتدّ به في كثير من المباحث نحو الفرق بين الكلام والتكليم الذي مر بيانه؛ فـ "التكليم تعليق الكلام بالمخاطب، فهو أخص من الكلام، وذلك أنه ليس كل كلام خطاباً للغير"<sup>(5)</sup>، ويضيف "والمتكلم هو فاعل الكلام"<sup>(6)</sup>، فقد سُمي متكلماً بالنظر إلى الفعل الذي يؤديه. وتجاوز (ابن جني) ذلك إلى حد أنه أرجع "أمر الرفع والنصب والجر للمتكلم نفسه"<sup>(7)</sup>، في حديثه عن موقع المتكلم في الإعراب، فهو الذي يملك المعنى الحقيقي للعبارة،

(1) المرجع السابق : ص 88 .

(2) ابن خلدون : المقدمة ص 565 .

(3) المرجع نفسه : ص 570 .

(4) المرجع نفسه : ص 570 .

(5) أبو هلال العسكري : الفروق في اللغة ، ص 27 .

(6) المرجع نفسه ، ص 27 .

(7) ابن جني : الخصائص ، ج 1 ص 111 .

وهو الأدرى بمقاصده وأغراض الكلام، لذا كان ظاهر البنية وشكلها من اختصاصه هو دون غيره. والكلام نفسه حظي باهتمام النحويين، لا سيما في المبحث المشهور بالفرق بين (الكلام والقول)، وأحسن ما يذكر في الفرق بينهما تمييز (ابن جني)؛ حيث جعل القول: "للخفوف والحركة وذلك أن الفم واللسان يَخْفَانُ له، ويقلقان ويمدَّان به (مذل المريض: فرح) وهو ضد السكوت" (1)، فالجمال الدلالي للقول هو الخفة والحركة، خلاف مجال (الكلام) الذي يتحدد في "القوة والشدة" (2) ويعد كل كلام قولاً وليس كل قول كلاماً (3)، ويجمع الشروط التي حددها النحاة للكلام في "كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه" (4)

وزاد السيوطي على هذه الشروط شرطاً آخر هو القصد، حيث لا يعتد بالكلام الصادر عن الساهي والنائم لعدم توفر هذا الشرط، يقول: "... إنك إذا قلت قام الناس اقتضى إطلاق هذا اللفظ إخبارك بقيام جميعهم...، فعلم بهذا أن لإفادة (قام الناس) الإخبار بقيام جميعهم بشرطين: - الأول: ألا تبتدئه بما يخالفه. - الثاني: ألا تختمه بما يخالفه. - الثالث: أن يكون صادراً عن قصد" (5) وكذلك فعل ابن هشام، حيث أدخل القصد في مفهوم الكلام، فقال: "الكلام هو القول المفيد بالقصد" (6)، والمراد بالقصد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه. فشروط الكلام مرتبطة بالمتكلم، لأن ابتداء الكلام واحتتامه والقصد فيه، مرتبط به، لا بغيره. ويزيد على ذلك بأن يجعل المتكلم هو المفيد في الأصل، لا الكلام: "وضع الواضع له معناه أن جعله مهياً لأن يفيد ذلك المعنى عند استعمال المتكلم على الوجه المنصوص، والمفيد في الحقيقة إنما هو المتكلم، واللفظ كالألة الموضوعية لذلك" (7) فالعلم بالقصد ضروري لإفادة الكلام، ويمثله الكلام النفساني القائم بذات المتكلم وهو مذهب والده رحمه الله (8).

ومما تظهر فيه القيمة التداولية للمتكلم من خلال القصد، قولنا: (9)  
- جاءني زيد (جملة فعلية) يظهر فيها الاهتمام بالمعنى، قبل الشخص المسند إليه.

(1) المرجع السابق نفسه، ج 1، ص 19.

(2) المرجع نفسه، ج 1، ص 26.

(3) المرجع نفسه، ج 1، ص 31.

(4) المرجع نفسه ص 31.

(5) السيوطي: انزهري علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق محمد حاد المولى بك ومحمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البخاري، المكتبة العصرية،

صيدا، بيروت، 1987، ج 1 ص 39.

(6) ابن هشام: معني اللبب عن كتاب الأعراب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1991، ج 2 ص 431.

(7) المرجع نفسه، ج 1، ص 39.

(8) المرجع نفسه ج 1 ص 39 - 40.

(9) ابن خلدون: المقدمة، ص 571.

- زيد جاعني (جملة اسمية) يظهر فيها الاهتمام بالشخص قبل المحيىء والمسند .

وكذلك ما في التكثير من تعظيم في (جاعني رجل)، وما في التعريف من أنه لا يعادله أحد من الرجال في (جاعني الرجل): وكل ذلك متعلق بقصد المتكلم ومنوط به.

## 2 - ب - تداولية المخاطب في النحو العربي:

تتضح قيمة السامع في الدرس النحوي من خلال جملة شواهد ، أهمها مفهوم الكلام وأقسامه؛ حيث قسم اعتدادا بالسامع، وفي هذا قيمة تداولية. يقول ابن فارس في (باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله): "أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب"<sup>(1)</sup> فوضوح الكلام قائم على مدى فهم السامع له ، بناء على الأساليب اللغوية التي يعرفها. وحقيقة الكلام نفسه مرتبطة بـ "ما سُمع وفهم، وذلك قولنا: قام زيد وذهب عمرو"<sup>(2)</sup>.

والواقع أن لا فصل بين المتكلم والسامع؛ إذ المتكلم ذاته عُدّ كذلك لأنه فاعل الكلام، ولأنه يتكلم إلى سامع أيضا، وبالتالي فإن حضوره يستدعي وجود السامع، والعكس وارد.

ومن شواهد ذلك أيضا ما ذكره ابن الأثير في التفسير بعد الإبهام ، إذ "يعمد إلى استعماله لضرب من المبالغة، لتفخيم أمر المبهم وإعظامه، لأنه هو الذي يطرق السمع أولا، فيذهب بالسامع كل مذهب، كقوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوَلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ" ففسر ذلك الأمر بـ (دابر هؤلاء مقطوع) فإن الإبهام أولا يقع بالسامع في حيرة وتفكير واستعظام لما قرع سمعه، وتشوّف إلى معرفته، والاطلاع على كنهه"<sup>(3)</sup>. وهذا أسلوب من أساليب العربية في الكلام حيث؛ يعمد المتكلم إلى أن يبهم كلامه ثم يفسره بعد ذلك، نحو الآية المذكورة، لما يُعمله الإبهام الأول من مبالغة وتفخيم وإعظام، وإعمال للفكر وتشوّف إلى معرفة المبهم ... وهنا تبدو قيمة السامع ودوره في بناء مثل هذا الخطاب.

والكلام عند النحاة مرتبط بالفائدة وما يجزره السامع من نفع، والفائدة نفسها تتحدد بالسامع دون غيره؛ ورد في شرح ابن عقيل في شرح الكلام عند النحاة: "اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها (...). والكلم ما تتركب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه، نحو إن قام زيد"<sup>(4)</sup> وفي هذه العبارة المتكررة: (يحسن السكوت، لم يحسن السكوت) اهتمام بالمخاطب الذي يصدر عنه

(1) ابن فارس ، الصاحي ، ص 74 .

(2) المرجع نفسه ، ص 81 .

(3) ابن الأثير: المثل السائر ، ج 2 ، ص 24 .

(4) محمد عبي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية مالك ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، ط 2 ، دون بيانات أخرى ، ج 1 ، ص 14 .



السكوت على الأداء أو عدمه؛ أي أن تعريف الكلام كان بالنظر إلى موقف اتصالي ما، وهي قيمة تداولية معتمدة في بيان الكلام من غيره عند النحاة .

وخلاصة ما يحكم الفرق بين الجملة والكلام والقول عند النحاة، أربعة مقاييس، منها ما يرتبط بالمتكلم، ومنها ما يرتبط بالمخاطب، ومنها يرتبط بالخطاب في ذاته، وهي: الإسناد، القصد، الإفادة وحسن السكوت. وهي مقاييس تداولية في الواقع، لا سيما الثلاثة الأخيرة التي لا تتحقق إلا بالاستخدام الفعلي للغة.

ومن مواضع الاهتمام بالمخاطب أيضا ، ما ورد في باب الحذف ، حيث تميل اللغات فيما يذكره النحويون إلى حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة؛ أي أنه ينبغي للحذف أن يقوم على دليل يعرفه المخاطب ، نحو قوله تعالى: "وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا"<sup>(1)</sup> فقد حذف: أنزل ربنا في الجواب لمعرفة المخاطب بـ (أنزل) موضوع الحديث، وهي دليل الحذف الذي ينبغي أن يتوفر في كل بنية يعترها حذف، باتفاق النحاة واللغويين، نحو سيبويه، الفراء، ابن جني ، ابن هشام، الزركشي ... وغيرهم. وتلك سنة العرب في المواضع التي يُعرف فيها معنى الجواب.

## 2 - ج - تداولية الخطاب في ذاته في النحو العربي:

يحظى الخطاب بقيمة كبيرة في الدرس النحوي العربي، وأول ما يلفت النظر في ذلك دراسة النحاة لأغراض الأساليب ، وخروج أسلوب من معنى حقيقي لاصق ، إلى معنى آخر ، فتناولوا مثلا خروج أداة الاستفهام من الدلالة على السؤال إلى الدلالة على معانٍ أخرى، نحو الإنكار والاستبطاء، وغيرهما. ونحو الدلالات التي فصلها ابن هشام لـ (الـ) التعريف، وجعلها نوعين<sup>(2)</sup>: عهدية وحنسية، وكل منهما ثلاثة أقسام، ترتبط بالاستخدام الفعلي للغة، لا سيما أقسام (الـ) العهدية وهي :

- أن يكون مصحوبها معهودا ذكريا، نحو: "إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ"<sup>(3)</sup>.

(1) النحل /30.

(2) ابن هشام : معنى اللبب عن كتب الأعراب ، جـ 1 ص 61 وما يليها .

(3) المزمل / 15-16.



- أن يكون مصحوبها معهودا ذهنيا ، نحو : "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ..." (1) .

- أن يكون مصحوبها معهودا حضوريا، نحو: "يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا..." (2).

ويتضح الاعتداء بواقع استعمال اللغة في القسم الثاني؛ حيث ينبغي أن تكون الشجرة حاضرة في الذهن أثناء الخطاب، وهو أكثر اتضاحا في القسم الثالث حين تكتنف (الـ) الحالة الواقعية التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو مزمّل وكأفها دلالة الإنجاز والأداء.

ومن أهم مباحث النحو العربي التي اهتمت بتداولية الخطاب أيضا، التقديم والتأخير، فتناول النحاة دواعي تقديم المسند إليه، ومنها أن يتمكن الخبير في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه (3) نحو:

والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جماد

ومنها أن يفيد تقديمه تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي ، فيحمل دلالة نفي الفعل عنه وإثباته لغيره، نحو ما أنا قلت هذا ، أي لم أقله مع أنه مقول، (4) ونحو قول المتنبي:

وما أنا أسقمتُ جسمي به ولا أنا أضمرتُ في القلب نارا

"إذا المعنى أن هذا السقم الموجود والضرم الثابت، ما أنا بجالب لهما، فالقصد إلى نفي كونه فاعلا لهما لا إلى نفيهما" (5).

وذكروا إلى جانب ذلك خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر (6): فيوضع المضمّر موضع

المظهر، نحو التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة في نحو قوله تعالى: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" (7) وقوله: "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ" (8) ، قوله: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (9)،

(1) الفتح / 18 .

(2) المزمّل / 01-02 .

(3) ينظر : القرويبي: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 135 .

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 137 .

(5) المرجع نفسه، 137 .

(6) ينظر تفصيل ذلك في: المرجع نفسه، ص 154 وما يليها.

(7) الإعلاص / 01 .

(8) المؤمنون / 117 .

(9) الحجج / بعض الآيات 46 .

حيث قدم الضمير ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظر لتعقبي الكلام كيف تكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن (1).

كما تتقدم بعض معمولات الفعل على بعض: "لأن ذكره أهم، والعناية به أتم، فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه" (2)، كما في قول أحدهم: قَتَلَ الظَّالِمَ فَلَانَ مَخْبِرًا عَنْ قَتْلِهِ، فقدم الظالم لأنه يتحدث إلى من ليس له فائدة في أن يعرف قاتله بل يريد معرفة وقوع الفعل به ليخلص من شره.

ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض وقوع الفعل ممن وقع منه، لا وقوعه على من وقع عليه، (3) كما في قوله تعالى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ حِطًّا كَبِيرًا" (4) إذ وجه الخطاب للأغنياء بدليل (الخشية مما لم يقع) فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم. ونحو قوله في آية أخرى: "وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ" (5)، والخطاب فيها موجه إلى الفقراء بدليل (من إملاق)، فقدم الوعد برزقهم وهو أهم عندهم من رزق أولادهم، على الوعد برزق أولادهم.

ومن مباحث الاهتمام بالخطاب ذاته في النحو العربي التعبير بالجملة الفعلية واختلافه عن التعبير بالجملة الاسمية؛ حيث يكون الأول عندما يتلقى السامع الخبر لأول مرة وليس لديه فكرة عنه. أما الثاني، فيكون حين يملك السامع على الأقل أدنى معرفة بموضوع الحديث، لكن المتكلم يرسله بقصد ومناجاة. ولقد ذكر (ابن الأثير) أمثلة له منها قوله تعالى: "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا بِى شِيَاظِنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ" (6) فقد عبروا بالفعل حين حديثهم مع المؤمنين، وبالاسمية مع إخوانهم الكفار، "لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد (...). وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فكان تكلفا وإظهارا للإيمان خوفا ومدحاجة (...). ولأنهم ليس هم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم" (7).

(1) القروي: لإيضاح في علوم البلاغة ص 154 .

(2) المراجع نفسه، ص 207 .

(3) المراجع نفسه، ص 207 وما يليها .

(4) الإسراء، 31.

(5) الأنعام / بعض الآية 151.

(6) البقرة / 14 .

(7) ابن الأثير: للتل السمر، ص 2، ص 51 .

وتحدث النحاة أيضا عن الوحدات اللغوية، نحو الضمائر، أسماء الإشارة، الظروف الزمانية والمكانية ، وزمن الفعل ... وغيرها من الوحدات التي لا تتحدد مدلولاتها إلا بالنظر إلى عناصر المقام والعبارات التي ترد فيها، وهي بذلك ذات دلالات تداولية، اشترك في دراستها النحويون قديما، واللسانيون التداوليون حديثا.

ويذكر في الموضوع أيضا ما قدمه سيبويه في نظراته إلى المعنى وعلاقته بالبنية، إلى جانب ربط ذلك بمدى صحته في الاستعمال ومطابقة للكلام للواقع؛ حيث جعل المعنى في العربية خمسة أقسام<sup>(1)</sup>:

- مستقيم حسن: أتيتك أمس، سأتيك غدا.
- محال: أتيتك غدا، وسأتيك أمس.
- مستقيم كذب: حملت الجبل، شربت ماء البحر.
- مستقيم قبيح: قد زيدا رأيت.
- محال كذب: سوف أشرب ماء البحر أمس.

هذا، وفي نهاية الفصل، فإن تناول علاقة اللسانيات التداولية ببعض مباحث البلاغة العربية، والنحو العربي ، لا يحصر علاقتها بمصادر التراث العربي في هذين العلمين دون العلوم الأخرى، فهناك كثير من المباحث المشتركة أيضا في النقد، والخطابة وغيرهما، ولكن الفصل اكتفى بهذين العلمين وهدما لأكما أكثر ارتباطا بالموضوع.

فلدى نقاد الشعر كثير من الإشارات التي تعني بأحوال تلقي الشعر، وتداوله، من اهتمام بحال السامع والمرسل من حال الإخبار الاستخبار، وكذا مراده من كونه ناهيا أو داعيا أو مجيبا<sup>(2)</sup>، إلى جانب حديثهم عما يحتاج إليه الشاعر بعدة متكلما، ورد في العمدة: "أول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجهد الذي هو الغاية، وفيه الكفاية، حسن التأني والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع ، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع، ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان، ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا"<sup>(3)</sup>.

(1) سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991، ج1 ص25-26.

(2) حازم القرطاجي: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 14.

(3) ابن رشيق: العمدة ج1 ص 199

وإضافة إلى كل ذلك، أن يحسن المبدأ والخروج والنهاية، وفيه: إصابة مقاتل الكلام، وعلاقة ذلك بالنفس، وعلاقته بالمخاطبين وأحوالهم، ومراعاة ما يفرضه المقام<sup>(1)</sup>.

كما أورد القرطاجني بابا سماه "الشعر بحسب اختلافات أنحاء التخاطب"<sup>(2)</sup> وهو غني بكثير من الإشارات التداولية.

حتى أن مفهوم الشعر ذاته، يعمل قيما تداولية، نحو: القصد، حمل المخاطب على فعل سلوك ما، إشراكه في حب شيء ما أو كرهه، وتحريك لنفسه... وغيرها. يقول في ذلك القرطاجني: "الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يجلب إلى النفس ما قصد تحييه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه، أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك"<sup>(3)</sup>.

أما في الخطابة، فأكثر ما ترتبط بمبحث الحجاج؛ أحد أهم المباحث التداولية؛ حيث إنه متوفر في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة<sup>(4)</sup> وهو مهيمن على اللغة ذاتها إلى جانب هيمنته على الطرف الثاني من الحوار فيصبح حينها مكتسبا بعدا تواصليا.<sup>(5)</sup> ويرتبط في مفهومه بالفعل لأنه بحث من أجل ترجيح خيارات بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معيّنين في مقام خاص، إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما.<sup>(6)</sup> هذا، إلى جانب اهتمامه بأساليب إجراء اللغة، وتنويعات الخطاب ومقاماته وطبائع الناس المعنيين بكل قول معين<sup>(7)</sup>.

وإذا ما تتبعنا دلالاته المعجمية في الدرس العربي<sup>(8)</sup> نجد أنها تشمل المجالات التالية:

- دلالة المشاركة وهي أصل من أصول المجادلة والمحاورة والتفاعل أثناء الحديث، وتعني فيما تعينه وصف حوار المتخاطبين حين يكون فيه أخذ وردّ.
- دلالة القصد؛ وهو شرط أساسي في الحديث والمجادلة.
- دلالة الحجة؛ لأن المجادلة والمحاورة تظهر فيها الحجة أكثر من الحديث العادي.

(1) ينظر المرجع نفسه : ج1 ص 195 وما يليها.

(2) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 344 وما يليها

(3) المرجع نفسه، ص 71

(4) ينظر عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ص 145

(5) المرجع نفسه، ص 146

(6) ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرنان ( مقال ) مجلة عالم الفكر مج 28 ع يناير مارس 2000 ص 57

(7) المرجع نفسه، ص 59

(8) ينظر مثلا : ابن منظور : لسان العرب مادة حجاج، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

ومباحث الحجاج متقاربة مع الخطابة لقيامه على اعتبار المقام وأسس الإقناع. وقد يكون هو أساس الأشكال البيانية المختلفة من تشبيه واستعارة؛<sup>(1)</sup> ذلك أنه يرتبط بمقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية. وقد جعله ( ابن خلدون ) أساس علم الكلام؛ يقول مُعرِّفاً علم الكلام بقوله: " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"<sup>(2)</sup>. وقد تحدث المتكلمون من قبل عن إجماع الخصم بالحجة، وعقدوا له مباحث في كتبهم.<sup>(3)</sup>

هذا، وينبغي الإشارة إلى جانب البلاغة والنحو ونقد الشعر والخطابة والحجاج، فإيها قدمه علماء الأصول والفلاسفة المسلمون في كثير من كتبهم، من إشارات غنية بالقيم التداولية، والتي تُلحَّ جميعاً على دراسة اللغة أثناء الاستعمال .

(1) ينظر : جميل عبد الحميد : البلاغة والاتصال، ص 122

(2) ابن خلدون : المقدمة ص 440

(3) ينظر : أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 179-180

## الباب الثاني

خصائص التركيب اللغوي في "بوابات النور"؛  
دراسة في الوظيفة التداولية.

جامعة الأمير  
القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

مظاهر التداولية اللغوية في "بوابات النور"

لعلَّ أوَّل سؤال يعترض هذا الباب، هو: كيف يمكن البحثُ عن الخصائص التداولية، وتحديد وظائفها، في نص شعري؟ وقد مرَّ في الباب السابق مدى ارتباط التداولية باستعمال اللغة، وواقعها الحبي، وما يضيفه المتكلمون - أثناء الحديث - من شروط وملابسات، ترتبط بالأداء ذاته. فكيف، والنص (موضوع الدراسة) مكتوب، غير مؤدَّى فعلاً؟ بل إنه نص فني، دخلته عدة تحويرات، وتكتنفه عدة شروط، بَعْدَه نصاً شعرياً متفقاً - من قبل - على العديد من خصائصه الأسلوبية؛ فأين التمييز إذاً؟ بل أين ملامح الكلام فيه، وهي موضوع التداولية أساساً؟

هذا ما يدعو إلى ضرورة مناقشة الفكرتين التاليتين، قبل تحديد مجال التداولية الذي يعني هذا البحث:

1 - اللغة العادية واللغة الشعرية.

2 - اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة.

1 - اللغة العادية واللغة الشعرية:

يقصد باللغة العادية، لغة التواصل اليومي، أو لغة رجل الشارع<sup>(٣)</sup>، كما يعبر بعض فلاسفة اللغة حديثاً؛ ذلك أنها لغة خالية من مظاهر التكلف والرسمية، وهي - وإن حافظت على قواعد التواصل المتفق عليها - تحمل كثيراً من الانحرافات والعدولات التي ترتبط بالمتكلمين أنفسهم، ولا يمكن تفسيرها إلا في ظروف أدائها.

أما اللغة الشعرية، فلها ملامحها وقواعدها التي تجعل منها لغة متميزة؛ وبإمكان أي منّا تمييز اللغة الشعرية عن اللغة العادية في حديث أيّ كان؛ إذ يجد في الأولى خصائص فنية وأسلوبية. وقد تكون بإرادة من المتكلم ذاته، الذي يريد أن تختلف لغته في هذا الموقف عن اللغة العادية.

وليس معنى ذلك أن اللغة العادية خالية من إرادة المتكلم في التعبير بأساليب غير مألوفة لأغراض فنية، ولكن لأنها تخلو من هيمنة الأساليب المتفق على شعريتها، وأغراضها. ففي اللغة العادية لا تكون الانحرافات التعبيرية - بقصد من المتكلم أو دون قصد - مشتركة بالضرورة بين الناس، خلافاً للغة الشعرية التي تحافظ دائماً على قدر من الشروط المشتركة، مهما اختلفت أساليب التعبير الشعري وأدائه، ومهما تميز شاعرٌ عن آخر.

وقد ميز بعض الدارسين بين البعد التداولي في كل من اللغتين العادية والشعرية؛ حيث لا يكون واحداً بالضرورة، وقد يكون في إحداهما أوسع مجالاً من الأخرى، فـ "البعد التداولي لفعل الكلام

(٣) قد يعترض أحد على هذه التسمية، لما فيها من دلالة ضمنية؛ حيث تعني في كثير من الأوساط (اللغة الهابطة والسوقية) للتغير الدلالي الذي يعترض كلمة (الشارع) نفسها. ولكن للمعنى الأساسي المقصود أعلاه: اللغة للتداول في التواصل اليومي، الخالية من ملامح اللغة الرسمية والتكلف الأسلوبي، إلا ما كان مرتبطاً بالتواصل ذاته.



يشهد جديد أن اللغة لا تصف العالم وحسب، بل إن لها في المقابل وظيفة تأليف علاقات بين المتخاطبين بعيدا عن المفوضات الشعرية؛ حيث تكون الوظيفة فيها التعبير عن العواطف<sup>(1)</sup>. لذلك كان الاهتمام بالوظيفة الأولى للغة، وهي دراسة ما يرتبط بالعلاقات بين المتخاطبين، والابتعاد عن دراسة اللغة الشعرية التي تطفئ فيها وظيفة أخرى لا تحسني بها التداولية كثيرا.

كما أن أوستين نفسه، حين بعث فكرة أفعال الكلام، جعلها مرتبطة بمجال اللغة العادية، وليس باللغة الشعرية، لأنها في نظره غير جدية وغير عادية وفيها كثير من التشويش. وتلك هي الملامح التي أشير إليها سابقا وتختلف فيها عن اللغة العادية، يقول: "إن المقال الإنجازي سيكون فارغا أو خاليا، إذا نطق به ممثل على الخشبة أو أدمج في نص شعري."<sup>(2)</sup>

ذلك أن الفعل الإنجازي مرتبط بمدى إنجازه في الواقع، وتقوم هذه الإنجازية على المتكلم الذي يملكها. فلو أنصتنا إلى ممثل على الخشبة وهو: يعدُّ مثلا، أو يزوج ابنته... فإننا ندرك يقينا بأن هذه الأفعال لن يحدث إنجازها في الواقع، فهي أفعال فارغة في الحقيقة، ولا تحمل شيئا من الدلالة الإنجازية.

وبذلك فإن اللغة الشعرية مهما أغرقت في الامتداد، فإنها تبقى حاملة لخصائص تجعلها مرتبطة بهذا الشاعر لا ذاك؛ فنصُّ لـ(مفدي زكريا) مثلا، لا يمكن نسبته إلى (زهير بن أبي سلمى)، بل لا يمكن أن يُنسب إلى (محمد العيد آل خليفة) -مع كثير من مجالات الاشتراك بينهما-، لأن النص يحمل خصائص صاحبه، مهما اجتهد في الجنوح نحو اللغة المشتركة وخصائص اللغة الرسمية.

وتلك هي الخصائص التي تجعل من الشاعر متكلمًا (من الكلام كما يحدده سوسير)، لا لسانيا (نسبة إلى اللسان في تحديده أيضا)؛ وذلك هو مدخل اللسانيات التداولية إلى دراسة النص الشعري.

## 2- اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة:

يُفترض في الدراسة التداولية -على نحو ما مرّ بيانه في الفصل الأول سابقا- أن تكون مدونتها مرتبطة بالأداء الحي، والنطق الفعلي للغة، حتى تتمكن من رصد خصائص التداول المختلفة، وما يرتبط بالمتخاطبين أثناء التواصل.

(1) -que sais-je. esthétique de la communication, jean caune , 1<sup>ère</sup> édi, puf, 1997, p 97.  
(2) -Austin, quand dire c est faire , P47 , Deuxième Conférence.

وقد يعترض بعض الدارسين على أن نتناول نصا مكتوبا، مضى زمن على إنشائه وأدائه، وهو اعتراض له ما يبرره، لما بين المنطوق والمكتوب من تمايز.

ولذلك ميز المسدي -معالجة لهذا الإشكال- بين ثلاثة أنواع من التداولية<sup>(1)</sup>:

- تداولية حقيقية: تتناول دراسة الكلام في التواصل الحي، وتكون نتائجها مباشرة، لارتباطها بالأداء الفعلي.

- تداولية افتراضية: تتناول دراسة نص محكي، كأن تتصور واقعا حيا لأدائه، وتفترضه، لترصد الخصائص المطلوبة بعد ذلك.

- تداولية إبداعية: تعكف على دراسة النصوص الأدبية؛ نص شعري مثلا؛ حيث تجد أنفسنا أمام تمثيل بنيوي لخصائص الخطاب المختلفة، وهذه البنى حددتها مواقف تواصلية معينة. وعلى اللسانيات التداولية أن تجد العلاقات القائمة بين هذه المواقف وبنائها، وترصد ما يتعلق بالمتكلم والسامع إلى جانب ذلك. وتختلف عن التداولية الافتراضية في أنها لا تفترض المقامات التواصلية إلا بالاستناد إلى المعطيات المتوفرة في البنية. وبذلك فهي أقرب منها إلى الاستخدام الفعلي للغة.

وهذا النوع الأخير هو الذي يسميه الدارسون حديثا بـ "التداولية اللغوية"، نحو ما قدم به (فان ديك) لكتابه؛ حيث نبه إلى أنه يهتم بـ (التداولية اللغوية) وحدها<sup>(2)</sup>، ونحو (شاهر الحسن) الذي عقد له فصلا خاصا في كتابه<sup>(3)</sup>، عنوانه (البراغماتية اللغوية). والمعنى التداولي في نظره "يستخلص من مجموعة عوامل المقام الذي قيلت فيه العبارة، وتشمل المتكلم والمخاطب والمستمعين، والمكان والزمان والموضوع والأسلوب، والغاية التي يقصدها المتكلم والنتائج العملية والسلوكية التي تحدثها العبارة في المخاطب والمستمعين."<sup>(4)</sup> ثم يحدد اختصاص التداولية اللغوية، بقوله: "ليصبح المعنى المتصل بالمقام من اختصاص التداولية اللغوية."<sup>(5)</sup>

وحين يتناول هذا البحث دراسة خصائص التركيب اللغوي من حيث الوظيفة التداولية في ديوان عبد القادر بن محمد بن القاضي، فإنه يندرج ضمن هذا الاتجاه الأخير الذي يبحث في الخصائص الشكلية لعناصر التركيب المختلفة (أفعال، بنى حجائية، افتراض مسبق، حذف،

(1) في لقاء خاص مع عبد السلام المسدي في (أفريل 2004).

(2) فان ديك: علم النص، ص 115.

(3) شاهر الحسن: علم الدلالة؛ السيميائية والبراغماتية في اللغة العربية، ص 157.

(4) المرجع نفسه، ص 157.

(5) المرجع نفسه، ص 158.

تكرار...) وبيان وظائفها. - كما حددها الدرس اللساني التداولي-، وبحث ما يجعل من نصوص الديوان خطابا شعريا متداولاً.

والنص الشعري في الحقيقة يحمل في ذاته قيما تداولية، أهمها أن غايته التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه، مستندا في ذلك إلى البلاغة التي غرضها الإبلاغ، وإلى البيان الذي غرضه التبيين. والشعر-تداوليا- مجموعة أفعال أدائية تضبطها جملة من العلاقات المتحركة في عملية إبلاغه، وكذلك التداولية"تتطرق إلى اللغة بعددًا ظاهرة خطافية وتواصلية واجتماعية"<sup>(1)</sup>.

ويلتقيان بهذين المفهومين في كثير من المجالات؛ أهمها أن المجال الحيوي لكل منهما هو التواصل؛ ويمكن الحديث -إذاً- عن التداولية في الشعر، وإن كان مكتوبا. وأهم ما تناوله: دراسة شروط وصول النص الشعري إلى السامع، وإقناعه والتأثير فيه، وبحث الأشكال والبني التي تتكفل بذلك. وتستند إلى مقولات البلاغة القديمة والشعرية الحديثة، لأن هذه الأخيرة لم تعد تحفل بالمعاني المألوفة قديما.

أما عن ديوان ابن القاضي تحديدا، فإنه يشمل كثيرا من الإشارات الداعية إلى هذا النوع من الدراسة، وأهمها<sup>(2)</sup>:

- يصور الديوان حياة صاحبه، ويقدم جوانب تاريخية وثقافية وسياسية لحياته، وللمرحلة التاريخية التي عاشها.

- يرتبط مفهوم الشعر عند ابن القاضي بوظيفته في الحياة، كأن يحمل موقفا أو يُعدّل سلوكا، أو يدعو إلى أمر.. بعيدا عن المفاهيم الأخرى التي تجعل الشعر فنا لذاته. بل إنه عند ابن القاضي سلوك وفعل، ينبغي أن يكون له تأثيره في واقع الناس. يقول علي بن محمد بشأن ذلك: "إنه في نظره رسالة يؤديها الشاعر بالإخلاص التام لانتماءاته الوطنية والحضارية والفكرية، والتبشير الدائم بمبادئها"<sup>(3)</sup>.

- ورسالة الشعر هذه لدى صاحب الديوان، ليست مجرد مهمة ظرفية يؤديها بقصائد معينة، "بل إنها في الحق، معاناة يومية لضرب من التصور العام للحياة الفاضلة المثلى، يصوغها عنصرا عنصرا من كل مقومات الذات الجماعية، ومن خلال كل امتداداتها في الزمان والمكان."<sup>(4)</sup> وهذا ما يجعل الشاعر

(1) فرانسواز أرمينكو، للقاربة التلوية، ص56.

(2) عبد القادر بن محمد بن القاضي: بوابات النور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990. تُراجع هذه الإشارات في تقديم الديوان بقلم: علي بن محمد، ص11 وما يليها.

(3) للصدر نفسه، ص18.

(4) للصدر نفسه، ص21.

يحظى بكثير من الشروط التي توفر القوة الإنجازية لديه؛ حيث إنه يحيا المعاناة التي بصورها، فتكون صادرة عن واقعها الفعلي، مما يجعلها أبعد عن التقريرية.

- ومن أهم ما يدعو إلى دراسة شعره تداوليا، شيوع أسلوب الدعاء الوصفي، "فهو يدعو مولاه عز وجل أن يفرج غمة الشعب، وأن يجلو محتته. وفي أثناء ذلك يسوق عينات مؤثرة من هاتيك المحن، فهو وصف يمنح الدعاء أبعاد الاستعطاف والاسترحام بما يتضمن من مشاهد الشقاء والأسى"<sup>(1)</sup>، يقول:

|                         |                                |
|-------------------------|--------------------------------|
| رب إني وجهت نحوك وجهي   | فتقبل مني تضرعي ومنيايا        |
| ارحم الشعب والجزائر ممن | ظل يسقيهما كؤوس المنايا        |
| فلقد أهدرت دماء، وفاضت  | عبرات، على الربي والثنايا      |
| ولقد أحرقت ديار وأكوام  | وهامت مع البنين الصبايا (ص105) |

فهو في دعائه يعرض وصف الأحوال التي تجلب العطف والشفقة والإحابة، وفي هذا وظيفة إحالية للمخاطب، وهي أدعى إلى التأثر والإقناع، لا سيما في غير الدعاء.

-ومن المظاهر التداولية الداعية إلى دراسته أيضا، استحضر صور الماضي على أنها حاضرة ماثلة أمام الشاعر ومتلقي شعره، حتى أن "مشاهد البؤس ليست حدثا ماضيا انتهى بنهاية الحرب، وإنما هي واقع ماثل أمام الأنظار، جاثم بكل ثقله على الصدور"<sup>(2)</sup>، وفي بنيات هذه المشاهد وتراكيبها دواع عديدة لأن تتناول تداوليا، لا سيما في دراسة أفعالها، نحو قوله:

|                              |                                     |
|------------------------------|-------------------------------------|
| اسأل فديتك عنهم كل ناحية     | هل عندك اليوم يا أنحاء أحيار؟       |
| ... وهذه قرية قد دمرت فبدت   | لا عيش فيها، ولا سكنى، ولا جار      |
| وهؤلاء الأيامى، القائمات بها | بقرهن يتامى ما لهم دار              |
| ماذا أسمي؟.. فكل الأرض معركة | ومن أسمي؟.. فجل الناس أختيار (ص109) |

- كثيرا ما يمزج الشاعر بين مستويات الخطاب، وأصناف المخاطبين؛ فنجد مخاطبه يتعدد بالتوالي، من خطاب القريب إلى البعيد، ومن الخاص إلى العام؛ نحو ما ورد في أول قصيدة نظمها في 1945، يقول

|       |                              |                                |
|-------|------------------------------|--------------------------------|
| فيها: | يا بني الإسلام يا أهل العِلا | شيدوا مجدا طريفا فاضلا         |
|       | يا بني العرب ويا أهل النهى   | حاربوا الجهل المهين القاتلا    |
|       | إنكم في غفلة فاستيقظوا       | وانفضوا عنكم غبارا شاملا (ص47) |

(1) المصدر السابق نفسه، ص30.

(2) المصدر نفسه، ص31.

- مما يتميز به شعره أيضا أنه يحمل كثيرا من القيم الاجتماعية، مما يجعله مرتبطا بواقع الحياة، متميا إلى مجالات الناس الاجتماعية، وهو انتماء الشاعر نفسه الذي يظهر في العديد من قصائده، مما يجعله أحوح إلى الدراسة التداولية.

- إن من يتفحص قصائد الديوان جميعا، وإن لم يكن على معرفة سابقة بشخص الشاعر، ليستطيع أن يستشف كثيرا من ملامح شخصه التي أبداهها في قصائده؛ "هو وجه سمح، بريء من كل تعصب أو عنصرية، منشرح الأسارير، يحمل علامات انتمائه الحضاري والثقافي وحتى الجنسي، لا انكماش ولا انطواء، وهو وجه لا يساوي مقدار تشبثه بماضيه، إلا حدة وعيه بمعطيات واقعه الأليم، وقوة إقباله على شق الطريق إلى مستقبله المشرق."<sup>(1)</sup>

وقد لا يُعدّم أي نص شعري من آثار قائله، بعده منتجا له، ومهما اجتهد في اجتناب ذلك، فإن القارئ الحصيف يستطيع العثور على عدد من الخصائص التي تُبقي نصّه منسوبا إليه دون غيره، على نحو ما مر بيانه في اللغة الشعرية.

وإذا كانت قصائد (بوابات النور) غنية بما ينسبها إلى قائلها، وتحمل عددا من سماته الشخصية على مستوى بناها وتراكيبها، فإن ذلك من أول دواعي دراستها تداوليا؛ وهذا يقابل مفهوم الكلام عند سوسير، وهو الجانب الذي تلتفت إلى دراسته اللسانيات التداولية، بعدما أبعدته لسانيات سوسير من مجالات اهتمام اللسانيات العامة.

- مما يميز قصائد (بوابات النور) أن لها بعدين؛ بعدا صوفيا شفافا، يقترب من فيوضات شعراء الصوفية، ويتجرد من كل ما يربطه بالحياة المادية، ليحلق في الأجواء الشفافة المتجلية، نحو قوله:

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| فاستنار الوجود من حولي اليو | مَ وراقت لمنظري الآفاق   |
| ودعاني إلى النشيد هلال      | أتلج الصلدر نوره المشتاق |
| وأتاني من النجوم جناح       | وطار بي نحو عرشها، خفاق  |
| وإذا بالنسيم يحمل في طيّ    | ياته ما تلذه العشاق      |
| والأمان يطفن بي شاديات      | حولن الزهور والأرزاق     |
| بامسات مبشرات بمولود        | كريم، أجلّه الخلاق (ص51) |

(1) للصدر السابق نفسه، ص37.

أما البعد الثاني، فهو على خلاف ذلك، بعدد للفعل السلوكي وأداء "المواقف العملية التي يسجل فيها الشاعر طبيعة انفعاله بأحداث دهره من موقع إيمانه." (1)، نحو ما يورده في بعض مقاطع القصيدة السابقة:

|                              |                                    |
|------------------------------|------------------------------------|
| رب، ناحت حمائم السلم لنا     | روعتها ذرية لا تطباق               |
| رب، ما هذه الحوادث في الجو   | و، صواريخ حولها أطباق              |
| فابعث الحب في القلوب، فقد هد | دده الحقد، والقلبي، والفراق        |
| وانشر العدل والسلام لتحيا    | رغبات الوري، ويفنى النفاق (ص54-55) |

وبهذا يكون قسم كبير من قصائد الديوان أكثر ارتباطا بالواقع المعيش للشاعر، وهو بحاجة إلى دراسة خصائص بناء وتراكيبه، وتحديد مختلف الوظائف التداولية التي تكتنفه.

وإذا ما عرضنا مدونة القصائد جميعا بيواباتها الثلاث: الإسلام، العروبة، والوطنية، إلى جانب قضايا أخرى، نحو: التربية والتعليم، الطبيعة، الصداقة، الوفاء، الذكريات، حكم وتأملات، يمكن تسجيل ثلاث سمات كبرى (2):

- \* الأولى: أن شعره يتسم بروح الإسلام الذي يشمل وطنية الشاعر وانتماءه الحضاري والثقافي، وهي السمة التي تبدو أكثر بروزا، في كل قصائد الديوان.
- \* الثانية: تنسم قصائد أخرى من الديوان وليست كلها، بانطلاقات روحية للشاعر، يسمو فيها على المادة إلى الروح والنور، وفيوض التجلي والضياء..
- \* الثالثة: تشمل كل ما يرتبط بسلوكه في الحياة، وتقويمه للعلاقات الإنسانية والحياة الاجتماعية. وهي البوابات الثلاث التي تُفضي بمن يقف عليها إلى ولوج مضامين الديوان كاملة.

(1) للصدر السابق نفسه، ص40.

(2) المصدر نفسه، ص42.

وخلاصة هذا المدخل أن موضوع الدراسة هو أساليب استعمال اللغة الشعرية في ديوان "بوابات النور" لعبد القادر بن القاضي، بعدها نصا متداولاً، يتسم بخصائص التداول اللغوي عموماً، وتداول الخطاب الشعري بشكل خاص. وذلك من خلال عدة مداخل تداولية، أهمها: دراسة أفعال الكلام في الديوان من حيث إنها إنجازية أو تقريرية، ضمنية أو صريحة، التزامية أو تعبيرية، وغيرها مما يقترحه الدرس الحديث. ومن حيث تماثلها أو اختلافها، ودرجة القوة الإنجازية وتعددتها في جمل الديوان. واعتداداً في كل ذلك، بالمفهوم التخاطبي للشعر، لأن الكلام الصادر عن أي متكلم، تكتفه جملة قواعد تضمن له التحقيق، وتزود أفعاله بقوة الإنجاز، لحصول التأثير في سلوك المخاطب ومعتقداته.

كما تتناول دراسة كل ما يرتبط بالشاعر بعده متكلماً (منتج الخطاب) من أحوال خطافية مختلفة، ومن تعدد وجهات خطابه، وغيرها. وكل ما يرتبط بالمتلقي (القارئ)، وتعددته في الديوان. إلى جانب دراسة تنوعات الخطاب ذاته بتنوع المراتب الاجتماعية وتعدد المخاطبين، وما يمكن أن يحمله النص من أغراض تواصلية أو تغيرات على مستوى بناء للأغراض نفسها.

هذا، ويجتهد البحث في بيان مختلف الوظائف التداولية المهيمنة على تراكيب الديوان، وتحليل مظاهر الحجاج وأشكاله الاستدلالية في نفس الشاعر، من خلال ما تُبديه البنى التركيبية المختلفة. متجنباً في ذلك الدراسة الإفرادية- ما أمكن- إلى الدراسة التداولية بمجالاتها الأوسع، إلا ما يقتضيه التحليل أحيانا من وقفات ضرورية على العناصر الإفرادية لتركيب ما، لبيان دلالاته التداولية، وهذا ما جنحت إليه الدراسات الحديثة؛ حيث تدعو إلى "الاهتمام بالسمات البراغماتية الخاصة بالنصوص، وليس بالجمل فقط."<sup>(1)</sup>

لكنها في هذا الديوان دراسة تداولية لسانية، وتحديدًا إبداعية؛ حيث تبحث في مدى مواءمة النص الشعري للمقولات التداولية المذكورة سابقاً، بعده نصاً تواصلياً. لأن الشعر، في الحقيقة، يقوم على افتراض التواصل والاستعمال، حتى وإن لم يتحقق له ذلك واقعا، والشاعر نفسه حين نظمه، يتصور مخاطبا، يوجه إليه ما ينظمه، ووفق ما تقتضيه شروط الحديث إليه.

فضلا عن أن الشعر نفسه يحمل رؤى المتكلم ومواقفه، ويطمح إلى التأثير في سلوك المتلقيين وآرائهم، كما أنه يستعمل الحوار أحيانا، إن لم يكتفِ الحوار كل قصيدة، لأن الشعر إنشاد.

<sup>(1)</sup> فلان ديك: علم النص، ص 118.

هذا ما يجعله مجالاً حيويًا للبحوث التداولية. وقدما عرفوا الشعر بأنه ممتع ومفيد، نحو قول هوراس: "يهدف الشعر إما إلى الفائدة، أو المتعة، أو إلى جمع المتعة والفائدة معاً"<sup>(1)</sup>، وفي هذا قيمة تداولية هامة تتمثل في مبدأ المنفعة الذي يقوم عليه الشعر، سواء أفي إحداث المتعة أم في إفادة المخاطب، وهو موضوع التداولية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

<sup>(1)</sup> Horace, on the Art of poetry, p90.

تلا عن: عمرو الربيعي: في نقد الشعر، دار غريب الطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 1998، ص 41.



جامعة الأمير  
عبد القادر للعالم الإسلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

I- خصائص التركيب النحوي في "بوابات النور"

يهدف هذا المبحث إلى معرفة أهم خصائص التراكيب النحوية في الديوان، ليس من جهة بنيتها النحوية الخالصة، بل من حيث مدى ارتباطها بمبدأ التداول عموماً؛ أي أنه يبحث في الخصائص التي تجعل من تراكيب الديوان تراكيب موجهة لغرض ما أو مقصد معين، ولذلك فهو يتعد عن الوصف الظاهري للتراكيب النحوية وحصر مكوّناتها فيما يصطلح عليه المتوكل<sup>(1)</sup> بـ (البنية المكوّنة للجملة) وتشمل المستويين الصرفي والتركيب.

ويهتم في المقابل بدراسة الجانب التداولي للتراكيب والذي يشكّل إلى جانب المستوى الدلالي (البنية التحتية للجملة) في اصطلاح (المتوكل).

ومن أهم هذه المظاهر: بروز العناية بالمستوى التداولي في عددٍ من تراكيب الديوان، وبناء التراكيب بحسب العمليات الذهنية الحاصلة في ذهن الشاعر، إلى جانب اشتغال التراكيب النحوية على وحدات لغوية تحدد وجهة الجملة ودلالاتها، وهو ما يعرف لدى التداوليين بالقوة الإنجازية للجملة. ويعرض هذا المبحث أهم شواهد هذه الظواهر في الديوان.

#### 1- العناية بالمستوى التداولي في التراكيب:

إنّ الاعتناء بالمستوى التداولي ظاهرة تسم كل خطاباتنا في الغالب؛ حيث إن المتكلم يُنجز كلامه ويُصيغه بالنظر إلى أحوال مقامية محددة، واعتداداً بمخاطب حاضر فعلياً أو افتراضياً. ولا يختلف النص الشعري عن هذا المبدأ العام، وإن كان حضور المخاطب فيه افتراضياً غالباً. وفي قصائد الديوان يتعدد هنا الحضور، ويهتم الشاعر في كل مرة بأحوال مخاطبيه، فيظهر ذلك على مستوى بنية التراكيب، نحو:

أ- أن تتوالى التراكيب الإنشائية لإثارة المخاطب وقيامه بالمطلوب، نحو قوله:

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| يا بني الإسلام يا أهل العلاء | شيدوا مجنّداً طريفاً فاضلاً  |
| يا بني العرب ويا أهل النهى   | حاربوا الجهل المهين القاتلاً |
| إنكم في غفلة فاستيقظوا       | وانفضوا عنكم غباراً شاملاً   |

وتأخذ القصيدة هذا النمط التركيبي إلى نهايتها؛ حيث يعمد الشاعر إلى تعداد النداءات (يا بني الإسلام، يا بني العرب) وتكرارها، وتعداد الأساليب الإنشائية الأخرى (أمر، نهي، استفهام) وتكرارها، ليحدث إثارة مخاطبه ويضمن استحبابه. وبذلك فإن هذا التركيب يشمل إلى جانب

<sup>(1)</sup> يُنظر كتابه: - قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص 45 وما يليها.

- الوظيفة بين الكلية والنسطة، ص 163-164.

الدلالات الواضحة في الآيات، مستوى تداوليا تمثله هذه الأساليب بتواليها وتكرارها، مما يضمن استحابة السامع وميوله إلى الطلب المعروض عليه، وهو سامع افتراضي يصدق على كل مُسلم أو عربي يعيش تحت نير الاحتلال.

ب- الزيادة في التركيب بالوصف، وذلك لأغراض:

\* إحداهن الدهشة لدى السامع، نحو قوله:

ألم تر أنّ الكونَ أصبحَ حنّةً      يروحُ بها طيفُ الجمالِ ويفتدي  
فمن كلِّ غريدٍ ومن كلِّ ساجعٍ      ومن كلِّ صدّاحٍ ومن كلِّ مُنشدٍ  
ومن كلِّ رقرقٍ ومن كلِّ سلسلٍ      ومن كلِّ شلالٍ ومن كلِّ موردٍ  
ومن كلِّ فوّاحٍ أريجٍ عبيرُهُ      ومن كلِّ وضّاحٍ هيجٍ مُوردٍ  
...

ويبقى الشاعر يعرض صورة أرض النبي -صلى الله عليه وسلم- ويزيد في وصفها بتراكيب

متشابهة، ليحدث الدهشة في نفس مخاطبه، ولئمكنه في الأخير إرسال الطلب، في قوله:

كذلك يرى الدنيا الذي طاف عابداً      بكعبة رب العالمين الموحد  
أبا الرّوح، عبّر عن عواطفك التي      تحسّ بها بعد الطّواف الممجد  
... هنيئاً لك الحجّ الكريّم ومرحباً      بعودٍ سعيدٍ في سرورٍ مُخلّدٍ (ص50)

وتعدّ الزيادة في الوصف في التراكيب السابقة قهيمةً لحال المتلقي، واستدراجاً له لتلقي الطلب

الحاصل في نهاية القصيدة.

\* المبالغة في عرض حال النفس، نحو قوله:

عأودتني إلى المني أشواقُ      مُدّ سقاني كأسَ المني إشراقُ  
فأستنار الوجودُ من حولي اليوّ      مَ وراقتُ لمنظري الآفاقُ  
...وأتاني من النجومِ جناحُ      طارَ بي نحو عرشها خفاقُ  
فإذا بي إلى الرياضِ رياض النّ      تُور والحور والجمال أساقُ  
وإذا بي أرى الجداولَ كالكر      ثرٍ ينصبُّ ماؤها الرقرقُ  
وإذا باللحون يُرسلها البلبُّ      والعندليب والأوراقُ (ص51)

وتستمر القصيدة في هذا العرض، وتصوير فيوضات النفس وتجليها، قبل خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذكرى مولده الشريف. وكل ذلك لبيان ابتهاجها وانسراحها بخطابه -صلى الله عليه وسلم-، هَيْئَةً لها لإرسال الطلب، في قوله:

يا نبيَّ الإله، أهلاً وسهلاً! جئتَ فاستبشرتُ بك الآفاقُ  
سجد الطُّهْرُ والفضائل طوعاً لك فاستكملتُ بك الأخلاقُ  
... يا رسول الإله يا سيد الكوْنِ نئينِ ما للدموع منِّي تُراقُ؟  
جئتُ أشكو إليك ما بي وبالأممِ قِفْ بهِ يا بُراقُ

\* الشكوى والاستعطاف، نحو قوله:

فاذرف معي دمعةً يا شَعْبُ واحدةً لعلَّ في الدمع ما يُشفي من الوصَبِ  
لعلَّ فيه دواءَ الحَبِّ مستتراً وبلسمًا لجراحِ البغضِ والشَعْبِ  
لعلَّ فيه أمأنا ظلَّ يرصدهُ ذاك الفؤاد الذي قد بات في رَهَبِ  
لعلَّ فيه حناأنا للذين شَقُّوا والشَقُّو للروحِ مثلُ النارِ للحَطَبِ  
لعلَّ فيه الدموعُ السائلات على تلك الروابي تُرينا خضرة العشبِ (ص90)

يختلف هذا التركيب عن السابق في أن الزيادة في التركيب لم ترد لغرض هَيْئَةِ السَّامِعِ قبل إرسال الطلب، وإنما هي نفسها تحمل غرض الكلام وهو الشكوى والاستعطاف؛ فالشاعر في إحدى الذكريات الوطنية يشكو ما بحياة الشعب الجزائري، ويعرض ما يتوق إليه. ولم يكن يتأتى هذا الغرض بغير هذا التكرار والزيادة في وصف الحال.

ج- أن يُجمل الشاعر الدلالة في تركيب ثم يفصلها في تراكيب لاحقة، نحو قوله في وصف مدينة قسنطينة:

بُنيت على شفا وادي الرمالِ كأنك عُشٌّ بازٍ في الجبالِ  
وقمت على العواصم يا قسنطيني بجسرٍ فوق أشجارِ عَوَالِ (ص57)  
فقد بدأ قصيدته بإجمال صورة قسنطينة التي بُنيت على شفا وادي الرمال، وبعد أن يَحْصُلَ

قبول السَّامِعِ لهذه الصورة، يبدأ الشاعر في التفصيل، في قوله:

(ص57) تروح الناس والعرباتُ فيه وتغدو مثل أسراب النمالِ  
وبالدور التي في الليل تبدو نوافذها تلالاً كالآلي

كأن الكهرياء بكل حي      خواتم من يواقيت غوال  
وبالآثار من فنّ بديع      لأعصار وأزمان خوال  
وبالأشعار أنشدتها فحول      فجاءت كالعرائس في اختيال (ص 57)

إلى آخر القصيدة؛ حيث يعتمد الشاعر إلى عرض كل الصور وبيان كل المزايا التي يمكن أن  
تخدم العرض المجمل السابق وتفصله، وكأنها حجج منه مسوقة إلى المخاطب الذي قبل الخطاب المجمل  
ورضي به.

وفي كل ذلك إغراء للسامع؛ حيث عرض عليه صورة لقسنطينة، تبعث على الدهشة والانبهار،  
ثم يفصلها له في مشاهد جزئية. وهذا من أساليب الهيمنة على المتكلم أثناء التواصل وضمان تلقيه.  
ومن هذا الأسلوب أيضاً، قوله في (تحية جهاد الجزائر):

لكل يوم عن الأبطال أخبار      هذا شهيد وهذا زانه الغار  
وذا على جرجر كالتنمر مكتمن      وذاك في جبل الأوراس مغوار (ص 109)

فقد حصل الإجمال في: "لكل يوم عن الأبطال أخبار"، أما التفصيل فيأتي بعد ذلك في:

- هذا شهيد، وهذا زانه الغار.
- وذا على جرجر كالتنمر مكتمن.
- وذاك في جبل الأوراس مغوار.

ومن حيث مستواها التداولي، فإن الشاعر يعرض الفكرة بجملة في البداية، مما يحدث انتباهها  
لدى المتلقي واهتماما لسماع بيان المجمل، ثم يعتمد إلى تفصيلها جزءاً جزءاً ليضمن من السامع ما لم  
يكن يضمه لو حصل الحديث بكيفية أخرى؛ فإعجابه بجهاد الجزائريين في هذا التركيب، ما كان  
يتحقق بهذا القدر، لو عرض بتفصيل ثم أُجْمِلَ.

د- أن يعتمد الشاعر إلى تقدم (مقولة النداء) وتأخير المنادى وأداته، لتعجيل الطلب، نحو قوله في آخر  
قصيدة (من وحي القنيطرة) داعياً:

قَدْ قَلتْ أَدْعُوني أَجِبْ دَعْوَاتِكُمْ      يارب! فاكتبنا من الأنصار (ص 79)

فقد أحر أداة النداء مع المنادى (يا رب)، مقدّماً موضوع النداء (قد قلت أدعوني أجِبْ  
دعواتكم)، وفي هذا بيان لتعجيل الطلب، وعرض لحال النفس المتعجلة في تحصيله، وكان الشاعر يريد  
أن يذكر طلبه قبل انتباه مناداه إليه.

ومن أمثلة تعجيل الطلب بتأخير (دال النداء) أيضاً، قوله:

أقصفي مثل الرعود القاصفات      واعصفي مثل الرياح العاصفات  
عزْمُنَا مثل الجبال الراسيات      لا نبالي بالردي يا طائرات

ارفعي الرأس وسري يا جزائر (ص115)

وفي هذا التقدّم، إضافة إلى تعجيل الطلب، بيان لاستخفاف الشاعر بما تفعله الطائرات وآته لا يبالي بهول الاستعمار، فليفعل ما يشاء، وقد يبلغ هذا المعنى (التعجيل، واللامبالاة) إلى المتلقي، من خلال تقدّم مقول النداء، وتأخير دأله. كما يحدث في بعض كلامنا اليومي حين يُريد أحدهم أن يبين لآخر أنه لا يبالي بما يفعله، فيلجأ إلى ذكر ما يمكن أن يفعله له، قبل أن يذكره باسمه.

هـ- أن يقترن تركيب بأخر توازيًا أو معارضةً، وذلك لإغراء السامع وإثارته، نحو قوله في وصف (العلم الجزائري) وبيان ما يوحى به إلى الشعب:

... فأراننا عادةً قَدسيّةً      فاقت الغيد جلالاً واحتشاماً

زأمتها الله مجسّن فأتن      سجد الخلقُ لمراه احتراماً

قد سبها العليج ظلماً فاغسلوا      بالدم العار، إن العار دأماً (ص94)

فقد جعل الجزائر عادةً، وأفاض في وصفها تنبيهاً وطلباً لالتفاف المخاطب، ثم سرعان ما يردف ذلك بتركيب يعرض ما حلّ بها ليخلص إلى الطلب: (قد سبها العليج فاغسلوا). وبلجوء الشاعر إلى هذه الصورة يكون قد استخدم وسيلة للإغراء متداولة في المنظومة الاجتماعية، وهي الغيرة على الشرف والعرض، وفي ذلك ضمان لأن يتلقى السامع الخطاب ويحييه إلى طلبه. ويظهر لنا حرص الشاعر على إغراء مخاطبه وإثارته في هذه الأبيات، حين تعلم أنها منظومة في 1952؛ أي قبل اندلاع ثورة التحرير. ثم يضيف:

أيها الشعب الذي علّقها      ورَجَا منها لقاءً وابتساماً

كسّر القيد وحرّر جيلها      واخْمَهَا إن كنت منها مستهاماً

لا تسوِّجْ لِعَدِّ تحريرها      إن في التأجيل أخطاراً عظاماً (ص94)

ففي ندائه للشعب، أضاف (الذي علّقها)، وفي هذا تذكير للمنادي ببعض ما يتّصف به، ليخاطبه بناءً على هذه الصفات؛ فما دُمّت أيها الشعب تهيّمُ بحبّها، وترجو منها لقاءً وابتساماً، فإن واحبك أن تحررها وتعجّل بذلك... وليس أسرع من هذا الأسلوب، في إغراء المخاطب واستماتته، وضمن سرعة إجابته؛ حيث يفصل التكلم صورة ما، ثم يردفها بتركيب آخر مقترن بها، وهو المقصود في الخطاب.

وقد يكون الإغراء والاستشارة بأسلوب تربوي، نحو قوله مخاطباً النشء الجزائري:

يا أيها النشء الطموح إلى العُلا      أقدم على نيل العلوم غصنفا  
... الشعب منتظرٌ لسعيك فانتَهزُ      فُرصَ الشبيبة قبل أن تتقهقرا  
والضادُ محتاجٌ لجدك فاجتهدُ      لتعيده أبهى اللغات وأبهرها  
والدين مشتاقٌ إلى الزمن الذي      قد كان فيه على الرذائل مشهرا

(ص171)

فبعد أن وجه نداءه وعرض المطلوب من المخاطب، عمد إلى ذكر تراكيب أخرى تبدو مُستقلةً عن الأوّل نحويًا، لكنّها مكتملة له تداولياً، لما تُحدثه في نفس النشء من إغراء وإثارة.

وقد يُعري الشاعر مخاطبه بعرض (ما لا ينبغي أن يكون)، ويظهر ذلك في التركيب الخبري

الذي يلي الإنشائي، في قوله:

قومي إلى المجد يا إفريقيًا سحرًا      سيرى فقد سبقتك اليوم أقطار  
وجاهدي في سبيل الحق مؤمنة      لترتقي، فلقد فاتتك أعصار  
وحققي أمل الأبناء في عسجل      إن التخلف يا إفريقيًا عارُ  
طيري إلى العزّ والتشيد مؤمنة      كم طار نحوهما بدوّ وحضار

(ص110)

و- تقدم الضمير عن الاسم الظاهر العائد عليه، لإحداث انشغال السامع وانتباهه، وكثيرا ما يكون

في الشعر، نحو قوله:

هيجتِ وجددي بأشعار لها نَعْمُ      من وقعه باتت النيران تضطرم  
... أرى الكرى صدّ عني الليل مرتحلاً      فراودتني على أفاقها الحلمُ  
... رفرفتُ فوق رباها وهي نائمة      وفي الفؤاد لظى الأشواق يحترمُ  
إلى أن يقول:

يا صاح قف لحظةً مثلي بباتنة      واذكر معي مَنْ حَمَاهم ذلك الأطمُ (ص269)



## 2- بناء التراكيب بحسب العمليات الذهنية للمتكلم:

تعدّ دراسة التراكيب النحوية وتحليلها وفق ما يطابق العمليات الحاصلة في ذهن المتكلم من الغايات التي يهدف إليها النحو الوظيفي والدراسات التداولية عمومًا. إذ "أنّ هذه التحليلات -على تفاوت كفايتها- كفيلة برصد الخصائص البنيوية (الصورية) على أساس أنّها تجلّيات لخصائص وظيفية مرتبطة بالغرض التواصلية المروم إنجازه." (1).

ولقد أمكن تفحص قصائد ديوان ابن القاضي من الوقوف على عدد من التراكيب النحوية التي تعكس العمليات الذهنية والتحويلات الحاصلة في ذهن الشاعر، بعدّه متكلّمًا، منها:

أ- أن يعرض تراكيبه بترتيب يوافق ترتيب أحاسيسه، نحو قوله في (يا أيها العلم):

يا أيها العلم العزيز على الحمى      رَفِرْ على أرض الجزائر مكرما  
قد أقسم الثوار من أبنائها      أن يرفعوك مبحلا ومعظما  
فانشر على الدنيا هلالك ساطعا      وبنجمك اللّماع باه الأنجما  
إنّ الربيع حياك خضرة فصله      وحبّك حمرها من الأسد الدّما  
وأعارك السلم الجليل بياضه      فإذا بوجهك قد بدا متبسّما  
أبشر فإنّ التّصرّ أشرق نوره      متألّقا كالشمس في كبد السّما

(ص 107)

الملاحظ على تراكيب هذه الأبيات أنّها وردت مرتبة بشكل متناوب بين الإنشاء والخبر؛ حيث عرض صورة العلم مشرقة على الحمى، وهي صورة إجمالية، ثمّ إيضاها بتراكيب أخرى نحو: رفر، فانشر... وهي أيضا تراكيب مرتبة بحسب ورود أفكارها في نفس الشاعر؛ فقد أحسن في البداية بمدى وقع صورة العلم، وهو بارز على حمى البلاد عزيزًا، وسرعان ما تعدد إحساسه إلى جملة أحاسيس أخرى، فأمره بأن يرفرف مكرّمًا ما دام الثوار قد أقسموا على تجليله وتعظيمه، وبأن ينشر هلاله على الدنيا، وبأن يباهي بنجمته أنجم السّماء..

وفي هذا انتقال من المتكلم من إحساس عام إلى أحاسيس جزئية. ويظهر على مستوى الجملة في الانتقال من أسلوب النداء إلى أسلوب الأمر.

ويواصل عرض ما أوحى به العلم، فيخبر مادحا معجبًا أنّ خضرته من فصول الربيع، وحمرة من دماء الأسد، وبياضه من السلم الجليل..

(1) أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، ص 185.

ب- أن يرتب تراكيبه بحسب ورود معانيها في الواقع، نحو قوله في وصف مدينة قسنطينة:

بُنيتِ على شفا وادي الرّمالِ      كأنّك عُشّ بازٍ في الجبالِ  
وَهت على العواصم يا قسنطي      بجسر فوق أشفار عوّالِ  
تروح الناس والعربساتُ فيه      وتغدو مثل أسراب التّمالِ (ص57)

لقد بدأ تراكيبه بوصف عام لمنظر قسنطينة وهي مبنية على شفا وادي الرمال تيساهة على العواصم، كأنها عش باز في جبال منيعة. والواقع أن هذه الصورة هي أوّل ما يُعيّنه المتكلم إن كان حاضراً أمام موضوع الخطاب، وبعد ذلك يبدأ نظره في تفصيل أجزاء المشهد: الجسر والحركة التي تميزه، اللّور بكهربائها... الخ.

فترتيب هذه التركيب مطابق لترتيب حصول معانيها في الواقع..

ج- أن يخالف تراكيبه بحسب اختلاف أحوال المعاني في ذهنه، نحو قوله:

فأين حمانا؟ ... قد طوته يدُ العدا      وصار خراباً بعدما كان ناضراً (ص86)  
في هذا البيت يعرض الشاعر حيرته في سؤال عام (أين حمانا؟)، وتمتد المعاني في ذهنه، وتتوالد الأسئلة باحثة عن الحمى الذي طواه الاحتلال، فتأتي التراكيب بعد ذلك مجزأة، في:  
فَسَلْ حَادِثَاتِ (سَطِيف) إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا      وَ(قَلْمِي) وَ(خِرَاطِي) إِذَا كُنْتَ نَاكِرًا (ص86)  
ثم يأتي الجواب من مجال الحيرة السابق، في:  
تُجَبِّكُ الرِّيحُ السَّافِيَاتُ بَوَاكِيَا      وَتَسْبِيكُ أَتْسَارُ الطُّلُولِ حَوَاسِرَا (ص86)  
وتعاود الأسئلة الحضور، وقد ضاع الحمى:  
وَسَلْ صَفْحَةَ التَّارِيخِ تَتَبِّكُ بِالْأُلَى      قَضَوْا تَحْبَهُمْ مَسْتَصْغِرِينَ الدَّوَائِرَا  
وَسَلْ مَا جَرَى بِالْاِحْتِلَالِ لِأَمْسِي      وَمِنْ أَوْدَعِ الشَّعْبِ التَّيْلِ الحَفَاتِرَا (ص86)  
لتعقبها الإجابة:

فرنسا، فرنسا! لا رعى الله عهدها      أظلت هلالاً خالداً الذكر زاهرا (ص86)  
وفي هذه الإجابة حذف، وكان في ذهنه: هي فرنسا، فعل ذلك فرنسا، أودع الشعب الحفائر فرنسا... هي كلها أفعال فرنسا.. لذلك حذف مُسند الجملة وترك (فرنسا - المسند إليه)، لأن السياق العام يدلّ عليه، ولأن في ذهنه كثير من استبدالات المسند المحذوف (هي، فعل، أودع...)، وفي كل ذلك يدعو عليها. وماذا بعد كل ما فعلته إلا أن يدعو عليها ساخطاً حانقاً.

ويستفتح بعد ذلك ملتفتاً إلى الهلال - الوطن، قائلاً:

ألا يا هلالَ العُربِ لا تُخشِ غيْمها      فما غلب السَّيْمُ الرِّياحَ الثَّوائرا  
وما غيْمها إلا سحابة صَيِّفنا      سيُصْبِحُ ذرَّاتٍ ويسقط عابرا  
ويظْهَرُ بعدَ الحزنِ وجْهكُ باسمًا      لشعبِ قضي شطراً من العيشِ عاكرا (ص 86)

وخلصة هذه الأبيات أن الشاعر جعل تراكيبها في شكل مختلف من سؤال عام إلى أسئلة فرعية إلى أجوبة، مما يطابق اختلاف المعاني وتداخلها في ذهنه.

د- أن يرتب تراكيبه بحسب حصول معانيها في الواقع، اعتداداً بمكانة المخاطب، نحو قوله:

رُفِرَ علي حُرَيْبِي واعزِفَ لها      لحن الوفاء وصِفَ لها الأحوالاً  
بَلَّغَ لها شوقاً يكاد يُدْبِيني      واحمل إليها قبلة وسلاماً  
سَلِّمَ عليها يا رقيقُ وقُلْ لها      أضحي أليفك في هواك خيالاً  
وأعد لي الأخبار كيف وجدتها؟      هل حققت يا طير لي الآمالاً؟ (ص 97)

فقد تمثل الشاعر صورة العاشق الولهان بالحرية الذي لا يستطيع أن يرتب حديثه، ولا خطابه في رسالته؛ ويبدو ذلك في توالي الأفعال (بَلَّغَ-احمل-سَلِّمَ) التي لا تخضع إلى ترتيب دلالي، بقدر ما تعرض حالة اللاستقرار للعاشق الولهان..

ه- أن يحذف الشاعر في تراكيبه ما لم يتضح معناه في ذهنه، نحو قوله:

ماذا أَسْمِي؟... فكلَّ الأرض معركةً      ومن أَسْمِي؟... فجلَّ الناس أحياناً  
ومن أهني من الأبطال؟... كلَّهم      أبناء إفريقيا أسدٌ وأثمارٌ (ص 109)

فالحذف القائم في التراكيب الثلاثة (ماذا أَسْمِي، من أَسْمِي، من أهني) يعكس ما في ذهن المتكلم من عدم اتضاح المفعول في كل حال لكثرتة في ذهنه، ولذلك حذفه دلالةً على الكثرة، وهي المقصود من الخطاب، لا التعيين.

و- أن يحذف الشاعر تركيباً ويورد ما يتعلق به، لحصول معنى الأول في الذهن، نحو قوله:

إن الجزائر للإسلام معتمد      وللغربة حصنٌ ليس ينهارُ  
إن الجزائر للأعداء مقبرةٌ      في كلِّ عصرٍ من التاريخ أثارُ (ص 110)

حيث أورد البيت الأول ردّاً على من قال إن الجزائر بالاحتلال ضاع إسلامها وضاعت عروبتها، وهو التركيب الذي يحمله الشاعر في ذهنه، ولم يورد إلا ما يرتبط به، وكذلك في البيت الثاني ردّاً على المستخفين بالجزائريين في دفاعهم والمستهزئين بأمرهم.

### 3- القوى الإنجازية في التراكيب النحوية:

يُعدّ مفهوم "القوة الإنجازية" أحد اهتمامات الدراسات التداولية للحمل، ويشمل كل ما يواكب جملة ما أو نصًا كاملاً من مقاصد أثناء التواصل، نحو الإخبار، الاستفهام، الأمر، أو غير ذلك<sup>(1)</sup>، ويمتد ليشمل أيضاً كل موجّهات الخطاب من أدوات استفهام وعرض وغيرها، إلى العبارات التي تراكب الحديث، نحو: في الواقع، أظن أن، في الحقيقة... وهي الأدوات الإنجازية التي تتضح بها درجة القوة الإنجازية أو ضعفها.

ولم يسجل البحث شواهد هذه العبارات الأخيرة في الديوان، لأنها أكثر ما تكون في الكلام العادي؛ حيث تتضح مدى إنجازيتها، وقلّما تتوافر في النصوص الفنية.

أ- أنواع القوى الإنجازية: من أنواعها في تراكيب الديوان، ما يلي:

أ-1- الدعاء: يستخدمه الشاعر مصاحباً للتراكيب أحياناً لتقوية إنجازية العبارة وأدائها، ويكون دعاءً على المخاطب أو دعاءً له.

- النمط الأول: الدعاء للمخاطب، نحو قوله:

(يا رسول الإله...) ت1- جئتُ أشكرُ إليك ما بي وبالأمممة رحماك قف به يا بُراقُ (ص53)

ت2- اسأل فديتك عنهم كل ناحية هل عندك اليوم يا أنحاء أخبارُ (ص109)

ت3- حدّث فديتك بالشللعل كل جيل ما جرى

واقصص عليهم قصة الأبطال، قصة جرجرا (ص150)

ت4- إذن فلنقل قبل الفراق إلى اللقا عسى ربنا أن يقبل الدعوات (ص191)

يتخلل هذه التراكيب دعاءً للمخاطب في كل مرة، وذلك أسلوب مألوف في الخطاب لا سيما في الشعر؛ حيث يعتمد المتكلم إلى أن يضمن كلامه ويعترضه بشيء من الدعاء للمخاطب، طلباً لالتفاته واهتمامه؛ فهو في (ت1) يتقلّل للسّامع درجة اهتمام المتكلم بالرسالة؛ حيث ينصرف من الخير (أشكر) إلى الإنشاء، والدعاء للبراق بأن يتوقف بالرسول -صلى الله عليه وسلم-، ليكمل شكاته إليه، وبذلك يكسب الخير الأول بروزاً أكثر من وروده مجرداً من هذا الإنشاء، وتظهر قوته الإنجازية في بلوغه للسّامع بهذا القدر من الحرص والاهتمام، وأدائه بهذا الالتفات اللطيف.

<sup>(1)</sup> ينظر: أحمد للوكل: الوظيفة بين الكلية والنسبية، ص17.

والقيمة تُفسُّها هذه القوة، تظهر في (ت2) و(ت3)؛ حيث ينصرف الشاعر من إضافة لازم التركيب وهو المفعول به ومتعلقاته (كلّ ناحية، ما جرى بالشلعلع) إلى الدعاء للمخاطب - طلبا للالتفات والاهتمام، وأداءً للخطاب بكيفية مغايرة، تعجّل في إنجازه- في قوله: (فديتك).

أما في (ت4) فتخلص العبارة كلها للدعاء في (عسى ربنا أن يقبل الدعوات)، مما يدعم إنجازيتها وإنجازية التركيب السابق المرتبط بها (إذن فلنقل...).

- النمط الثاني: الدعاء على المخاطب، نحو قوله:

(أيا شعراً...) ت1- بلادك أضحت للبلايا فريسة وشعبك صار اليوم ويحك حائرا (ص85)

ت2- قطار سبائك الله إنك ظالم ذهب بصحبي رغم دمعي وأنتي (ص213)

يظهر الدعاء على المخاطب في (ويحك) و(سبائك الله)، ويؤدي القوة الإنجازية نفسها. وللإشارة فإن الدعاء على المخاطب في مثل هذه الأساليب لا يعني أن المتكلم يتمنى السوء لمخاطبه، ولكنّه أسلوب شائع في العربية أن يدعو المتكلم لمخاطبه أو يدعو عليه أداءً للقوة الإنجازية، نحو قولهم: نكلتك أمك، وغيره.

أ-2- النداء: يعد النداء من الأدوات الإنجازية التي تسهم في تحقيق مقصد العبارة، ظاهراً كان أو مقدراً، نحو قوله:

ت1- فسلام عليك ربة شعري ليس يعني ما دام ذكر العهود (ص237)

ت2- ذاك الذي حزن الندى لروحه وله غدو للندى ورواح

شرف أصيل يا رفاق وعفة ومبروءة وقناعة وسماخ (ص239)

ت3- يا ليل إنك مؤنسي وسميري ومحفف يا ليل وجذ ضميري (ص245)

ت4- يا بنت يا أمل البلاد تعلمي وتبسمي بلوامع الأنوار (ص167)

وقع النداء في كل من هذه التراكيب اعتراضاً بين عناصر متلازمة؛ حيث اعتراض الخير في (ت1) والمعطوف عليه في (ت2) والمفعول به في (ت3)، ومفعول النداء في (ت4) ويكون هذا الاعتراض في الزمن الذي ينتظر فيه المخاطب اكتمال التراكيب الذي تلقى جزءاً من وحدتها، وبذلك فهو في انتباه كامل، ويمثل النداء تأكيداً للرسالة، وطلباً لانتباه إضافي، والتفات زائد إلى الخطاب، حرصاً من المتكلم على إنجازه وأدائه، وهناك تكمن قوته الإنجازية.

ففي (ت1) قد حصل التفتت المخاطب في (سلام عليك)، وإضافة (ربة شعري) نداءً، تعدد

تأكيداً لطلب التفتت واهتمام زائد. وكذلك في (ت2)؛ فالشاعر في مقام تعداد صفات المرثي

ومناقبه، لكنّه يعترضها بـ(يا رفاق) تحقيقاً لبلوغ الخطاب ووصوله، ومثل ذلك في (ت3)، حين كرّر (النداء) في الشطر الثاني للغرض نفسه، وفي (ت4) حيث كرّر النداء بالصفة.

أ-3- **التعت:** يلجأ المتكلم إلى استخدام النعت مفرداً أو جملة لإيضاح المذكور وبيانه، وهنا تبدو عنايته بالخطاب، وحرصه على بلوغه إلى المخاطب بيّنا واضحا وتحقق إنجازيته بهذا الغرض. ومن شواهد في الديوان، قوله:

ت1- يا أيها النشءُ الطموح إلى العُلا      أقدم على نيل العلوم غَضُنْفراً! (ص171)

ت2- بلِّغْ لها شوقاً يكاد يذيني      واحمل إليها قبلةً وسؤالاً (ص97)

ت3- فيا ليتني أحظي بليقاكم التي      تُخَفِّفُ عني الوجدَ باليستيمات (ص190)

وتتضح القوة الإنجازية للتعت، في اهتمام المخاطب به (الطموح، يكاد يذيني، التي تخفف...). أكثر من اهتمامه بالمنعوت، لأنه أكثر وضوحاً وبيانا، ولأن فيه ما يجعله يفتتح بالخطاب، ويسهل بلوغه إلى نفسه.

أ-4- **الحال:** للحال قيمة تداولية بالغة، قد لا تتوفر للأدوات الإنجازية الأخرى، حيث إن مفهومها في ذاته مرتبط بأداء الفعل؛ إذ أنّها تصف هيئة صاحبها زمن وقوع الفعل؛ أي حال أدائه، وبذلك فهي بهذا المفهوم أكثر ارتباطاً بأداء اللغة، وأكثر إحالة على واقع استعمالها. ومن شواهدا في الديوان، قوله:

كم كافحوا ورضا صُ العِلج منهمر      ومدفع الهون في الأنحاء هذارُ

والجو يبرق والأصداء مُرْعدة      والبر والبحرُ شبت فيهما النار (ص109)

فدلالة الكفاح واضحة، إضافة إلى معنى التكثير الحاصل من (كم) ولكنها أكثر وضوحاً،

وأقوى بيانا حين يَعْلَمُ المخاطب أن كفاح المجاهدين كان في الوقت الذي:

- ينهمر فيه رصاص العليج،

- يهلر المدفع في الأنحاء،

- يُبرق فيه الجوّ،

- تُرعد فيه الأجواء،

- شبت النار في البر والبحر..

وفي هذه الأحوال، تصبح (كافحوا) أكثر كثافة في دلالتها، وأقوى في بلوغها، وحصول معناها لدى المخاطب.

أ-5- التكرار: للتكرار أيضا قيمة تداولية، تتمثل في اهتمام المتكلم بالمخاطب؛ حين يعلم أن خيرا ما قد يثير في ذهن مخاطبه احتمالات عدة، فيكرّر الخير ذاته إزالة لهذه الاحتمالات، وتثبيتا لما يقصده في ذهنه. ومن شواهده الكثيرة في الديوان، قوله:

أنتِ صبري وأنتِ بلسمُ ضُرِّي      يا لِحُونًا على الطَّبيعة سُودي  
أنتِ جزء من الجمال الذي أر      سَلَّهُ اللهُ رَحْمَةً لِلسُّجُودِ  
فَهَبِي لي رُحْمًا كِ جزءًا هَبِي لي      يا لِحُونًا من صوتك المفقود  
(ص236)

أ-6- أن يسبق الأمرَ بالفعل توكيدًا له، نحو قوله:

إِنَّ سِحْرَ اللُّحُونِ سِحْرٌ حَلَالٌ      فَاسْحَرِينَا بِلِحْنِكَ المَحْمُودِ  
(ص237)  
قد يلجأ المتكلم إلى تبرير طلبه بتقرير سابق، نحو المعنى الحاصل في الشطر الأول، والذي يأخذه السامع على أنه حجة للطلب الحاصل في الشطر الثاني، وبذلك يكتسب قوة إنجازيته وأدائه، وسهولة بلوغه إلى المخاطب.

ب- تعدد القوى الإنجازية: قد تتعدّد القوى الإنجازية بأنواعها في التركيب الواحد، مما يضاعف في شروط تحقيق الخطاب ونجاحه، أو إضعافه وإفشاله، إن كانت الأدوات لإضعاف الإنجاز. ومن شواهد ذلك في الديوان:

ب-1- تعدّد الدعاء للمخاطب في التركيب الواحد، نحو قوله:

بِلاَدِ العَزِّ كُنْتِ وَلِنِ تَزَالِي      بِلاَدًا لِلْمَفَاخِرِ وَالْمَعَالِي  
رَعَاكَ اللهُ مِنْ كُلِّ العَوَادِي      وَدَامَ بِنُوكِ أَعْلَامَ الرِّجَالِ  
(ص57)

ب-2- تعدّد الدّعاء على المخاطب في التركيب الواحد، نحو قوله:

قَطَارِ سِبَاكَ اللهُ إِيَّاكَ ظَالِمِ      ذَهَبْتَ بِصَحِي رِغْمِ دَمْعِي وَأَتَيْتِ  
فَوَيْلِكَ قَدْ أَحْرَقْتَ قَلْبِي بِشَوْقِهِمْ      فَهَلْ لَكَ أَنْ تَخْشَى إِلَهَ البَرِيَّةِ  
(ص213)

ب-3- تعدّد الإشارة إلى الشخص، نحو قوله:

لكل يومٍ عن الأبطال أخبارُ      هَذَا شهيدٌ، وهذا زائنه الغارُ  
وذا على جرجرٍ كالنمرِ مكنمن      وذاك في جيل الأوراس مغوارُ  
ب-4- تضافر الأمر والدعاء والاستفهام، في قوله:

اسأل فديتك عنهم كل ناحية      هل عندك اليوم يا أنحاء أخبارُ؟  
فهني لي رُحماك جزعاً هني لي      يا لحوتنا من صوتك المسفود

ب-5- تضافر التكرار والتداء، نحو قوله راثياً:

هذا الذي جذب المكارم خلقه      وسى القلوب جيبته الوضاحُ  
ذاك الذي ترك الفضائل خلفه      تبكي وتُعول ما لها نصحُ  
ذاك الذي حزن الندى لرواحه      وله غسودٌ للندى ورواحُ  
شرف أصيل يارفاق وعفة      ومروءة وقناعة وسماحُ



#### 4- اللواحق الإنجازية في تراكيب الديوان:

يشمل مفهوم اللواحق الإنجازية كل الوحدات اللغوية التي تكون مسؤولة عن توجيه الخطاب وإنجازيته. وقد تكون طرفا في الإسناد، نحو أسماء الاستفهام وأسماء الشرط... وغيرها، وقد لا تكون مسندا ولا مسندا إليه، لكنّها الوحيدة التي تحدّد دلالة العبارة الواردة فيها، وأكثر ما تكون في الحديث العادي، نحو الألفاظ: بصراحة، على الأقل، غالبا، إذن... أو اللواحق التي تتعلق بالتراكيب عادة، نحو: سوف، وسين التسويّف، أدوات الاستفهام، أدوات الشرط، أسماء الإشارة، ...

وسيقنصر هذا المبحث على دراسة اللواحق التي تكون أكثر ارتباطا بالدلالة العامة للتركيب، والتي لا يتحدّد معناه إلا بالنظر إلى دلالتها، أما لواحق إنجاز الاستفهام والنداء وسائر الأساليب الطلبية فقد تم تناولها في فصل سابق (الأول)، ومن هذه اللواحق:

أ- الإشارات: للإشارات بأنواعها دور بالغ في تحديد دلالة التركيب، ليس من حيث معناها النحوي فحسب، بل لأنّها من الوحدات اللغوية التي يقتضي الإلمام بمعناها معرفة خارجية، وإلماما بعناصر محيطية بعملية التواصل لتحديد دلالتها، فلو قام خطيب في الناس قائلا مثلا: هذا يومٌ أغرُّ.. فإنه ينبغي لحصول الدلالة كاملة، أن يكون السامعون كالخطيب عالين بطبيعة اليوم وذكره أو الحدث الذي يمثله. وهذه المعرفة هي اللازمة لمعنى العبارة العامة، ولن يحصل تواصل بالعبارة دونها. ونحو قول ابن القاضي:

لما رأيْتُكُمْ ذَكَرْتُ شَيْبِي وَزَمَانَهَا الْخُلُوعَ الْجَمِيلَ الْأَزْهَرَ (ص117)

فإنّ (ذكرت شيبتي) تحيل إلى أن الشاعر يكون قد تجاوز مرحلة الشباب، وهي من الدلالات الإضافية التي تُلحقها بدلالة التركيب وعليه هو - بعدّه متكلما - أن يكون كذلك لتحصّل إنجازيته ولقد تعدّدت اللواحق الإشارية في ديوانه، بحسب الأنماط:

أ- 1- الإشارات التشخيصية: وهي اللواحق التي تشير إلى معانٍ في شخص المتكلم أو السامع، أو في أحد عناصر التركيب. والدلالة التي تشير إليها ضرورية للإلمام بالدلالة العامة للتركيب، وذلك نحو: \* أن يُشير المتكلم إلى معرفة سابقة لدى شخصه، وعلى السامع إدراكها، نحو قوله:

|                               |                           |
|-------------------------------|---------------------------|
| ت1- لكل يوم عن الأبطال أخبار  | هذا شهيد وهذا زانه الغار  |
| وذا على جرجر كالتمر مكتمن     | وذاك في جبل الأوراس مغوار |
| ت2- ذاك الذي جذب المكارم حلقه | ومسى القلوب جبينه الوضاح  |
| ذاك الذي ترك الفضائل خلفه     | تبكي وتقول ما لها نصاح    |
| ذاك الذي حزن الندى لرواحه     | وله غدو للندى ورواح       |

(ص239)

فهو يشير في التركيب الأول إلى صورة شخصية في ذهنه عن حال الأبطال، وعلى السامع الإحاطة بملابسات هذه الصورة لبلوغ الدلالة كاملة. والأمر نفسه بالنسبة إلى (ت2) وهو يرثي رفيقه؛ فينبغي أن يدرك السامع كل ما يتعلق بخصال المرثي لتبليغه معاني الرثاء المذكورة في التراكيب جملة.

ومن هذه الإشارة أيضا:

\* أن يشير إلى معان يُفصلها الشاعر، أو تحدّد موقفه من الخطاب، ولن تبلغ الدلالة إلى السامع ما لم يُحيط بذلك، نحو:

- ت1- هذه الأجساد تُرمى في اللجود وذي الأرواح تسمو للخلود (ص116)  
ت2- كيف كانت بذلك اللحن نحيي كل شيء، مثل الضياء السعيد  
كيف كانت بذلك اللحن تبكي وتسلي كالبلبل الغريد (ص235)

\* أن يشير إلى معرفة مشتركة بينه وبين السامع، وعلى السامع أن يستحضرها لحصول الدلالة الكاملة، وذلك نحو قوله مشيدا بـ (سوريا):

- قد احتضنت من قبل أجدادنا الألى بعهد الأمير الشهم ناروا على الكفر  
وهامي ذي من بعد هتتر كلها لثورتنا الكبرى بغيره نغمير (ص71)  
وقوله مشيدا بـ (يفرطا):

وتلك هي الشعوب إذا أرادت حياة، كان نصر الله معطي (ص121)

فهو يشير إلى احتضان سوريا للأمير عبد القادر الجزائري ومساندتها لثورتنا التحريرية، وإلى انتصارات يفرطا التي صارت مثالا للشعوب.

وإن لم يكن السامع على دراية بهذه المجالات المعرفية، ما كان ليتحقق تواصل ناجح هذين التركيبين.

أ-2- الإشارات المكانية: هي لواحق تشير إلى كل مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلم، ويدركه السامع، لتتجح العملية التواصلية، ومن أشكالها في الديوان:

\* أن يشير الشاعر إلى مكان صريح، معلوم، وينبغي على السامع أن يكون عارفا له تحديدا، بكل ما يمكن أن يتعلق به، وإلا أخفق في تلقي الخطاب، ومن شواهد في الديوان:

- ت1- فهذه قبور عملاً الرحب حولنا وتلك قصور للصلاة وللذكر (ص63)  
ت2- وهذه قرية قد دمّرت فبدت لا عيش فيها ولا سكنى ولا جار (ص109)

ت3- حدّث فديتك بالشلعلع كل جيل ما جرى

واقصص عليهم قصة الأبطال، قصة جرجرا (ص150)

\* أن يشير الشاعر إلى مكان مبهم من حيث الدلالة النحوية للإشارة، وعلى السّامع أن يلتفت إلى عناصر أخرى تتسرب في نص القصيدة، أو تظهر في بنية التركيب، ليدرك دلالتها المكانية، وآلا يخفق في تلقي الخطاب، ومن ذلك استخدامه لـ (هنا) في قوله:

ت1- هلاً وقفتم بالقيطرة التي أمست هنا خيراً من الأخبار (ص79)

ت2- هنا غريب كئيب مُتَمِّمٌ قد رجسأك (ص101)

ت3- ويحي ستغرب ثم تتركني هنا يا ويح من في شوقه يتحرّق! (ص199)

\* أن يشير إلى مكان اتجاهاً، صريح، نحو (مشرق، مغرب...) أو مبهم نحو (خلف...)، ولن يدرك السّامع دلالة الإشارة ما لم يعرف وضع المتكلم ومكانه تحديداً، ومن ذلك قوله:

ت1- فها هي ذي البنود مرفرفات بمشرقها ومسغربها ووسطى (ص121)

ت2- فرفرف شعري خلّفها متشوقاً إلى زمنٍ ذكرها في القلب تخفّق (ص173)

أ3- الإشارات الزمانية: هي لواحق تدل على ما يرتبط بزمان الخطاب، وما ينبغي أن يدركه السّامع من الدلالات الزمنية الضرورية لإدراك المعنى كاملاً، وبالتالي فإن دورها في تحقيق المعنى وإنجازيته لا يختلف عن دور اللواحق الأخرى، ومن أمثلتها في الديوان:

\* أن يشير الشاعر إلى زمن مبهم من حيث الدلالة النحوية، ولكي يتعرف السّامع على الخيز الزمني المقصود في الخطاب، عليه أن يستغل كل ما يفضي به في البنية، وما يشير إليه، ليتحقق له الفهم، من ذلك أن يستخدم مثلاً الألفاظ (غداً، اليوم، الشهر، الزمن...) في نحو قوله:

ت1- كن شفيعاً لنا غداً واطلب اليو م من الله أن يزول الشقاق (ص54)

ت2- اليوم عيدٌ لنصر الدين والعرب اهترّ قلبي له بالشعر والطرب (ص89)

ت3- غرة الشهر أنت نور الأماني أنت فجر الحرية الحمراء (ص119)

ت4- يا أيها الفصل الجميلُ أما ترى تلك الربوع شجية الآثار (ص167)

ت5- والدين مشتاق إلى الزمن الذي قد كان فيه على الرذائل مشهرا (ص171)

\* أن يشير الشاعر إلى زمن عام مشترك بين المتكلم والسّامع، ويكون حينها التواصل ناجحاً عندما يتفقان في خيز أكبر من مجاله الدلالي، كأن يُصادف المفهوم الذي يعنيه المتكلم المفهوم نفسه لدى السّامع، نحو استخدامه لفظ (الدنيا) مثلاً، فبقدر ما يكون مفهومها متقارباً بينهما، بقدر ما تقوى إنجازية الخطاب ونجاحه. يقول:

ت1- هل بكتُ روحها على هذه الدُّنيا ومن وحشة الفراق المديد؟

أم تُسرى فضَّلْتُ على هذه الدنيا وخيراتها حياة الخلود؟ (ص236)

ت2- ضَحَّتْ بزهرة عسمرها وتحملت من هذه الدنيا لظى اللّفحات (ص242)

\* أن يشير الشاعر إلى الزمن بغير ملفوظاته المعروفة، وهنا تُصبح الدلالة الزمنية أكثر إهاماً، ويكون السّامع بحاجة إلى أن يعرف كل ما يتعلّق بها، لا سيّما ضمن قصود المتكلم الصريحة والضمنية، وبقدّر ما يخفق في إحراز هذه الدلالة، بقدر ما يتعذر التواصل الناجح. من ذلك قوله:

ت1- أين منّي تلك العهود التي من ذكرها اليوم قاضت الأشواق (ص53)

ت2- سقى الله ذاك العهد في كلّ لحظة وأخياً لسذاك المجد عهد التهابه (ص263)

ت3- سلامٌ على ذاك الزّمان الذي مضى بما فيه من حبّ وما فيه من ودّ (ص273)

ب- لوائح إنجازية أخرى: يشمل هذا المبحث عدداً من الألفاظ التي ترد في خطاباتنا المختلفة، وقد لا تكون طرفاً في الإسناد، ومع ذلك، فإن حجماً غير يسير من الدلالة يبقى مرتبطاً بمدى فهم السّامع لها، لأن المتكلم ذاته يحملها بمضامين تُسهّم في تشكيل الدلالة الكاملة للخطاب، ومن هذه الألفاظ:

- (إذن) في قوله:

ت1- سلامٌ على شعبٍ يتيم مرزءٍ سلام إذن إن كان يُجدي الجزائراً (ص88)

ت2- كلاً فهياً إذن نسعى إلى حبلى نخطّط فنج العلاء بالجدّ لا اللّعب (ص91)

ت3- إذن فلنقل قبل الفراق إلى اللّقا عسى ربّنا أن يقبل الدعوات (ص191)

- (بل) في قوله:

بل اركب كلّ طائرة وسلّم على تلك الكواكب والهلال (ص58)

- (إيه) في:

إيه دنيا عيسى كما شئت أنا لا يُبالي بمن تعدّوا وجرّوا (ص99)

- (إذا) في قوله:

ت1- وإذا نحن يا محمد قوم قد صلاهم لهيه الإملاق (ص53)

ت2- فإذا الشعب كلّه عربيّ وإذا الأرض كلها عربيّة (ص67)

ت3- فإذا بي كفارسٍ سيق للمضمار من بعد غربة ظرفية (ص68)

ت4- فإذا الجبال جهراً تنادي أطلّس التلّ أطلّس الصحراء (ص119)

- (سوف) في قوله:

سوف نرعى عهودكم فاطمئنا إن أنجالكم من الأوفياء (ص120)

II- خصائص التركيب البلاغي في "بوابات التور"

لقد تقدم الحديث في الباب الأول عن العلاقة المتداخلة بين قضايا اللسانيات التداولية ومباحث البلاغة القديمة؛ حيث عُدت البلاغة لدى الدارسين، أحسن ما يبرز العلاقات التداولية في اللغة ووظائفها، كونها لا تميز في دراسة اللغة بين مستوياتها: اللفظية والتركييبية والدلالية.

وأهم ما يميّز مفهومها أن تُعنى بدراسة شروط سلامة الخطاب والتواصل، ومظاهر الإقناعية فيه؛ حيث يجتهد المتكلم في ضمان اقتناع مخاطبه بموضوع الحديث واستمالته إليه.

والواقع أن الإقناعية غاية أي حديث فنياً كان أو عادياً؛ فضلاً عن أن النص الفني (الشعري مثلاً) يكون أكثر غنىً بأشكال الإقناعية، لما يحمله من رؤى تخص المتكلم في ذاته، ولذا يجتهد في إبداء مظاهر الإقناع بها.

وقبل أن يقف هذا المبحث على خصائص الصور البلاغية ديوان ابن القاضي يسجل بأن اندام الشاعر بالإقناع واضح في مجموع القصائد. وهو حريص على تبليغ مقاصده ورؤاه إلى سائره وقارئ شعره مستنداً إلى وسائل إقناعية عدة، نحو التزامه في بعض المواقف بالصريح من التعبير لا سيما في قصائد المناسبات والتهاني والمخاورات الشعرية. وفي مواقف أخرى يفضل الحديث الضمني، والصريح معاً نحو قصائده الثورية... وغيرها.

ولعلّ من أهم مظاهر الإقناعية أشكال الحجاج المختلفة التي احتضنتها قصائده، وقد تمّ عرضها في فصل سابق.

أمّا عن الصور البلاغية، فقد تعدد استخدامها في الديوان، وهي من الناحية التداولية اختيار من المتكلم لطريقة عرض خطابه؛ حيث يعدل عن التعبير الحقيقي المباشر إلى الحديث بصورة بلاغية؛ بل من السامع مهتماً بالخطاب في ذاته قبل أن يقف على المقصود منه. وفي ذلك حرص من المتكلم على تبيين مخاطبه لاستغلال اللغة ذاتها للوصول إلى قصوده ودواعيها.

ولم يكن علماء العربية وهم يؤولون دلالات الصور البلاغية من استعارة وتشبيه وكناية وازمير، ومرسل، بعيدين عمّا تدعو إليه اليوم اللسانيات التداولية من اهتمام بالمتكلم والمعنى النفسي، والمعنى، وكيفية تلقي السامع للحديث، وأثر الصورة البلاغية ذاتها ووقعها على نفسه... إلى غيرها من المباحث التي عرّجت بها كتبهم.

وفيما يلي عرض لعدد من الصور البلاغية التي تكررت في ديوان ابن القاضي، وبيان لدرجتها من الإقناع في إنجاح مقاصد المتكلم من خلالها.

## الصّور البلاغية وقيمها التداولية في "بوابات النور":

ما يمكن ملاحظته على مفهوم (المجاز) عموماً أنه من الأشكال التعبيرية للتوسّع في فنّ القول. ولذلك، فالاستعارة والكناية والمجاز المرسل، والتشبيه، والحذف والتكرار... وغيرها، تُعد من المجاز، لأنّها مما يتجاوز فيه المتكلم التعبير من أسلوب إلى آخر. وقد أورد الجرجاني تعريفاً عاماً للمجاز بقوله: "وأما المجاز، فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز"<sup>(1)</sup>.

وهنا تبدو أوّل قيمة تداولية في مفهوم المجاز، تتمثل في دور المتكلم؛ حيث يقوم على إرادته في التعبير بطريقة دون أخرى، وذلك في قوله (أريد بها)؛ وعلى رغبته وحرصه على يقظة المخاطب ونشاط ذهنه في استقراء مراحل الاستدلال اللازمة للإحاطة بالمعنى المقصود.

وتشترك الصور البلاغية فيما بينها في العديد من القيم التداولية، وتختلف في أخرى. بما سيأتي بيانه؛ فالمجاز المرسل مثلاً يشترك مع الاستعارة في أن المتكلم يخرقُ به العادات التعبيرية السائدة لأغراض يتوخّاها في ذهنه، ويرجو إدراكها من المخاطب.

كما يشترك مع الكناية في أنّه يحتوي على علاقة بين شئين اثنين، حتى إنّ العلاقات التي تضبط المجاز المرسل هي علاقات كنائية في الواقع، نحو: التعبير بالكلّ عن الجزء، الحاليّة، المحليّة، السببية... وغيرها من العلاقات التي تعتمد التلميح إلى الدلالة دون التصريح بها.

وتداخل هذه الصور الثلاثة فيما بينها من حيث عبارة المجاز ذاتها، أو فيما يرتبط بالمتكلم أو المخاطب، لا سيما وأنها جميعاً تبعث المخاطب على الاستدلال، والقيام بعمليات ذهنية لإدراك فحوى الخطاب، واكتشاف ما قام به المتكلم - وهو ينشئ الصورة البلاغية - من اختيارات وانتقادات في ألفاظها. وفي التشبيه أيضاً قيم تداولية ترتبط بالسّامع؛ حيث إنّ المتكلم يعتمد إلى إيضاح المعنى وإبرازه إظهاراً لما خفي، وكشفاً لما غمض لدى المخاطب.

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 304.

## 1- القيم التداولية في استعارات "بوابات النور":

تكاد تطغى الاستعارة على بحوث البلاغة والفلسفة واللسانيات حديثا وهيمن عليها من حيث أنها "نظرية إنسانية كونية ليست مختصة بثقافة أمة من الأمم"<sup>(1)</sup> ولا يقتصر مفهومها على نقل اللفظ من مجال دلالي إلى آخر، بل إنه يتجاوزه إلى أن المتكلم يُثبت بها معنى لا يعرفه السامع من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ<sup>(2)</sup>، نحو (رأيت أسداً) فالدلالة كامنة في معنى أسد لا في لفظه، وهذه أولى قيمها التداولية.

إلى جانب أنها تقوم على مفهوم ادعاء المتكلم أن المعنى المذكور هو المقصود إثباته<sup>(3)</sup> في اللفظ المذكور لأنه منقول إليه؛ فهو يدعي أنه رأى أسداً، لا إنسانا يشبه الأسد، ويذر المخاطب يبحث عن حدود هذا الادعاء وأبعاده، ليذكر أخيراً أن في ذلك تقوية للمعنى المراد وتثبيتاً له في نفسه.

وهي من ناحية أخرى تمثل جانباً من إبداع المتكلم الذي يتجاوز به المؤلف من القول والشائع على الألسنة، ليأتي بما يُفاجئ المخاطب ويُدهشه من خرق لعوالم الدلالة، وإدماج لمجالات الألفاظ، من أجل سلبه وإقناعه، وعليه أن يدرك نوايا المتكلم وقصوده، للظفر بالدلالة، لأننا "عندما نتحدث عن معنى استعاري لكلمة أو عبارة أو جملة فإنما نتحدث عما يمكن للمتكلم، وهو يتلفظ بها، أن يعنيه بطريقة تتعد عما تعنيه هذه الكلمة أو العبارة أو الجملة في الواقع. إننا نتحدث إذن عن النوايا الممكنة للمتكلم"<sup>(4)</sup>.

ويمكن أن نتناول دراسة استعارات "بوابات النور" من خلال العناصر التالية:

أ- تداولية اللفظ الاستعاري.

ب- تداولية المتكلم.

ج- تداولية المخاطب.

لتوضح الأبعاد الاستعارية على مستوى البنية ذاتها، وتشمل ما في ذهن المتكلم بعدة منتج الاستعارة، وأثرها على المخاطب.

(1) محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية الناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط3، يوليو 1992، ص82.

(2) ينظر: ناصر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار لحنوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، (د.ت)، ص274.

(3) ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص31.

(4) I. Searle: *Sens et expression*، نقلًا عن: الولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار

البيضاء، ط1، 1990، ص28.



أ- **تداولية اللفظ الاستعاري:** تظهر القيمة التداولية للاستعارة أوّل ما تبدو في لفظها؛ حيث يُكسبه المتكلم في عبارة خطابه معنًى غير المعنى المألوف. وينطلق المخاطب في اكتشاف أبعاد الاستعارة من خلاله. وفي شواهد الديوان، كثير من الألفاظ التي تحمل في ذاتها قيمة تداولية، تقرّب الأبعاد الاستعارية التي يرمي إليها المتكلم نحو:

\* التعبير باللفظ المحيل على واقع حي للمعنى، نحو قوله:

ت1- إنكم في غفلة فاستيقظوا وانفضوا عنكم غباراً شاملاً (ص47)

ت2- ربّ ناحت حمائم السلم لما روعتها (ذرية) لا تطاقُ

واستغاثت بك الأمانى ونادت فأعادت نداءها الآفاق (ص54)

ت3- وانظر على الإنسان كيف تدفقت منه العجائب ما لهنّ حدود (ص178)

فالألفاظ (انفضوا، استغاثت، تدفقت) تُحيل إلى دلالة مادية في الواقع، ولكلّ منها إحالة على صفة حدوثها فـ (انفضوا) في (ت1) تجعل عدم مناهضة الاستعمار ومغالته، والعيش تحت نيره غباراً ينبغي أن يزول، بل (ينفض)؛ والنفض ذاته يحمل دلالة الحركة الشديدة، العنيفة، الرفضية، المقتلعة للمنفوس... وتلك هي الأبعاد التي يُحملها المتكلم لهذا اللفظ الاستعاري الذي شبه من خلاله الحياة مع المستعمر، بغبار يغطي الشيء أو المكان، وعلى المرء نفضه لإزالته.

وفي (استغاثت) كذلك، إحالة على معنى (الغوث) الاجتماعي؛ الحامل لضعف المستغيث وانتظاره النصر من القادر على ذلك. وأصل اللفظ من (الغيث) الذي هو نجدة المطر للأرض بعد أن يقنط الناس.. وكأن آمال الجزائريين وأمانتهم نفوس ضعاف تستغيث بالخالق تعالى وتطلب نصرته. وفي (ت3) يجعل العجائب التي ميّزت الكشوف العلمية في القرن العشرين، وتسارعها، مياها أو ما شابه متدفقة، نضاجة، وفي ذلك دلالة الشدة والكثرة والوفرة، وهي الإحالة الواقعية للفظ.

\* التعبير باللفظ الذي يجسّد المعنى مادياً، أمّا الدلالة المقصودة فمعنوية، نحو قوله:

ت1- فأين حمانا؟.. قد طوته يدُ العدى وصار خراباً بعد ما كان ناضراً (ص86)

ت2- فاسقوا الحمى بالصالحات وعلموا إنّ الجزائر بالعلوم تسودُ (ص180)

فكلّ من (طوته) و(اسقوا) يحمل الدلالة المادية للفعل ويجسّده، وكأن العدو في (ت1) شخص جبار يمدّ يده إلى (حمانا) ليطويه طياً، ولا يخفى على المخاطب من العنف والشدة والقسوة والجيروت... وغيرها من الأبعاد المادية لهذا اللفظ، ونحوه (فاسقوا) في (ت2) حين يتغنى بالجزائر وجمالها بعد استقلالها في (1965)؛ حيث يدعو الجزائريين إلى أن يحفظوا هذا البلد ويصونوا نعمة الله، بالأعمال الصالحات ليباركه الله تعالى ويجعله آمناً، لأن في العمل الصالح صيانة لصاحبه. وكان البلد

غرس يُسقى بماء (وللماء دلالة الخصب والنماء) العمل الصالح، ليحفظ أجيال المستقبل ويُلمع نعمة بلدها.

\* التعبير باللفظ الذي ينقل المعنى التقسي الذي يُهيم على المتكلم، حال إنتاج الاستعارة، نحو قوله:

- ت1- عاودتني إلى المني أشواقُ مذ سقاني كأسَ المني إشراقُ (ص51)  
ت2- جرّ عوني كأسَ المنون وما ذنبي يا لحدّ غير كسر القيود (ص233)  
ت3- فإذا بالجبال جهراً تنادي أطلسُ التّل أطلسَ الصحراء (ص119)

لاستخدام لفظ (كأس) في (ت1) و(ت2) معنى الرواء، انتشاءً أو تجرعاً؛ فهو في (ت1) في حال المنتشي، الذي طار به خياله، وروي من كأس المني، وأي كأس؟ فالمني تسقي مُريدها، وهو في حال الظافر الحالم.. وفي (ت2) ينقل معنى الذي طمه البلاء، وكان المنون ذاتها تسقيه كأساً بعد كأس، فهو في حال الذي يتجرعه ولا يكاد يسيغه..

وفي (ت3) تظهر الدلالة التقسية في أن معنى النداء نفسه بحاجة إلى بروز المنادي وإشرافه؛ وأن يكون هذا المنادي (جبالاً) فهو أدعى إلى حصوله ووقوعه... وهو الجانب الإيجابي الذي يحمله اللفظ (تنادي الجبال) لتوفر دلالة الإشراف لبلوغ النداء.

ب- تداولية المتكلم: تبدو القيمة التداولية للمتكلم في التركيب الاستعاري من مبدأ الإدعاء الذي سبق ذكره؛ حيث يدعي ثبوت المعنى في اللفظ المذكور على أنه هو الوارد لا على أنه منقول من مجال دلالي إلى آخر. وتظهر أيضاً في أن يرمي من خلال ذلك إلى إحداث الدهشة والإعجاب في نفس مخاطبه طلباً لموافقته واستمالة لإذعانه. ولذلك فإنّ مما يساعد المخاطب في الإحاطة بالمعنى المقصود معرفة نوايا المتكلم زمن إنتاج الخطاب والتلفظ به، لئلا يفتقد شيئاً من عناصر سياقه.

وتبدو مظاهر هذه القيمة في استعارات الديوان من خلال مواقف عدة للمتكلم، من شواهدنا:

\* أن يمثل المتكلم امتداداً لا متنهاياً للمعنى المراد، نحو قوله:

- ت1- والأماي يطفن بي شاديات حولهنّ الزهور والأرزاق (ص51)  
ت2- ألم تر أن السعد أقبل باسمًا وأنّ مقاليد السعادة في يدي (ص49)  
ت3- بُنيت على شفا وادي الرمال كأنك عشت بازٍ في الجبال  
وهت على العواصم يا قسنطي بحسّر فوق أشفار عوّال (ص57)

في هذه الاستعارات، يظهر امتداد المعنى وتوالد الدلالات في نفس المتكلم، وهو الإحالة اللامتناهية التي ينقلها إلى مخاطبه؛ ففي (ت1) يتغنى بجزّ المولد النبوي الشريف، وبما سار إليه خياله من فيوض النفس وتجليات الصفاء؛ حيث رأى الأماي كأنها الحور، تطوف به شاديات وحوطها الزهور

والأرزاق.. وهذه الصورة المنقولة من عالم الجنة الغيبي، يكون المتكلم قد أحال سامعه إلى معنى لا متناه في الامتداد مما يضمن استمالاته. وفي (ت2) كذلك حيث جعل السعد شخصا قادما إليه في ابتسام، وهو يتغنى بأرض النبي صلى الله عليه وسلم، وان السعادة كلها على امتداد معانيها، وبما يمكن أن تصدق عليه، صارت مقاليدها في يده فيسعدُ بها متى شاء.. ويكاد يرسم في (ت3) صورة قسنطينة المدينة، وهي على شفا وادي الرمال، تقف على الصخر تياهة مائسة، تفخر المدن والعواصم.. فيأخذه الإعجاب، لينطلق مع امتداد معنى التيهان ويقف على سبب من أسبابه (هت بجسر، بدور...).

\* أن يدعي المتكلم حصول فعل، باستحضار ما لا يمكن إحضاره، نحو قوله:

ت1- حيث الكرامة باتت في مرابنا تبكي على شرف في الليل مُعْتَصِب (ص90)

ت2- وبكثك أخلاق وشيعة التقى ودعت لك الأبناء بالرحمات (ص243)

لقد استحضر الشاعر معنى (الكرامة) ذي الدلالة المعنوية إلى المجال المادي، ليثبت أن كل شيء في المجتمع الجزائري صار يبكي على الشرف الذي اغتصبه الاستعمار؛ وللكرامة كما للشرف دلالة عامة تشمل كل ما يرتبط بالحياة الكريمة.

ففي (ت1) صارت الكرامة بعدما جمعت كل ظلالها الدلالية امرأة باكية على ضياع الشرف واغتصابه.. وفي هذا إشارة للسامع (الشعب الجزائري) ليوحد صفوفه ويواجه الاحتلال.

وفي (ت2) صارت الأخلاق مفجوعة في أم الشاعر (وهي المراثية بهذه القصيدة؛ فحضرت المأتم

بكل ما يمكن أن تجمعه في لفظها من دلالات، وحضر التقى من بين المشيعين بدلالاته العديدة..

وفي هذا نقل مثل هذه الألفاظ من دلالاتها الأصلية إلى مجالات دلالية خارجة عنها ادعاء من

المتكلم لثبوت هذا المعنى وحصوله؛ بحيث يمكن للسامع أن يدرك بأن ما فعله الاستعمار في بلادنا أبكى الكرامة، وأي شيء بعد ذلك؟، وأن وفاة والدة الشاعر لم يترك للأخلاق راعيا..

\* أن ينقل المتكلم المعنى الذي في نفسه كاملاً في العبارة الاستعارية، نحو قوله:

ت1- رحم الله أضلع الشهداء وسقاهم بأدمع الأنداء (ص119)

ت2- ارفعي الرأس وسيري يا جزائر فلقد نلت من النصر المفاخر (ص115)

ت3- (...) وحي من كل جيل عبرة إن في العبرة خيراً للشباب (ص169)

ففي (أدمع الأنداء) في (ت1) طلب أن يتعدد المترحمون على الشهداء والباكون عليهم، بتوسيع

المجال إلى ما لا يعقل (النبات) بقطرات أندائه، وفيها أيضا دلالة الرقة والخنو على أضلع الشهداء،

وأما ينبغي أن تحظى بالملائية والملاطفة ولو في السقيا. وهذا ينقل إلى السامع قيمة الشهيد ومكانته في

نفس الشاعر، وتلك هي بلاغة الاستعارة وما تحدثه من نشاط في النص الأدبي؛ حيث أشاد البلاغيون

العرب قديماً بالاستعارات التي تُلطف الأوصاف الجسمانية وتجعلها روحانية، وتنقل السامع من حال إلى حال. وتظهر في (ت3) حفاوة الشاعر بالطالب الذي يجني العبر ويعمل بمقتضاها، ليكون ناجحاً في حياته. فهو يمثل هذا الطالب فرح فخور، ويعكس ذلك استخدامُه الجني، الذي عمل تلك الدلالة كاملةً.

ج- تداولية المخاطب: تعتمد الاستعارة كثيراً على السامع، لأنه هو الذي يتمثل أثرها، ويفرز مجالها، ليقف على مقصود المتكلم من خلالها، وبذلك فإنها "تكتسب تداوليتها من الأثر الذي تُحدثه في المتلقي في سياق معيّن"<sup>(1)</sup>. وأمام ادعاء المتكلم ثبوت المعنى في اللفظ المذكور، وأما ليس من قبيل النقل من دلالة إلى أخرى، يكون على السامع أن يستند إلى عدد من العمليات الذهنية، ليحيط بالدلالة الكاملة في عبارة الاستعارة؛ وهي<sup>(2)</sup>:

- أن يستطيع التقرير أولاً ما إذا كان ضرورياً للبحث عن تأويل استعاري للعبارة أم لا.

- أن يستطيع الإحاطة بالقيم الممكنة للقول الاستعاري.

- أن يتمكن من تصنيف مجالات القول الاستعاري لأجل الحسم في اختيار الدلالة المقصود.

وفيما يلي بيان لمظاهر أثر استعارات الديوان على المخاطب منها:

\* أن يحسّ المخاطب بمعنى لم يكن ليتوقعه، مما يبعث على طلب الإحاطة به، نحو قوله:

- ت1- إنكم في غفلة فاستيقظوا وانفضوا عنكم غباراً شاملاً (ص47)  
ت2- (شلعلع الأوراس) شامخ أنفه وأخوه جرجر في الفضاء بعيد (ص180)  
ت3- كم صارعت نوب الزمان بصيرها كم ذللت من أجلنا عقبات (ص242)

ففي (ت1) يشعر المخاطب حين تلقيه للتركيب الاستعاري (وانفضوا) بشيء من التعبير

وعرض الحال المشينة التي يجهاها، مما يؤكد ما قد يخرج إليه الخير في الشطر الأول. هذا الذي يدعوه إلى استقصاء دلالة العبارة، والاجتهاد في الإحاطة بمختلف التأويلات الممكنة لها، ليتمكن أياً من أن المتكلم لا يود إلا استشارته وإيقاظ همته، بعيداً عن معنى التعبير والتحقيق الذي بدأ به التأويل.

وكذلك في (ت2) و(ت3)؛ حيث يستقدم المتكلم مخاطبه إلى مجال دلالي أبدعه في همة، وهو يستشير ليشهد هنا الجليل الذي يقف شامخ الأنف، ثم يتجاوز معنى الجليل إلى دلالة الرزان الصامد صلب العزيمة.. ويشهد الأم (المرثية) التي تغالب نوب الزمان الحاضرة في العبارة غلاظاً شاداً تحاول

(1) محمد سورين: اللغة ودلالاتها: شرح تناول للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج28، ع3، يناير/مارس 2000، ص1.

(2) ينظر: الرولي محمد: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والقصدي، ص28-29.

قهرها.. وعلى المخاطب أن يستقصي الدلالة بشكل يخالف بناء المتكلم، ليصل إلى حيث بدايتها وهي: زهو جبل الشلعلع وفرحُه زمن الاستقلال، والأخرى معاناة الوالدة وعنتُها في تربية أبنائها. \* أن يُدرك المخاطب عواقب الأمور ونهايتها من التركيب الاستعاري، نحو قوله:

ت1- فإذا الباطل الشنيع زهوق وإذا الظلم سعيه الإخفاق

وإذا السيئات طأطأت الرأ من حياءً فنالها الإزهاق (ص52)

ت2- ويلحقُ البحرُ ذلَّ لا نظير له يُداس كرها بلا كدَّ ولا تعب (ص90)

فأول ما يتلقاه المخاطب في هذين التركيبين الاستعاريين هو انتصار الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي أزهق الباطل، فاستحيت السيئات وحققت من حالها مطأطئة رأسها حياءً وانتكاساً، وتلك نهاية -في معنى المتكلم- وعاقبة لما عرضه من معنى في الأبيات السابقة. ويأخذها المخاطب حصيلة للدلالة، أو مدخلاً للظفر بمقصود المتكلم. والأثر نفسه يبدو في (ت2) واصفاً ذل لاستعمار في الجزائر، حين يغضب الشعب ويتأهضه.

\* أن يبدأ التأثير في المخاطب بتشنيع الفعل أو تهويله، فيكون باعثاً على حصر محتاج القيم التداولية للتركيب الاستعاري، والحسم في المقصود منه. فالتشنيع في قوله:

قتلوا الضاد وقالوا ليس في الموت جدال (ص76)

والتهويل في:

كم كافحوا ورضاصُ العلج منهمر ومدفع الهون في الأنحاء هذار (ص109)

## 2- القيم التداولية في كُنَايَات "بَوَابَات التور":

لا تختلف الكناية في عناية الدارسين بها عن الاستعارة، وهي في مفهومها تحفل بعدد من القيم التداولية المرتبطة بالمتكلم أو بالمخاطب.

وتقوم على ترك التصريح بذكر الشيء، إلى ذكر ما يلزمه، وحينها ينبغي على المخاطب أن ينتقل من المذكور إلى المتروك. جاء في مختار الصحاح: "الكناية أن تتكلم بشيء وتريد به غيره"<sup>(1)</sup> ويكون ذلك لغرض من الأغراض، كالإبهام على السامع ونحوه. ويحمل جنس الكلمة ذاتها دلالة الستر والحفاء؛ في "كئني، يكئني، كناية بالشيء عن كذا: ذكره ليدلّ به على غيره"<sup>(2)</sup>.

فهي -إذًا- تشبه الاستعارة في احتوائها على معنى حرفي في ظاهر اللفظ وآخر ضمني، يرمي إليه المتكلم، وينبغي أن يدركه السامع استنادا إلى ظروف الخطاب المختلفة لكنها لا تُغرق في الوقوف عند المعنى الصريح، كما تفعل الاستعارة في مبدأ الادعاء؛ إذ يمكن أن يجد المخاطب في التركيب الكنائي ما يُحيل إلى مقصود المتكلم، مع إمكان قيام ذلك المعنى الصريح في الواقع. وهنا تختلف عن الاستعارة، لأن التركيب الاستعاري لا يصلح معناه في الواقع لاستغراقه في الادعاء، ويظهر ذلك مثلا، في: - هنا أسد. - فلان كثير الرماد.

في كل من التركيبين عُذول من المتكلم عن التعبير بالمعنى الصريح، إلى الإشارة إلى المعنى، ولكنه في الأول يدعي حصول المعنى المذكور ويحرص على إبعاد المعنى المقصود، طلبًا لتمكن المعنى في نفس مخاطبه كتمكنه في نفسه، إلى حدّ أن المعنى الصريح للعبارة صار محالا في الواقع. أمّا الثاني، فلا يقوم على الادعاء بقدر ما يعتمد التلميح إلى المعنى المقصود، إرادةً من المتكلم في اختبار فطنة المخاطب ويقظته، مع إمكان احتمال المعنى الصريح للعبارة في الواقع -وهو غير مقصود- فالكناية تعتمد غالبا مرجعا واضحا لتركيبها، نحو (كثير الرماد) فهي تحيل إلى المعنى الحقيقي لكثرة الرماد، ولكنها تُلمح إلى ما يلزمه، خلافا للاستعارة القائمة على التصوّر لا المرجع. فهي إذا حافلة بالقيم التداولية والإشارات التي يكتنف صياغتها والتعبير بها و"العناصر التداولية للاستعارة شبيهة بالعناصر التداولية للكناية"<sup>(3)</sup>.

(1) الرزقي: مختار الصحاح، ص 369.

(2) للنقد في اللغة والأعلام، دار للشرق، بيروت، لبنان، ط 31، 1991، ص 701.

(3) محمد سويدي: اللغة ودلالاتها، تقرب تلغولي للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، مج 28، ع 3، يناير/مارس، 2000، ص 41.

وفيما يلي عرض لتداولية الكناية في الديوان النور، وفق المباحث:

أ- تداولية اللفظ.

ب- تداولية المتكلم.

ج- تداولية المخاطب.

أ- **تداولية اللفظ الكنائي**: تكمن قيمة تداولية اللفظ الكنائي عموماً، وفي الديوان بشكل خاص، في أن الشاعر يجعل منه مشيراً إلى المعنى المقصود. وبذلك فهو غني بكثير من الدلالات التي يكسبها إياه لتكون إشارات قريبة إلى المقصود بالتركيب الكنائي كاملاً.

وفي كنايات الديوان بعض من هذه الإشارات، نحو:

\* أن يكون اللفظ الكنائي من حيث الدلالة لا يرتبط بغير المعنى المقصود، فسهل المتكلم بذلك الإشارة إليه، ويمكن للمخاطب الإحاطة به، نحو لفظ (فلذات الأكباد) في قوله:

فلذات الأكباد بين أيديكم فاستحيوا رحماكم للنداء (ص119)

فلفظ (فلذات الأكباد) في عرف الاستعمال قد خلصت إلى دلالة محدّدة، وهي الأبناء والنسل وإصاق النسب، ولذلك فإن المخاطب أمام إشارة قريبة من المعنى المقصود، وعليه أن يستغل قرائنها في التركيب كاملاً ليظفر بدلالته، وهي حرص الشاعر وتوسله لجيل الاستقلال أن يحفظ عهد الشهداء، ويرعى أبناء الجزائر استجابة لندائهم من القبور. دون إغفال ما يحمله اللفظ من رقة وحنوّ وعاطفة انتساب.

ولقد تكرر هذا التركيب الكنائي في قوله، مخاطباً والدته حين وفاتها رثياً:

يا فلذة الأكباد يا مهد المنى يا نعمة من أروع التغمات (ص241)

فهو في هذا التركيب يكون قد أضفى على والدته دلالة أخرى، إضافة إلى دلالة الأمومة المستفادة من السياق، وأما جزء من كبده، نحو ولده وغيره.. وكل عزيز إنما هو فلذة كبد.

\* أن يُحيل اللفظ الكنائي إلى معنى نفسي في ذهن المتكلم، يستدرج السامع إلى الدلالة الكاملة، نحو (ربيع) في قوله:

لقد قلت للأطيار تحمل نغمتي إليكم وشوقاً عاطر النفحات

وقلت لها طيري إليهم ورفري على مهد أمالي وربيع حياتي (ص190)

فـ (مهد) و(ربيع) كلاهما يحيل إلى معانٍ نفسية في ذهن المتكلم، وهما مدخل مناسب

للمخاطب، لأن يحيط بهذه المعاني من تذكر لأيام خلّت، ومدارج ذكرياته، ومواضع آماله.



والشاعر يعني كل ما يرتبط بذلك، وهو مقام توديع مدينة قسطنطينة في حفل أقيم لذلك الغرض، بعدما أمضى جزءاً غير يسير من مساره المهني هناك.

\* أن يحيل اللفظ الكنائي إحالة مباشرة، على معنى مباشر في الواقع، نحو لفظ (أتلج) في:

ت1- أبا الروح عبّر عن عواطفك التي تحسّ بها بعد الطّواف الممجّد  
وأتلج لنا تلك الصّدور التي شكت وتساقت إلى أرض النبي محمّد (ص50)

ت2- ودعائي إلى النشيد هلال أتلج الصّدور نوره المشتاق (ص51)

ت3- ومن رِقّ للمسكين لطفاً ورحمة؟ ومن أتلج الصّدور المروّع حائراً؟ (ص37)

فللفظ "أتلج" إحالة مباشرة إلى (الثلج) وتُفِيهِ من برودة، ولذلك فإن الكناية عن راحة

النفس، وهدوء انجذابها واعتلاجها، يكون أكثر مناسبة، لا سيما إذا كان مقام حرارة الأشواق، المعتملة في نفس مشتاق إلى أرض المصطفى -صلى الله عليه وسلم-؛ حيث لا يكفيها حديث عدا أو وصفها، ولذلك فهي تطلب حديث الزائر نفسه وما اعتلج في نفسه حين زارها.. يلبب الشاء ذلك، مهنتاً زائراً عائداً من البيت الحرام. ونحو ذلك في (ت2) و(ت3) حيث يُحيل لفظ (أتلج) الصّدور) المقترن أساساً بإيقاف حرارة النفس ولواعجها، إلى معنى الإخماد، الراحة، والسكون... به الانطلاق والانجذاب.

ومن الألفاظ المحيلة إحالة مباشرة إلى معنى الكناية، لفظ (الكيل) و(الحناق) اللذان ظابقان واة

المستعمَرين المضطهدين، في قوله:

وطمحننا إلى المعالي ولكنّ جهاز الكيل دونهما والحناق (ص53)

وكذلك لفظ "ناحت" المحيل على كل ما يرتبط بالحزن، في قوله:

ربّ ناحت حمائم السلم لما روّعتها ذرية لا تطلق! (ص54)

ب- تداولية المتكلم: يحظى المتكلم في الكناية بقيمة تداولية بارزة؛ تتمثل في أنه يعتد أن يُخيّر الدلالة التداولية خلف الدلالة الحرفية للتركيب الكنائي؛ حيث يتفادى التصريح إلى التأييح، مراه على فطنة المخاطب وذكائه في اكتشاف ذلك، وحريصاً على سرعة فهمه للدلالات الضمنية التي تكتنف العبارة.

وتبدو مظاهر هذه القيمة في كنايات الديوان من خلال خيارات المتكلم التالية، وإحالاته التي

يراهن فيها جميعاً على سرعة بديهية مخاطبه في اكتشافها، لأنها إحالات مجاورة للمعنى المقصود وليست هي المقصودة بالكناية:



\* أن يُحيل المتكلم إلى إعجاب يعتريه، وموقفه من الخطاب، نحو قوله:

ت1- بُعِثَ الْمَغْرِبَ مِنْ مَرْقَدِهِ يوم كان العليج يسقيه الحماما (ص93)

ت2- يُعْرُطًا! نَمَ هُنَيْثًا يَا يَغْرُطًا! لقد سَطَرَتَ للأجيال خطأ (ص121)

ت3- ذاك الذي جذب المكارم خلقه وسى القلوب جبينه الوضاحُ (ص239)

فهو في (ت1) يشير إلى ثورة المغرب العربي لمناهضة المستعمرين، وكأنما كان مية وأن يوم بعثه؛ في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، .. وهي الدلالة التي يواربها المتكلم. مع أن التركيب الكنائي كاملاً يحيل إلى موقفه هو ذاته من هذه الثورة ومدى إعجابه بها، وستكون هذه الإحالة الثانية سندا للمخاطب لأن يحيط بالمعنى.

وفي (ت2) يشير إلى أن (يغوطا) صار مثالا للاستماتة في استعادة الحقوق، وخلال ذلك يكاد المتكلم يفضي بإعجابه وهو موقفه الشخصي من يغوطا، ويكاد يحمل مخاطبه على تبني ذلك الموقف. وفي (ت3) إغراء للمخاطب لأن يُعجب بخصال صديقه المرثي (علي)، حين يلمح إلى بعض منها في إعجاب أسر، وتقدير كبير.

وكل هذه الإشارات التي يسمح بها المتكلم في الخطاب، والإحالات التي تفرط منه في ثناياه.

\* أن يحيل المتكلم إلى نوع من مشاعره وعواطفه تجاه موضوع الكناية، وهو يحرص على بناء الدلالة المقصودة، رغبة في إثارة المخاطب، نحو قوله داعياً للشهداء:

خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلَّ ذَنْبٍ وَوَقَاهُمْ، لَوَافِحَ الرَّمْضَاءِ (ص119)  
وقوله في رثاء والدته:

يَا فَلْدَةَ الْأَكْبَادِ يَا مَهْدَ الْمُنَى يَا نِعْمَةً مِنْ أَرْوَعِ التَّغْمَاتِ (ص241)

فهو في الأوّل يدعو للشهداء بتخفيف الذنب والوقاية من حرّ النار، وخلال هذا النداء، يُحيل التركيب الكنائي (لوافح الرمضاء) إلى شفقتهم عليهم من هولاء، ومن أنه هو نفسه يخافه ويتباهى ولذلك دعا به مكثياً، وعلى السامع أن لا يكتفي بالوقوف على الدلالة الحفوية للوافح الرمضاء، بل يتجاوزها إلى دلالتها التداولية، وهي شعور المتكلم وعاطفته تجاه المكثي عنه.

والدلالة نفسها في التركيب الثاني؛ حيث إن تكرارات النداء المجاورة للتركيب الكنائي ودلالاتها، تُفضي بالسامع إلى أن يكشف مرتبة المرثية ومكانتها في نفس المتكلم، مع أنه لم يُخف بذلك احتفائه في التركيب بمناجاة المرثية وبكائها، وعرض حجم فجيعة فيها.

\* أن يُحيل المتكلم في الكناية إلى تذكّر ما مضى، وهو بصدد الإشارة إلى خصال المرثي ومناقبه؛ نحو قوله في رثاء صديقه:

قد كنت أفراحا لها ورجاءها [الحياة] أين الرجاء الآن والأفراح؟ (ص 240)

فقد أحال دونما حاجة معنى الكناية إلى ذلك، إلى الجانب النفسي الذي يسجمع ذكرياته مع المرحوم، وهو إنما يودّ التلميح فقط إلى أن صديقه كانت له مكانة في حياته مع الناس.

\* أن يُحيل المتكلم إلى مدح المخاطب والإعلاء من شأنه، وهو بصدد وصف ما حلّ به، نحو قوله في رثاء والدته:

وقضيتُ نحبك بين من أنجبتهم في حسن خاتمة وحسن صفات (ص 143)

فقد عبّر عن وفاتها بين بنيتها في خاتمة حسنة، بأنها (قضت نحبها)، ودلالة ذلك أنها توقّعت وهو المقصود من لفظ الكناية. لكن هناك إحالة هامشية أخرى يقصدها المتكلم، ويودّ لو يتفطن إليها السامع مراهنًا على ذلك ليحيط بدواعي الخطاب كاملة، وهي أنها قضت نحبها كما ينغمي الرجاء المؤمنون الذين مدحهم القرآن الكريم، إشارة إلى قوله تعالى "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبّه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً"<sup>(1)</sup>.

فإنه يرفعها بذلك إلى مصاف هؤلاء الرجال الصادقين الممدوحين في الآية. وليست تلك هي الدلالة الضمنية للكناية وإنما هي دلالتها التداولية المصاحبة لها.

جـ- تداولية المخاطب: يعوّل المتكلم كثيرا على دور المخاطب في إدراك المغزى من التركيب الكنائي؛ ويراهن على فطنته واكتشافه للعلاقة بين لازم المعنى المتروك إظهاره والمعنى المذكور. والمخاطب في أي تعبير كنائي يقوم بعمليات ذهنية معاكسة لتلك التي يقوم بها من التركيب الاستعاري؛ حيث يبدأ استدلالاته من لفظ الكناية إلى المعنى المذكور؛ ومن ثمّ إلى لازم هذا المعنى وهو المقصود، وبالتالي فهو يقوم بعملية بناء المعاني وتركيبها من المعطى إلى المسكوت عنه، ومن الصريح إلى الضمني، ومن الملفوظ إلى المقصود.

أما في الاستعارة فعملياته خلاف ذلك؛ حيث يمنحه المتكلم حصيلة المعنى المقصود كاملا، ويبقى عليه أن يكتشف العلاقات التي ساقّت إليها؛ فيقوم بعملية تفكيك للصورة، وفصل لأجزائها، بتميز عوالم المعاني التي داخل بينها المتكلم؛ أي أنّه ينطلق من المقصود إلى الملفوظ.

أما عن قيمته التداولية في كنايات ديوان ابن القاضي، فتمثلها بعض المظاهر التالية:

(1) الأحراب/23.

\* أن يجد المخاطب في التركيب الكنائي تلويحا بمعنى محال إليه، وليس هو المقصود، فيكون ذلك

باعتنا على استقصاء دواعي المعنى وظروفه، نحو إحساس كل متقاعس عن مناهضة الاستعمار بشيء من التوبيخ والتعيسير في قوله:

أَبَهُ مَنْ يَقْضِي اللَّيَالِي نَائِماً وَأَوْقَظَ فِيهِ الْحَزْمَ إِنْ بَاتَ خَائِراً

(... ) أَرْغَبَ فِي الْجُوزَاءِ مَنْ صَارَ فِي الدُّنَى مَعِيداً لَهُ تِلْكَ الْقُلُوبَ الْغَوَابِرَا (ص 87)

فالمقصود من عبارة الكناية (يقضي الليالي نائما) هو الغفلة واللامبالاة بالواقع الذي يجياه دون

الاعتناء. لكن على السامع أن يجد في ثنايا هذا التعبير تلميحاً بعرض حاله، وأنه هو المقصود بهذا الخطاب الذي يوّد الشاعر من خلاله تغيير وضع الجزائريين.

وإحساسه بأنه معني بهذا النوع من الخطاب كقيل بأن يُقبل على المعنى ويتلمّسه إلى أن يمتلكه ويمكّنه في نفسه.

والتأويل نفسه يقوم به في التركيب الثاني (أرغب في الجوزاء)؛ حيث يدرك أن الشاعر يعرض عليه المعيش الكريم ومعالي المراتب، ويحسّ في ثنايا ذلك بأن الشاعر يحطّ من الحال التي فيها، وأنه يقترح عليه تغييرها، وهذه الدلالات الإحالية المصاحبة لمعنى الكناية تتوقف على مدى بقظة المخاطب وتعاونته.

\* أن يجد المخاطب دعوة إلى إقباله على الخطاب، كأن يحمل مثلاً تشجيعاً واستقداماً، نحو قوله محفّراً

الطالب الجزائري على الاجتهاد للحاق بركب الذين أخذوا بالعلم وأسبابه، قائلاً:

مَنْ غَدَا يَبْحَثُ عَنْ أَسْرَارِهَا رَفَعَ الْكُونَ لَهُ كُلَّ حِجَابٍ (ص 169)

فإن المخاطب يلمس هذا التشجيع، والدعوة إلى الأخذ بما أخذت به الشعوب الأخرى ليكون

في مصافّها، ويدرك المجهول من هذا الكون وأسراره. وفي هذا التشجيع إعانة له على تقصي المغزى من الكناية.

\* أن يكشف المخاطب أن في لفظ الكناية إثارةً واستهجاناً للحال، مما يجعله يُقبل على مقصدها

وتتبع كل ما يتعلق به للظفر بدلالة المتكلم كاملة، نحو خطابه لتلاميذ المدارس في افتتاح موسمهم الدراسي لعام 1965 بقسنطينة، داعياً إياهم إلى أن يُقبلوا على العلم، وقد سارعت إليه دول العالم؛ يقول:

فَتَحْرِكُوا! إِنْ الْوُجُودَ تَحْرَكْتُ سَكَاتُهُ، يِضَانُهُ وَالسُّودُ! (ص 179)

فإلى جانب معنى التعميم الحاصل في التركيب الكناثي، وأنّ كل من في الوجود، على اختلافهم  
قد تحركوا لطلب العلم، يدرك المخاطب أن حاله مستهجنة لدى المتكلم، وأنه ما ينبغي أن يبقى  
عليها. وفي ذلك إثارة لإدراك معنى الكناية وإذعانه لقبول الخطاب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3- القيم التداولية في تشبيهات "بوابات النور": يقوم التشبيه على وضوح المعنى وجودة النظم اللدني يتوخأهما المتكلم في حديثه؛ حيث يحرص على أن يكون معناه واضحاً رغبة في تأكيد المعنى عن طريق التصوير والإقناع الحسي، فضلاً عن أن الصورة التشبيهية ذاتها ينبغي أن تكون مطابقة للواقع، مشتركة بالحواس. وتلك هي بعض القيم التداولية التي تكتنف مفهوم التشبيه من ناحية المتكلم بعده منتج الخطاب.

أما عن قيمة المخاطب في التركيب التشبيهي، فقد ذكر المرّد تقسيمات للتشبيه يرتبط عدد منها بذوقه وموقفه من الصورة التشبيهية، نحو<sup>(1)</sup>: التشبيه العجيب، التشبيه المحمود، التشبيه الغريب، التشبيه الحلو... وغيرها. ومعاني العجب والحمد والغرابة والحلاوة إنما ترتبط بن يتلقى التشبيه، و تعرض كيفية وقعه على نفسه، وتأثيره فيه.

و لذلك بلح عبد القاهر الجرجاني على الأخذ بالذوق في تلمس جمال التشبيه، ولا يفصل بين صياغته الفنية وطبيعة النفس التي تتلقاه<sup>(2)</sup>.

والتركيب التشبيهي في ذاته يهدف إلى إخراج الأغمض إلى الأظهر، ليكتسب وضوحاً وبيانياً و توكيداً وإيجازاً، وهي قيمته التداولية.

ولقد استخدم ابن القاضي عدداً غير يسير من التشبيهات في قصائده، بحسب الأشكال التالية:

• أن يكون التركيب التشبيهي قائماً على التفصيل لا الإجمال؛ حيث يُعنى المتكلم ببيان حدود الدلالة إيضاحاً للمخاطب وتقريباً لاستدلالاته، وذلك نحو قوله:

ت1- نحن الشباب كورد بات في لهب والوردُ يهوى الندى إن بات في لهب

نحن الشباب كعوج البحر مطمحه بلسوغ غساياته بالوثب والجلب (ص90)  
وقوله واصفا إقبال الحرية:

ت2- أقبلت بين موكب الأحرار مثل شمسٍ وضيئة الأنوار

يستحي من جمالها كلّ ورد فتح الليل وجهه للنهار (ص95)  
وقوله مخاطباً الحرية:

ت3- أرجو لقاءك كل يوم مثلما يرجو المسافر في الظلام هلالاً (ص97)  
وقوله واصفا العلم:

(1) المرّد: الكامل، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ت، ج3 ص32 وما يليها.

(2) ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص78.

ت4- العلم مثل الوحي نور ساطع يمحو الظلام على الورى ويُبيد  
صفة تحلى الله جلّ جلاله والأنبياء بسها ونحن شهودُ (ص178)

فقد فصل الشاعر كل مرة صورة التشبيه بالحرص على إيراد عناصره المعروفة، مع تفصيل وجه  
المشبه كل مرة، إغراقا في الإيضاح، وبيانا لحدود الدلالة المقصودة، على نحو من الاستدلال على وجه  
المشبه الذي اختاره للصورة، كما في (ت1) فإن وجه المشبه هو (المبيت في اللهب)، لكنه احتج على  
ذلك بالتفصيل (والورد يهوى التدى إن بات في لب)، أو أن يفصله بالنعته مفردا في (ساطع) في  
(ت4) أو جملة في (محو الظلام)، أو يفصل يجعل كل من المشبه والمشبه به حالا وهيئة لا صورة  
مفردة، نحو (ت3) فالمشبه هو حال الشاعر الرّاجي لقاء حريته يوما بعد يوم، والمشبه به هو حال  
المسافر في الظلام الذي يرجو الهلال ونوره في كل حين.

وفي كل ذلك تسهيل للمخاطب لأن يدرك الصورة، ويبلغه المعنى كاملا وفي أحسن صورته.  
وقد يكون تفصيل التشبيه بتعداد العناصر التشبيهية في الصورة الواحدة، نحو قوله مخاطبا الليل:

أتعودُ كالأسد المزجر ناصراً حقّ الضّعيف بصولة وزئير  
أتعودُ كالطير الجميل مخففا ألم العباد بنعمة وصفير (ص246)

فقد تعددت العناصر التشبيهية بين ما هو مرتبط ببيان الهيئة والشكل (الأسد المزجر)، والغاية  
(ناصرًا...) وتكررت في البيت الثاني العناصر نفسها في (الطير الجميل) و(مخففا)؛ فضلا عن أن كل  
صورة استقلت بيان غرض معين، هو بيان الشكل والحال في البيت الأول، وبيان الصوت في البيت  
الثاني.

\* أن يكون التركيب التشبيهي مخالفا للسابق، قائما على الإجمال لا التفصيل، تحريضا للسامع على  
تفصيل وحداتها، طلبا لمشاركته في إنتاج الدلالة، نحو قوله:

يُفرطاً! كنت للرومان خصما وللشجعان شمسا لن تعطي (ص121)

فالإجمال واقع في اختزال عناصر التشبيه المفصل والمؤكد، والاقصنار على المشبه والمشبه به على  
مسيل التشبيه البليغ الوارد في كل شطر، ومن قيم التشبيه البليغ أنه يتضمن ادعاء من المتكلم على  
ذوال الفروق بين طرفي التشبيه وأن المشبه هو نفسه المشبه به، وفي ذلك حث للمخاطب أن يأخذ  
المعنى واضحا على وجه ادعائه بعد أن يقوم بعدد من العمليات الذهنية لتفصيل وحدات الصورة،  
وتحصيل هذا الادعاء:

وقد يكون الإجمال بغير اللجوء إلى التشبيه البليغ، ولكن بالسكوت عن وجه الشبه أو بعض ما يقتضي إيضاحه، نحو:

ت1- بُنيتِ على شفا وادي الرّمالِ كَأَنَّكَ عُشٌّ بازٍ في الجبالِ (ص57)

ت2- فيا لكم تأتون كالشمس غدوة فلم أستطع صبراً طويلاً للوعتي (ص213)

وذلك إعمالاً لذهن المخاطب، وإشارة لعملياته الذهنية، ليكون مشاركاً في دلالة الصورة ومغزاها، مما يجعل المعنى أقرب إليه وأوضح، وهو غرض التشبيه.

\* أن يلجأ الشاعر إلى التشبيه الضمني، لغرض إشراك المخاطب في إنتاج المعنى فيكون أقرب إلى نفسه؛ لا سيما وأن التشبيه الضمني يُراهن كثيراً على معرفة المخاطب وإدراك فحوى الصورة ومقصد المتكلم؛ فيقف على طرفي التشبيه استخلاصاً من البناء التشبيهي كاملاً، لأن المتكلم لا يصرح بهما، وإنما يجعلهما في الضمني من القول. إضافة إلى أن مثل هذا التشبيه يقوم على الاستدلال؛ حيث يورد المتكلم في جهة استخلاص المشبه به لفظاً من قبيل الحجّة ليكون مفتاحاً لاستخلاص الضمني وإدراك المعنى، وذلك نحو قوله:

وفي الدين أنتم والجزائر إخوة أمن يرضع الثديين يُضحى مناكراً؟ (ص87)

فلفظ الحجّة هو (أمن يرضع الثديين يضحى مناكراً) ودلالاتها موافقة لرأي المخاطب وجمهور الجماعة اللغوية لذلك تكون مفتاحاً له، لأن يستقرئ حدود الدلالة، بالمقارنة والاستدلال، وتلك غاية المتكلم من التعبير بالتشبيه الضمني.

\* أن يكون التركيب التشبيهي قائماً على بيان الهيئة وحال المشبه، نحو قوله:

والساحل الميمون عقدٌ ساحر والرمّل تَبْرٌ في الجنوب وحيدٌ

مَزْعَنَةٌ مثلُ القلادة وسطه حلت حماه كما يُحلى الجيدُ (ص180)

الفصل الثاني  
خصائص التركيب الحجاجي في "بوابات النور"

I- الوجوه الحجاجية في تركيب "بوابات النور".

II- مظاهر الاستدلال في التركيب الحجاجي.



تقوم مباحث الحجاج - نحو ما مر في الفصل الأول من الباب السابق - على صناعة اجدل أساسا، لذا يعتمد كثيرا من مبادئ المنطق والفلسفة والبلاغة. ومن أبرز ما يهتم به معالجة المشكلات الكلامية، وكيفية عرض الحجج وبيانها. وغايته استماله المتلقي لما يُعرض عليه، وإذعان العقول لما تلقاه. وكثيرا ما يلجأ المتكلم إلى وسائل مختلفة للزيادة في درجة الإذعان، والتأثير في عواطف المتلقي ووجدالاته.

ولا يُعدّم الشعر - بعدّه نصا تعبيريا - هذا المفهوم للحجاج، إن لم يكن يقوم عليه أساسا؛ فهو أداء كلامي يعتمد ضروريا من الصناعة الفنية للتعبير عن آراء الشاعر ومواقفه من جهة، ويجنح إلى التأثير في السامع أو القارئ، وتعديل سلوكه اتجاه ما يسمعه من جهة أخرى. بل إن قصيدة ما تخضع إلى العديد من العمليات الذهنية لدى المتكلم، والعدولات المختلفة التي يجربها الشاعر، وهو يقرب أحوال فكره مع أحوال متلقيه، مما يسمّنها بالحجاجية لجرد أنها نص شعري. وهذا ما زكّد حاجة الشعر إلى دراسة مظاهر الحجاج فيه.

والحجاج الذي يعني هذا الفصل هو حجاج لساني يحث، على نحو ما شرّحه (ديكر)<sup>(1)</sup>؛ حيث يجتهد هذا الفصل في استقراء تباين التراكيب الذي يسمح بإذعان المتلقي، ودغدغة عواطفه استنفارا وإثارة، وهو أحد ضربي الحجاج التي صنّفها بيرلمان وتيتيكا.<sup>(2)</sup>

وفي ديوان "بوابات النور" كثير من التراكيب التي تتسم بملامح حجاجية؛ تعكس ما يعتمل في ذهن الشاعر، والغرض الذي يتوخاه لدى سامعيه؛ حيث إن نظرة شاملة لمجموع قصائده تكشف عما يرتبط بالشاعر بعدّه متكلم، ومرزيا<sup>(3)</sup>، بل إن من القصائد ما يمثل مشاهد حية في التربة والتعليم. وتكشف أيضا تصويرا حيا للواقع الذي عاشه الشاعر بكل تفاصيله، بتعبير يكاد يقترب من الكلام العادي في العديد من المواضيع، فضلا عن أنه يذكر لكل قصيدة مناسبتها ومكان نظمها وريحه. وهذا ما يجعل شعر ابن القاضي من هذه الناحية مناسباً للدراسة التداولية في عموم مباحثها.

(1) ينظر: D.Maingueneau : aborder la linguistique, p47.

(2) Perlman et Tyteca: traité de l'argumentation, p01. - قلا عن: عبدلّ صولة: الحجاج في القرآن، ص32.

(3) وقد قضى فترة من حياته غر بسيرة في التربة والتعليم.

## I - الوجوه الحجاجية في بوابات النور:

يتناول هذا المبحث تراكيب الديوان من حيث انتظام وحداتها فيما بينها لتشكيل تركيبها موحدًا، ومن حيث العلاقات الناشئة بين التراكيب فيما بينها.

ولعل أهم ما يميز تراكيب ابن القاضي في ديوانه لا يختلف عن خصائص التركيب اللغوي عموماً كأن تضاف إليه وحدات إضافية (فضلة) أو تحذف وحدات أساسية منه. وإن اثنى بتراكيب أخرى يأخذ أشكالاً مختلفة للدلالة. كل ذلك بحسب تعدد المقامات التي تستخدم فيها.

لكن اللافت للنظر في تراكيب ابن القاضي هو هيمنة أشكال محددة للزيادة أو الحذف، وارتباطها بوظائف تداولية مختلفة؛ فزيادة أدوات التوكيد مثلاً مرتبطة بحال السامع وما يقتضيه أمام لتقوية الكلام وتأكيده.

وحذف شيء مما يقتضيه التركيب، - وإن كان لا يؤثر في المعنى (نحو: من الطارق؟ زيد) (حذف الطارق) - فإن له زيادة في الدلالة العامة، وإضافة في القيمة الإبلافية للتركيب على مستوى تداوله. مما يتوخاه المتكلم، ويرغب في حصول غرضه لدى السامع.

وفيما يلي بعض من وجوه الزيادة والحذف في الديوان، بأبعادهما الحجاجية ووظائفها التداولية العامة.

### I - الزيادة داخل التركيب لأبعاد حجاجية: لها في الديوان عدة أشكال:

أ- التوكيد: لا يخصص هذا المبحث كل أساليب التوكيد في الديوان، بقدر ما يقف على أهم ما يميز استخدامه ويجعله فاعلاً في التركيب الحجاجي. وهو في معناه إرسال خير ليس للمرة الأولى، نحو قول الزركشي: "إنما يُؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب ساجداً ألقى إليه الكلام خالياً من التأكيد، وإن كان متردداً فيه حسنٌ تقويته بمؤكد، وإن كان منكراً وسبباً تأكيده."<sup>(1)</sup> ذلك أن الأصل فيه يقوم على معرفة سابقة مشتركة بين المتكلم والسامع، على سبيل التوافق أو الاختلاف، فيلجأ المتكلم إلى الزيادة في التركيب، طلباً لتثبيت ما يريد في ذهن السامع وإزالة ما يعتقد من احتمالات؛ فمفهومه حجاجي أساساً. ومن أبعاده الحجاجية في الديوان:

- المخالفة: تكون حين يؤكد الشاعر حكماً مخالفاً لما يعتقد السامع، نحو قوله:

ت1- إنكم في غفلة فاستيقظوا  
وانفضوا عنكم غباراً شاملاً (ص47)

ت2- قل لعيسى وقل لموسى أهذا الـرد أم هكذا تجار الرفاق

(1) الزركشي: لرهان في علوم القرآن ج2 ص390.

إن قوما على القرابة جاروا وأراقوا من الدما ما أراقوا (ص54)

ت3- قل لابن صهيون اغتررت فلا تجر إن ابن يعرب ناهض للثار

إن القنيطرة التي هدمتها ستعود يوما بهجة الأمصار (ص79)

ت4- إن الجزائر للإسلام معتمد وللعروبة حصن ليس ينهار

إن الجزائر للأعداء مقبرة في كل عصر من التاريخ آثار (ص110)

كل من هذه الأحكام المؤكدة في الآيات هي أحكام مخالفة لما في ذهن السامع حيث ينبغي

الشاعر كل مرة اعتقاد مخاطبه، حسب النتائج:

ت1: إذن: ليس كما تعتقدون أنكم يقظون، ومدركون لما أنتم فيه.

ت2: إذن: لم يرع النصارى ولا اليهود حق قرابة المسلمين، كما هو في شرعة أنبيائهم.

ت3: إذن: لم تبق مدينة (القنيطرة) كما يعتقد مهدهما، ولكنها عمرت وصارت بهجة الأصار.

ت4: إذن: ما زال للإسلام وللعروبة مكان في الجزائر، على الرغم مما فعل الفرنسيون. ولم يعد

الجزائر مستعمرة فرنسية كما اعتقد الكثيرون، ولكنها صارت مقبرة لأعدائها.

إن ما يقدمه التوكيد في الآيات ليس ما هو موجود على مستوى الملفوظ (العبارة)، وإنما هو

نتيجة ذلك، وهو البعد الحجاجي للتوكيد، فالببيت (ت1) مثلا، لا يقرر حال الغف التي فيها

الجزائريون في الأربعينيات قبل الثورة (اعتمادا على تاريخ القصيدة)، بقدر ما يحتاجهم أن الحال التي

هم عليها من اعتقاد اليقظة والفطنة، ودراية الأمور، ومسالك أزمتهن، إنما هي حال من طعة، وعدهم

أن يتبها إلى ذلك، بناء على العطف الذي أردف به التوكيد (فاستيقظوا- وانفضوا).

وكذلك الشأن في سائر الآيات؛ حيث إن دلالة كل منها هي أكثر ارتباطا بتوجه التوكيد،

وذلك هو بعدها الحجاجي.

- التذكير: يحمل التوكيد شكلا حجاجيا آخر، حين لا يلغي الشاعر ما في ذهن مخاطبه بل يعمدا إلى

تذكيره بما يقتضيه ذلك الاعتقاد، وكأنه يبيح حكما على حكم، عكس البعد السابق، نحو قوله:

ت1- ألم تر أن السعد أقبل باسمي وأن مقاليد السعادة في يدي

ألم تر أن الكون أصبح جنة يروح بها طيف الجمال ويغتدي (ص49).

ت2- والشعب إن ثار يغني حرية فهو قنادر

إن الإله معين لكل من هو نائر (ص102).

ت3- ... وحنى من كل جيل عبرة إن في العبرة خيرا من للشباب (ص169).

ت4- لولا الشيبية في الحياة لأظلمت وتحطمت أزهار آمال الورى

إن الشبيبة بلسم لجراحنا تجلو الهموم إذا الزمان تكذرا (ص 171).  
ت5- أماه...

ما أنت ميتة ولكن حية إن الحياة لفاعل الحسنات (ص 243)  
تختلف دلالة التوكيد في هذه الأبيات عن الدلالة السابقة؛ لأن الشاعر (متكلما) يقبل اعتقاد المخاطب، لكنه يذكره بما يقتضيه اعتقاده، ليجعل ذلك حجة عليه. فهو في التركيب الأول يصف حال زائر أرض النبي -صلى الله عليه وسلم- حين يرى السعادة مقلبة، والكون جنة، هو ما يدعو إلى التمسك بإيمانه والأخذ بسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- إذا حصل له هذا الاطمئنان، ورأى هذه الفيوض.

وفي التركيب الثاني تذكير للشعب الذي ثار طالبا الحرية (القصيدة في 1956) بأن ذلك ليس بيديا، وأنه سيحقق مبتغاه (وهذه هي نتيجة الحجاج في التركيب) ما دام الله معينا له. ونحوه، في التركيب الأخير؛ حيث ينبغي لمن يؤمن بأن الحياة الحققة هي لمن يدب الصالحات بأن يعمل هو صالحا، وذلك هو البعد الحجاجي لهذا التركيب. والملاحظ أن المخاطب بالتوكيد في هذه الحال لا يستطيع معارضته، خلافا سابقا؛ حيث يستطيع أن يدي عدم موافقته على مذهب المتكلم، لكنه في هذا التوكيد يكون أقرب من أن يدب للمتكلم ويقبل حجته.

- التضمين: يتضح مفهوم التضمين في التوكيد، حين يكون بين الكلام المؤكد وبين ما يفهمه السامع فكرة أخرى مشتركة بينهما، وهي المقصودة بهذا التوكيد، كأن تقول لمن يخاطب آياه بغلظا إنه أبوك، فيستنتج الإبن أن من حق الأب أن يخاطب بأدب. ولهذا التضمين أهمية كبيرة في نجاح التواصل، إذ يرجع عبد الله صولة "فشل كثير من عمال الكلام الضمنية في المحادثات اليومية (...). إلى عدم تقاسم المتخاطبين في الغالب مفهوما دليا واحدا من الكلام الدائر بينهما."<sup>(1)</sup> ومن شواهد في الديوان:

ت1- إن فجر الحرية اليوم قد لاح ولاحت من بشـره الأنوار (ص 99).

ت2- يا بنت...

ت3- إن اجتهادك في العلوم فضيلة هي عندنا للبنـت أجمل غار (ص 167)

ت3- فشكرا لمن ثاروا بشهر نغمير وتبا لمن جاروا وعاثوا وحرقوا

(1) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، ص 328.

فقد بقيت حرب عوان نشنها على الجهل، إن الجهل يا قوم مطبق (ص173).

ت4- إن التوسط في الأمور فضيلة فاحذر من الإفراط فهو مبيد (ص181).

في كل من هذه التراكيب تضمين، حسب الترتيب:

ت1- إذا ما جعلنا البيت في سياقه، وهو حال الثورة والجزائريين بعد عامين من اندلاعها، يكون تضمين التوكيد هو: أن نواصل الكفاح، ما دام فجر الحرية قد لاح. وهو المعرفة المشتركة بين المتكلم (الشاعر) وسامعه.

ت2- على البنت أن تجتهد في طلب العلوم، ما دام ذلك من الفضائل، وهذا مما يبعده الناس، ويتفقون على قبوله.

ت3- مما يشترك فيه الشاعر مع مخاطبيه أن يحارب الجهل، وما دام مطبقا (بالتوكيد الحاد لـ)، فينبغي محاربه. وهذا أيضا ليس محل خلاف بينه وبين مخاطبيه. ومن أساليب تقوية التوكيد في التركيب، وروده استئنافا، لما في ذلك من شد للمخاطب، وتجديد لانتباهه، وكأنه مقام جد. للخطاب والحديث.

ب- العطف: من دلالات العطف في التركيب اللغوي الإشتراك في الحكم؛ حيث يُبنى المعطوف على منزلة المعطوف عليه، باستخدام أحد حروف العطف المعروفة.

ولهذا الترتيل بعد حجاجي، كأن يقصد المتكلم إزالة اعتقاد مخاطبه المخالف للإشتراك في الحكم، أو أن يؤكد بالعطف عدم صحة شكوكه بشأن ذلك، مما يجعله يكتسب شيئا من دلالات التقوية والإلحاح، ومن أشكال تراكيبه في الديوان:

- عطف الخاص على العام: نحو قوله:

ت1- وصعدنا لجهادٍ ولغانا الله أكبرُ

ونشيد وطني بين أوراس وجرجرُ

وهضاب عاليات وصحارانا وهقرُ (ص77)

ت2- يا شعب كنتَ عزيزا ليس يقهره ضرب من العلج أو خطب من النوب

فكيف أصبحتَ بعد العز مجزرة للنائبات، وللأرماع، والقضب (ص8)

ت3- فشكرا لمن ثاروا بشهر نغميسر وتبا لمن جاروا وعاثوا وحرقوا (ص13)

توضح القيمة الحجاجية للعطف في التركيب الأول في (... وهقر) وهو خاص؛ حيث عطف على (صحارانا) وهو عام.. وكان هناك إلحاحا وتخصيصا للهقار دون غيره من الصحارى. ومن ناحية ثانية، فقد ذكر الهقار مرتين؛ مرة ضمن المدلول العام للصحارى ومرة حين ذكر تصريحا، وفي هذا

تخصيص للمعطوف دون غيره مما يشمله المعطوف عليه، بإيعاز من الشاعر(المتكلم) الذي يوجه اهتمام مخاطبه إلى هذا المعطوف عليه أكثر من غيره..

وفي التركيب الثاني عطف (الأرماح والقضب) وهو خاص على(النائبات) ذي الدلالة العامة، للغرض نفسه، إلحاحا على الاهتمام والتخصيص، وحرصا على أن يكتفي السامع بذلك. فما يمكن أن يفعله ذكر (الأرماح والقضب) في نفس المخاطب، غير ما يفعله (النائبات) لقرب الاستخدام الأول من معنى الشدة، واتصاله بها مباشرة، خلافا لـ(النائبات). وفي هذا دليل على أن يرضى المخاطب بالحكم المذكور.

وكذلك في التركيب الثالث، حين عطف (حرقوا) على (جاروا وعاثوا)، وهو جزء من عا، فضلا عن أنه أعلى درجات الجور والعيث.

- عطف العام على الخاص: خلافا للسابق؛ يذهب فيه المتكلم بسامعه إلى أبعد ما يتوقع، ويوسع من دائرة الحكم، طلبا لاقتناعه والتأثير فيه، ومن شواهده:

ت1- وإذا باللحون يرسلها البلبل والعندليب والأوراق

والغصون التي يكللها الزهر ويبيدي جمالها الإيسراق (ص51)

ت2- يا أيها الفصل الجميل أجتتنا بـنضارة وترنم وعطور؟

وبعزف أنسام الصباح وطبيها وشذى الروود ونغمة العصفور؟

وعمورد يروي الأمانى منعش وبمشهد يسي العقول نضير؟

وبيسمة الأمل الرضيع وبالمنى وبعيد أفرح وموسم نور؟

وبراحة بعد الشفاء وغبطة وسعادة وهناءة وحبور؟ (ص247)

من المعاني الحجاجية المستفعاة في هذين التركيبين أن يأخذ المتكلم مخاطبه من حال إلى أخرى،

ومن دليل قريب إلى آخر أبعد، وكأنه يتدرج به في مراحل الاستدلال، جلبا للإقناع والتأثير؛ فهو

في(ت1) مثلا عطف (الأوراق والغصون) وهي بصيغة الجمع أعم من (البلبل والعندليب)، فضلا عن

أنه عطف ما لم يختص بالحكم أصلا على من يختص به، وفي هذا تدرج بالمخاطب، وتوسيع للدائرة

التلقي لديه، مما يكون أدعى لقبول الدليل والاقناع به...

وكيف لا يقتنع وقد صارت أوراق الشجر جميعا هي والغصون ترسل اللحون، بعد العندليب

والبلبل.. وكان الشجرة كلها ترسل اللحن، لا من فوقها. وفي هذا التعميم دليل أقوى، يتصدى لمن

يرغب في مخالفة الحكم.

وتتضح صورة الاسترسال بالسامع والأخذ بيده رويدا رويدا إلى حد الاقتناع، في التركيب الثاني، حين يبدأ المتكلم في تعداد ما أتى به الربيع (عزف، طيب، شذى، نغمة، مورد، مشهد، بسمه، منى، عيد، موسم)، وفي هذا تدرج من خاص إلى عام: (عزف، ثم بسمه وموسم)، ويبلغ الاسترسال مداه في عطف (الراحة والسعادة) على كل ما سبق، وهي خلاصتها ونتيجتها جميعا، ولو كان ذكرها قبل هذا التفصيل، لكان السامع بحال أخرى غير هذه الحال، وموقف غير هذا الموقف.

- عطف التفصيل: نحو قوله:

|                                    |                                   |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| تلك الربوع شجيرة الآثـار           | تأ- يا أيها الفصل الجميل، أما ترى |
| وغيومه وبرعده الهـذار              | حل الشتاء بها وجار يبرده          |
| ساي العقول وخاطف الأـبصار (ص167)   | وثلوجه ورياحه ويرقـه              |
| أيام كانت له الأيام تبتسـم         | ت2- هناك قصر بدا لي بين أوديسة    |
| والريح تعبت والأغصان تستلم         | والسعد يلعب والآمال ضاحكة         |
| والشمل رغم صروف الدهر ملتئم (ص269) | والعيش في رغد والمجد في سعد       |

قد لا يختلف هذا العطف عن النوع الأول (عطف الخاص عن العام)، ففي الأول مثلا عطف (غيومه، رعد، ثلوجه، رياحه، برقه) على برده وهو عام؛ حيث ينبغي أن تتوفر بعض تلك الشروط على الأقل لحصول البرد، فضلا عن أنهما جميعا تشكل مدلول (الشتاء) العام المذكور قبل ذلك. ولكنه يكتسب بعدا آخر من هذا التفصيل؛ وهو استقصاء ما يمكن أن يشمله اللفظ العام وذكره كله. وفي ذلك إيعاز للمخاطب إلى الاقتناع التام بالحكم، وضمان حصول التأثير فيه. وهذا ما يتضح في التركيب الثاني حين يستقصي الشاعر أحوال (ابتسام الأيام) من (لمعان السعد) و(ضحك الآمال) و(عبت الريح) و(استلام الأغصان لعبتها) و(رغد العيش) و...

ج- النعت: يعدّ النعت أحد الأشكال الحجاجية أيضا في التركيب اللغوي، لأنه يرتبط بإرادة المتكلم إقناع مخاطبه، وتغيير الحكم الذي لديه، باللجوء إلى الوصف المذكور (المنعوت) ليتحقق في ذهنه ويعلق به، وكأنه بذلك يذكره مرتين على سبيل التكرار والتوكيد؛ مرة بما يحمله المنعوت، ومرة ثانية حين يتكرر في (النعت). ولا يلجأ المتكلم إلى هذه العملية الحجاجية التي يقتضيها النعت، إلا إذا كان في مقام الحديث ما يستدعي ذلك.

ولقد استخدم ابن القاضي النعت في ديوانه بهذا البعد الحجاجي في عدة مواضع، ومن أشكاله:

- النعت المطابق للمنعوت في المعنى: نحو قوله:

ت1- يا بني الإسلام يا أهل العـلا شيلوا مجدا طريفا فاضلا (ص47)



ت2- يا بنت...

إذ أنت مدرسة ليبتِ كامل متخبط في أشبع استعمار (ص167).

ت3- إن المعلم كالرسول، كلامه وحي، يُترل كالكتاب، مجيد (ص177).

يرد النعت في هذه التراكيب مفردا (باستثناء "يترل كالكتاب") لكنه يضيف على كل منها يمدا حجاجيا غرضه إقناع السامع والتأثير في مواقفه؛ ففي التركيب الأول نعت (مجدا) ب (طريقا، فاضلا) ليكرر في النعت ما يقصده في المنعوت، لكن بطريقة تغري السامع وتخطب وده (فالمجد طرف وفاضل..). وبذلك يكون قد كرر المجد بصفة من صفاته ليكون أدعى على الاقتناع.

ومثل ذلك، النعت الوارد في التركيب الثاني. أما في التركيب الثالث فقد عبر الشاعر بت (جملة) وآخر مفرد، لكن كلا منهما يطابق منوعته معنى: (وحي = يترل كالكتاب = مجيد)، وقوته التداولية هي تنويع التركيب بين حركة الفعل وثبات الاسم، مما يُعمل ذهن السامع ويشغله.

- النعت لإظهار حال المنعوت وبيانه: يختلف هذا النعت عن السابق في أن مجاله الدلالي أوسع لما يتضمنه من استدلالات وشروح يقتضيها المقام، وهو أكثر مدعاة إلى اقتناع السامع ورضوخه، ومن شواهد في الديوان قوله:

ت1- قسنطينة...

وحولك جنات دوان قطوفها وأطيافها تشدو وأغارها تجري (ص61)

ت2- خُطُّ للأحرار منهاج العلا بجهاد قَرَب اليوم المراما (ص93).

ت3- فأرانا غادة قدسيــــــــــــة فاقت الغيد جلالا واحتساما

زأها الله بحسن فاتــــــــــــن سجد الخلق لمرآه احتراما (ص94).

ت4- أقبلت (الحرية)...

يستحي من جمالها كل ورد فتح الليل وجهه للنهار (ص95).

ت5- إن الحمى من عهد آدم واحد من ذاقه منا سما وتعالــــــــــــى

يشدوا به الغدوات والأصــــــــــــالا فكأنه بين الحمائم طــــــــــــائر

تَكَسَّر المعالم بهجة وجمــــــــــــالا وكأنه بين الكواكب نجمــــــــــــة

تهدى النفوس من الزهور ســــــــــــلاا وكأنه بين النسائم نــــــــــــمة (ص97-98).

ورد النعت في كل هذه التراكيب جملة (على اختلاف بنائها)، وما يميزه في هذه الحالة أن تكرر معنى المنعوت يكون أوسع من مجال مدلوله المذكور؛ حيث تُحيل الجملة إلى دلالات أخرى، تجعل المخاطب يقبل بالحكم المذكور ويرضخ لموقف المتكلم؛ نحو التركيب الرابع الذي يصف فيه إقبال



الحرية في جمالها الزاهي، مما يعث الورد - كل الورد في طلعة صباحه، وهو أفضل أوقات جماله - على الاستحياء من جمالها. فهذا النعت الصورة، يكون أفضل ما يقدم لإقناع هذا السامع والذهاب به كل مذهب في تمن حال المنعوت ومشاهده.

د- القصر: يمكن أن يُعرّف القصر حجاجيا على أنه جنوح من المتكلم لتثبيت ما يريد في ذهن السامع، وتغيير ما يعتقد إذا كان مخالفا للحكم. لذلك فهو (المتكلم) يلجأ إلى الجملة الاسمية الابتدائية - والتي تعد تأكيدا من درجة أولى، كما مر سابقا - فيضيف إليها وحدات لغوية للغرض السابق: تأكيد مضاعف للحكم، وتغيير موقف السامع المخالف بشأنه، يقول السكاكي: "إن قصر لصفة على الموصوف وبالعكس، ليس إلا تأكيدا للحكم على تأكيد"<sup>(1)</sup>.

ومن أهم أنواع القصر المهيمنة على الديوان بهذا البعد الحجاجي، القصر الحقيقي الذي يلجأ إليه المتكلم حين يكون المخاطب يعتقد الشركة؛ - وقد مر بيانه - ومنه قوله:

- ت1- فرنسا! فرنسا! لا رعى الله عهدها      أظلت هلالا خالدا الذكر زاهرا  
... وما غيمها إلا سحابة صيفنا      سيصبح ذرات ويسقط عابرا (ص6)
- ت2- تشوقت حتى صار لي الشوق صاحبيا      وما الشوق إلا الجمر عند التهايه (ص1 2)
- ت3- فاستفيدوا وأفيدوا إننا      هذه الدنيا سراب في سراب (ص9 1)
- ت4- إنما الشدو والقريض صلاة      وخشوع فاحشعن مثل المهجود (ص7 2)

تشارك هذه التراكيب جميعا في أن الشاعر يرغب في تغيير ما في ذهن مخاطبه - كل - ليقنع بخلافه، وذلك هو بعدها الحجاجي؛ فهو في الأول مثلا، في قصيدة أنشدت في (1948)، سيف حمر المناضلين الجزائريين مما آلت إليه أمور الجزائر، ويكاد يقف على آراء بعض منهم، والتي أت توهم بأن فرنسا قدر يطول زواله، فيخالقهم في ذلك ليرسل حكما جديدا، هو أن فرنسا سببه سيف سرعان ما تنجلي. ولا يخفى ما يحدثه مثل هذا التغيير في الاعتقاد من تغيير في سلوك السامع ومواقفه. وذلك هو شأن التراكيب الأخرى؛ إذ تقوم جميعا على البعد الحجاجي نفسه.

هـ- التابع والتوالي: يعد التابع و التوالي شكلا من أشكال الإضافة في التراكيب، وه في الواقع رقي من العطف، لأنه يتم دون الروابط المعروفة. وينبغي أن يُهتم بالفرق بين القيمة التدرجية لجملة مو (زيد كرم وعطوف) وبين قيمة (زيد كرم عطوف)؛ حيث إن العطف في الأولى إشراك في الحكم، أما الثانية فتقوم على التابع لا العطف، والتابع إلحاق فائدة زائدة، وكأنها حجة أ ترى تجنح

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، ص291.

إلى التأثير في السامع، وجلب اقتناعه بإظهار حال جديدة للمحكوم عليه، وذلك ما يستفاد من أشكال  
التتابع التالية:

- تتابع الصفة والبدل، نحو قوله:

ت1- لبت نداءك أبطال كأنهمُ  
سارت إلى النصر أحناد مجندة  
أسد العرين على الأشبال قد غاروا  
مرد كهول شيوخ، كلهم ساروا (ص109)

ت2- قد انتصر الأبطال قبلا وحرروا

بلادها بما شعب أسير مطسوق (ص113)

- تتابع المتعلقات، نحو قوله:

يا بدر...

وتركتني فوق الثرى متمللا أرنو إليك، إلى الصباح، وأعتق (ص199)

- تتابع المتبدأ (المعرفة المشتركة بين الشاعر ومخاطبه):

سعى لإدراككم قوم بهم كلفوا  
الصابرون على الأيام حائرة (هم)  
وما استطاعوا فقالوا: السابقون هم!  
فما استكانوا ولا انقادوا ولا انهزموا  
لم يثنوا مثلما لم يثن العلىمُ  
العادلون وجل الناس قد ظلموا (د)  
المسرعون إلى خير ومغفرة (هم)  
العاملون على تأليف من قطعوا (هم)  
الصافحون لمن زلت به القسدمُ (هم) (ص270)

2- الزيادة بين التراكيب لأبعاد حجاجية: من أشكالها في الديوان:

أ- التكرار: يأخذ التكرار قيمته الحجاجية من حيث إن المتكلم يستخدمه حين يرغب تثبيت الحكم في نفس المخاطب وتقريره في قلبه. ولقد ورد في الديوان بهذا البعد الحجاجي، بعدة أوجه:

- تكرار لتعدد المخاطب المذكور، نحو قوله:

- |                                     |                                     |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| ت1- يا بني الإسلام يا أهل العــــلا | شيدوا مجدا طريفا فاضــــلا (ص47)    |
| ت2- سلام على ليبياتونس أختــــها    | سلام على الأردن والمغرب الحر        |
| ت3- كل من أخلص في حب الحمى          | سلام على أم القرى وعلى مصر (ص61)    |
| كل من خاض الوغى لا ينشــــي         | ورعى لله والشعب الذماما             |
| كل من ضحى بمــــال ودم              | وغدا يفتح الموت اقتحامــــا         |
|                                     | في سبيل المجد لا يرضى المناما (ص93) |

ويبدو أن التكرار في هذه التراكيب دعا إليه تعدد المخاطب في السياق نفسه، مما يفرض على

المتكلم (الشاعر) إبقاء الخطاب واحدا مع مخاطبين متعددين.

- تكرار الإحالة والإشهاد، نحو قوله:

- |                                       |   |
|---------------------------------------|---|
| ت1- ألم تر أن الكون أصبح جنــــة      | يروح بها طيف الجمال ويغــــتدي          |
| فمن كل غريد ومن كل ساجــــع           | ومن كل صداح ومن كل منشــــد             |
| ومن كل رقرق ومن كل سلســــل           | ومن كل شلال ومن كل مــــورد (ص49)       |
| ت2- جئت أرجو منك الشفاعة يومــــا     | أنت فيه على الورى إشــــراق             |
| جنت والوالدين والأهل والصــــحــــب،  | ومن هم إلى الشفاعة تاقــــوا (ص53)      |
| ت3- كم جاهدوا واستماتوا في القتال وكم | شتوا على الخضم غارات وما غاروا          |
| كم حلقت طائرات فوقهم ورمــــت         | مدمرات، لها الأطواد تنهــــار           |
| كم كافحوا ورضاص العلج منهمــــر       | ومدفع (المون) في الأثناء هــــدار (ص10) |

- تكرار لغرض الدعاء، نحو قوله:

- |                                 |                                     |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| ت1- وما خيب الرحمان قوما تعاونا | على البر والتقوى كما جاء في الذكر   |
| حنانك يا رحمان نصرك نستغــــي   | بجاه الذي أرسلت في ليلة القدر (ص72) |
| ت2- وما خيب الرحمان قوما تعاونا | على البر والتقوى بأصدق نية          |
| حنانك يا رحمان نصرك نرتجــــي   | بجاه الذي أرسلته للبرية (ص74)       |
| ت3- الله أكبر إن الحق منتصــــر | الله أكبر، ما للحق إدبــــار (ص110) |

- تكرر للمدح، نحو قوله:

- ت1- كم نساءٍ قد بلغن المنتهى  
كم شعوبٍ كم قرى كم دول  
ت2- إن المعلم كالرسول، كلامه  
إن المعلم في مقام أسوة  
إن المعلم...  
مد تمسكن بآيات الكتاب  
كم حضارات وآفاق رحاب (ص 169)  
وحي، يتزل كالكتاب، مجيد  
وأمومة، برُّ بنا، وودود  
..... (ص 177)

- تكرر للذم، نحو قوله:

- فرنسا! فرنسا! لا رعى الله عهدنا  
أظلت هلالا خالد الذكر زاهرا (ص 6).  
- تكرر لإبداء المسرة، نحو قوله:

- وأرانا سعة الكون الذي  
وَأَرَانَا غَادَةَ قَدْسِيَّةٍ  
كان بالأمس سجونا ورحاما  
فاقت الغيد جلالا واحتساما (ص 94).

ب- التقابل: يعد التقابل أحد أشكال استمالة المخاطب وإقناعه، ويتمثل في أن تعتري التركيب زيادة لغرض التفصيل، وإجابة رغبة السامع في الاستزادة. فيلجأ المتكلم إلى المقابلة بين تركيبه المتقبة؛ حيث يكون معنى التركيب فيها يقابل معنى الآخر، شرحا وتفصيلا، أو نقضا وتضادا، من أشكائه، في الديوان:

- التقابل بالشرح والتفصيل، نحو قوله:

- ت1- أو بعد النصير والتحريـر نيسقى حائرينا  
بين تعجيم وتعريب  
فهل نحن بليـنا  
أصبح الأمر مينا  
ت2- نحن الشباب كورد بات في لب  
والورد يهوي الندى إن بات في لب (ص 0)  
ت3- فاهض عساك تردّ مجددا فاحرا  
و تشيد آخر للجزائر أفخرا (ص 11)  
ت4- فما ذقت طعم الحزن عند اقترابكم  
ولا جرّعت نفسي كؤوس المشقة (ص 21)  
- التقابل بالعكس، نحو قوله:

- ت1- ولكنني أرضى بعيشٍ محسّر  
وإن كان ذاك العيش، مرا وجائرا (ص 8)  
ت2- يا شعبُ كنتَ على الأقبام مفتخرا  
بالعلم والمجد والأخلاق والأدب  
فكيف أصبحتَ بين الناس مسخرةً  
وحثة بين حب اللهو واللعب (ص 89)

جـ- **التعارض:** يكون حين يورد الشاعر تركيبين متعاقبين أو أكثر، لكن هذا التعاقب يقوم على معارضة التركيب اللاحق للسابق، وهذا إيضاحاً للحكم المراد، وتأكيداً لموقفه، وتأثيراً على السامع. ومن قوله:

- 1- كل من لم يتعربُ      سيذق أسر التعربُ  
وسيمكث أجنبياً      وهو من أبناء يعربُ  
كيف يرضى بهوان      وهو شيل ابن أغلبُ (ص75)  
2- يا بدرُ مالك في الفضا تتألق      ونسيت من فوق الثرى يتشوق؟ (ص199)  
3- قد كنتَ أفراحاً لها ورجاءها      أين الرجاء الآن والأفراح؟ (ص240)  
4- ألا يا عيد كنتَ لنا رفيقاً      ومن أوفى الأحبة والصحاب  
فأين تركت أزهار الأمانى      أفي الجنات أم تحت التراب (ص268)

د- **الإدخال:** هو أحد خصائص التركيب في ديوان ابن القاضي، ويتمثل في أن يورد تركيباً ما، ثم يدخل عليه تركيباً آخر -على سبيل الاستئناف مثلاً- لكنه لا يفصل الحكم السابق أو يشرحه، بل يبدو منقطعاً عنه تركيباً، ويرتبط بالسياق العام للخطاب. وفي هذا، انتقال بالمخاطب من حال يُرجى إقناعه فيها، إلى حال أخرى تخدم هذا الإقناع، وتكون بمثابة حجة لذلك، وغالباً ما يكون مؤكداً بـ (إن) أو غيرها، وهنا يتضح البعد الحجاجي للإدخال. ومنه: الاستئناف، والاعتراض، وغيرهما، وفيما يلي شواهد ذلك:

- الإدخال بالاستئناف النحوي، نحو قوله:

- 1- قالوا بلادي سبأها العلج مكرهة      يا ويل من زعموا أن العرين سبي! (ص91)  
2- أيها الطالب...  
واركب الصعب لإدراك السمى      إن إدراك المسمى بعد العذاب  
... وامش في الأقطار وانظر ما جرى      إن في الأسفار تكوين الشبـاب (ص169).  
3- فقد بقيت حرب عوان نشئها      على الجهل، إن الجهل يا قوم مطبق (ص173).  
4- سارع إلى الغفران واعمل صالحاً      إن الحياة مجالها محـدود (ص179).  
5- أرسل معي تلك اللحون ونح معي      إن النواح على الرفاق مباح (ص239).  
6- ما أنت ميتة ولكن حية      إن الحياة لفاعل الحسنات (ص243).  
7- ومتى أفاد الدمع يوماً معشراً      إن الدموع وسيلة الضعفاء (ص255).

- الإدخال بالاعتراض، نحو قوله:

- ت1- وما كان حب المخلصين مدنساً  
ت2- فماذا أرى، إن الفصول تغيرت  
ت3- لست أدري -رحمكم خيروني-  
ت4- أطاعكم -يا بني القاضي وقد حلفا
- ولا مغرضاً بل كان -يا شعر- طاهراً (ص85)  
ربيعاً بفصل الصيف حقق منيبي (ص175)  
أشعوري أم روح عبد الحميد (ص233)  
ألا يطيعا معا-، السيف والقلم (ص270)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

### 3- تنوع التراكيب لأبعاد حجاجية:

من خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور، أن ينتقل الشاعر من شكل تعبيرى إلى آخر يختلف عنه تماما، وربما كان عكسا له. ومن ذلك: التقديم والتأخير، الانتقال من التعبير بالفعل إلى التعبير بالاسم، والعكس، الانتقال من الخبر إلى الإنشاء، الالتفات... وغيرها.

ويتسم كل من هذه الظواهر بأبعاده الحجاجية، من حيث إن الشاعر (المتكلم) يلجأ إلى التغيير بين التراكيب، ليأتي سامعه من مداخل عدة، مما يجعله أدعى إلى الإقناع، وأكثر تأثيرا وتغييرا في مواقفه المخالفة لموضوع الحديث. إنه بذلك يعدد حالات الحديث ومناسباته، وينوع مقاماته، وفي هذا التنوع حاجة للسامع، ويرغب من خلالها المتكلم أن يقيم حجته عليه، ويدحض محاولات ردوده، وما عليه إلا الإذعان بعد ذلك. وفيما يلي عرض لأهم هذه الخصائص، مع شواهدا في الديوان:

أ- التقديم والتأخير: لقد سبق الحديث عن القيمة الإبلغية التي تكتنف ظاهرة تقديم التراكيب وتأخيرها، وما يمكن أن تُحدثه من وقع على السامع، بحسب الأغراض التي تتوخاها والسياقات التي تُورد فيها. ومن أشكاله في الديوان:

- الاهتمام بأمر المتقدم، نحو قوله:

- |                                 |                                  |
|---------------------------------|----------------------------------|
| ت1- دع الحزن يا شحورور عنك وغرد | وأرسل معي لحن السرور وردد (ص49)  |
| ت2- تروح الناس والعربات فيسه    | وتغدو مثل أسرار النمال           |
| وباللُّور التي في الليل تبدو    | نوافذها تلالاً كسال لألسي (ص57)  |
| ت3- إن الجزائر للإسلام معتمد    | وللعروبة حصن ليس ينهار           |
| إن الجزائر للأعداد مقبسة        | في كل عصر من التاريخ آثار (ص110) |
| ت4- يا تلمسان...                |                                  |

حنة أنت في الوجود وسكا نك قوم ذوو حجي وخصال (ص184).

يهتم الشاعر في كل من هذه التراكيب بأمر المتقدم، ليوجه عناية سامعه إليه، ولثبوقه على القيمة الحجاجية التي يكسبها بذلك، وكأنه يقول في (ت1) أن الشحورور لا ينبغي له أن يحزن، وهو الأصل. لذلك آخر متعلقات الفعل (دع)، وهي شبه الجملة (عنك)، وقدم ما حقه التأخير (الحزن يا شحورور) طلبا لاهتمام السامع. ومن ناحية ثانية، فإن الشاعر قلما يبدو في الديوان بما يبدو به في هذه القصيدة، التي يصف فيها أرض النبي -صلى الله عليه وسلم-. لذلك فإن الشحورور كان الأولى أن يشارك الشاعر فيما هو فيه، ويترك أحزانه.

وفي (ت2) يصف مدينة قسنطينة بجسرهما الذي تروح الناس والعربات فيه؛ بتقدم (الناس والعربات) عن متعلقات الفعل (فيه)، وعطف ما لا يعقل على ما يعقل، بيانا لتداخل الحركة في الجسر وكتافتها، فصارت تبدو أكثر ما يبدو الجسر، لذلك اهتم بتقديمها وأخر ما يحيل عليه، طلبا لإقناع السامع بما يذهب إليه.

... بيان الحال وإظهاره، نحو قوله:

- ت1- وذى الطير فوَّقه حائمات شاديات، وذى الجياد العتاق (ص51)  
 ت2- من فؤادي أهدي إليكم هدية من بلادي الجزائر العريسه (ص67)  
 ت3- وتبقى كما كانت بعهد أمية منارتنا في الفن والنثر والشعر (ص72)

في التراكيب قدم ما حقه التأخير لبيان الحال وشرحه، حتى يكون أفيد للمخاطب، وأجلب لاقتناعه. وفي كل منها عرض للحكم في شكل تصويري، نحو (فوقه حائمات، من فؤادي أهدي،...) لاهتمامه بذكر الموضوع قبل الحدث، وفي هذا ترتيب منطقي لعناصر التركيب من الناحية الدلالية، يجعل السامع لا يشك في مذهب الشاعر ولا فيما يعرضه.

- مراعاة الترتيب في نظم الكلام، نحو قوله:

- ت1- فبقيت وحدي الآن بعد فراقها من آهة لكآبة تتوالى (ص97).  
 ت2- يا بنات الخيال رحماك عودي من ربوع الجمال ثم أعيدي (ص236).

يظهر اهتمام الشاعر بمراعاة ترتيب نظم الكلام وتأليفه في (ت1) حين قدم الاسم عن الفعل، والمقام يقتضي التعبير بالفعل - (تتوالى من آهة لكآبة)، فقدم المتعلق وآخر الفعل لأن الشاعر لم يعد يعنيه أمره في (تتوالى)، بل إنه لا يبصر غير آهة تعقبها كآبة، مما يصف المشهد بالكثافة. فضلا عن الترتيب المنطقي بين (آهة) و(كآبة) إذ الأولى قبل الثانية عادة. وفي كل هذا محاجة لآراء السامع التي قد تعتقد غير ذلك أو تشك في الحكم، مما يجعله يُعدّل منها أو يغيرها، بناء على الأبعاد المذكورة للتقدم والتأخير. وكذلك في (ت2) حين قدم (رحماك) وحقه التأخير في التركيب، لكن هذا التقدم مناسب لمعاني الشاعر وترتيبها في نفسه؛ حيث إنه في حال يقتضي تقدم الدعاء (رحماك) ثم الطلب (عودي)، وهو أجلب للإقناع.

ب- الانتقال من الاسم إلى الفعل أو العكس: من شواهد في الديوان:

- من الاسم إلى الفعل، في قوله:

- رباه! يكفني بلادي اليوم ما لقيت إذ كل ما لقيت لم يحص بالكتب  
 الشعر والرسم والألحان قد عجزت وضاق بالوصف ذرعا أبلغ الخطب (ص91)



- من الفعل إلى الاسم، نحو قوله:

ت1- جاءه الظبي مطمئنا وصلى فكأن الظباء وهو، رفاق (ص52)

ت2- فلقد سالت دماء ودموع يا سماء

أين أمطارك منها طاولتها الشهداء (ص75)

ت3- علت ضجة فارتاعت الأرض والسما يتامى... فمن صان اليتامى مناصرا؟

ورددت الأرجاء في الليل زفرة أيامى... فمن صان الأيامى الحرثرا؟ (ص87)

ت4- يا أيها النشء...

وانظر إلى الجوزاء علك ترتقي وتعود منها بالنجاح مظفرا

الشعب منتظر لسعيك فانتهاز فرص الشبيبة قبل أن تتقهقرا (ص171)

إن الانتقال من الاسم إلى الفعل أو العكس، يعد انتقالا بالسامع أيضا من حال إلى أخرى، ومن دلالة إلى أخرى، مما يبعث على تغيير موافقه أو تعديلها. كما أن هذا الانتقال يعكس توضُّع المعاني في نفس المتكلم وترتيبها، نحو (ت3)؛ حين انتقل من (علت - رددت) إلى (يتامى، أيامى) وهو انتقال من المتحرك إلى الثابت، ودعوة إلى انتباه السامع إلى المنتقل إليه، لذلك عبر بالاسم تشبيها له واهتماما به.

ج- الالتفات: لقد سبق الحديث عن الالتفات ومآثره في التراكيب، وهو أحد الأساليب التي ترتبط بالسامع ومجادلة آرائه بالانتقال من مخاطب إلى آخر، ومن أسلوب إلى أسلوب. ومن أشكاله في الديوان:

- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، نحو قوله:

ت1- كذاك يرى الدنيا الذي طاف عبدا بكعبة رب العالمين الموحّد

أبا الروح عبر عن عواطفك التي تحس بها بعد الطواف الممجّد (ص50)

ت2- فلقد سالت دماء ودموع يا سماء

أين أمطارك منها طاولتها الشهداء (ص75)

ت3- وجنى من كل جيل عيرة إن في العيرة خيرا للشباب

فاستفيدوا وأفيدوا إنما هذه الدنيا سراب في سراب (ص169)

ت4- فكيف يُنكر فضلٌ بعدما اعترفت به لهم من سناه العرب والعجم

ليهنكم يا بني القاضي وحسبكم أن الفخار لكم والعز والذمسم (ص270)

يعد نقل التركيب من الغيبة إلى الخطاب، استحضارا للتواصل الحي؛ بحيث يتوخى المتكلم أن يتجه بشكل مباشر بخطابه إلى السامع، ولذلك يعدل عن الغيبة إلى الحضور، نحو (ت3) مثلا، فبإمكان السامع أن يستفيد دلالة الخير (وجنى من كل جيل...)، وبإمكانه أيضا أن يدرك قصد المتكلم، ولكن المتكلم يشك في ذلك. ودحضا لهذا الشك، ينتقل إلى طريقة أكثر مباشرة في الإبلاغ، وهي أن يتحدث خطاباً إلى سامعه، وتلك هي القيمة الحجاجية لهذا الالتفات.

- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، نحو قوله:

- ت1- دمشق، وكم من شاعر قبلنا انبرى  
يجلك يا مهد الحضارة والفخسر  
قد احتضنت من قبل أجدادنا الألى  
بعهد الأمير الشهم ثاروا على الكفر (ص71)
- ت2- واترك الذكرى تعالج سقمه  
فلقد صار من السقم حطاما  
بات يرجو نسمة العيد كمن  
بات يرجو العاشق الصب النساما (ص93)
- ت3- وطيروا إلى تلك الكواكب في الفضاء  
فقد سار ركب العلم يا قوم فالحقوا  
وعشتم جميعا للمفاخر والعلا  
عسلى جمعكم غيث السلامة يهرق (ص174)
- ت4- أعندك قلب فيه عطف ورحمة  
يسحن إلى قلب أسير عذابه؟  
أعندك...؟ ويحي قد علا النكر وجهه  
وعهدي بذاك الوجه أن لا يرى به (ص262)

يخالف الالتفات الوارد في هذه التراكيب الشكل المذكور سابقا؛ حيث يتم الانتقال من الخطاب، وحديث الشاهد إلى الغيبة. وقد ورد ذكر هذا الالتفات لدى ابن الأثير، وسماه الإخبار بالماضي عن المستقبل، وهو أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل<sup>(1)</sup>، ويكتسي هذا البعد الحجاجي، حين يرغب المتكلم في إثبات ما يذكره وتحقيقه، بل إنه ينطق به في صورته الثابتة المتحققة، ولن يتأثر له ذلك بغير الماضي، نحو (ت3)، ومثلها بقية الشواهد؛ فإن الشاعر بعد أن وجه ونصح، وأمر الشباب -على سبيل النصح- بأن يطير إلى الكواكب مسaire لركب الحضارة والعلوم، عدل عن مواصلة ذلك بأسلوب الأمر المباشر إلى أسلوب مخالف تماما، أسلوب إخباري بالفعل الماضي تحقيقا للعيش المأمول، والهدف المنشود وتقوية لحضوره والشعور به، ومع أن هذا لم يحصل بعده، لكن الشاعر عبر بما يدل على تحقيقه ليكون أقرب إلى السامع وأفيد له، وأجلب إلى اقتناعه بما يدعو إليه، ولو تفاؤلا.

إضافة إلى ما يحدنه هذا الانتقال من تطرية لنشاط السامع وإيقاظ للإصغاء لديه، وهو الغرض العام للالتفات، كما يذكره الزمخشري.<sup>(2)</sup>

(1) ينظر: ابن الأثير، اللؤلؤ السائر، ج1 ص12.

(2) ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج1 ص64.

- الالتفات من خطاب المفرد إلى خطاب الجمع، نحو قوله:

وأنت يا شعب قم بالواجبات ولا تترك شبابك في الأهوال والنصب  
إذ أنت جسم وجسم المرء قوته يحميه في هذه الدنيا من الحرب  
رحمكم وحدوا القوات وانتصروا للمجد، يا قوم! إن المجد في حسب (ص 10)

في هذا التركيب خطاب للشعب من قصيدة (اليوم عيد لنصر الدين والعرب) التي نظمها في (1951)، داعياً فيها إلى ضرورة توحيد الصفوف ونبذ الخلافات بين المناضلين الوطنيين؛ ويبدأ بالحديث إلى الشعب على أنه واحد (قم، لا تترك، أنت جسم)، لكنه سرعان ما يعدل عن ذلك إلى خطابه على أنه جمع (رحمكم، وحدوا، انتصروا). وكلا الخطابين جائز بالنسبة إلى الشعب؛ حيث يحتل المفرد كما الجمع، لكن اللطيف في هذا الالتفات أنه يعرف أن في هذا الشعب الخاطب في البداية (مفرداً) خلافات بين مناضليه، لذا - وليكون الإبلاغ موافقاً لأحوالهم المختلفة - ينتقل إلى الجمع، لأنهم لا يمثلون (واحد)، وهو ما ينبغي أن يكون. وهذا ما يدفع السامع إلى الاقتناع، والرضى بالحجة التي دعت المتكلم إلى هذا الالتفات؛ يسهم في التأثير فيه، وفي موافقه.

#### 4- الحذف في التراكيب لأبعاد حجائية: له في الديوان عدة أشكال:

أ- حذف (الفعل) لدلالة سياق الحال عليه، نحو قوله:

والله لو وضعوا في كفنا قمرا      أو أحت يوشع، أو ما كان من شهب  
أو من مناصب في الإجلال عالية      أو من جمال، ومن سحر، ومن نشب  
لما تركنا الحمى للعلاج محزرة      حتى إلى النصر أو حتى إلى التـرب! (ص 91)

يقع هذا الحذف في هذا التركيب، في الشطر الثاني من البيت الأخير، (حتى إلى النصر أو حتى إلى الترب) وتقديره: (حتى نصل أو ينتهي، وما شابه).

فلقد أقسم بأن لا يغادروا الحمى دون تحقيق النصر أو الاستشهاد دون ذلك. وفي الحذف تمكين للسامع من خيارات عدة يستطيع أن يقف عليها، مع أن هذه الخيارات تكاد تكون محددة بناء على سياق الخال العام الذي يؤدي فيه الحديث، وكأن التركيب وسياق أدائه كفيلا بأن يعددا هذا المحذوف. والعاية من حذفه أنه -وإن حذف- فهو معلوم، وهذا أبعث على الإقناع، وأدعى إلى التأثير.

ب- حذف المتبدأ لدلالة سياق الحال عليه: نحو قوله:

علت ضجة فارتاعت الأرض والسما:      يتامى... فمن صان اليتامى مناصرا؟

ورددت الأرجاء في الليل زفرة:      أيامى... فمن صان الأيامى الخرائرا؟ (ص 87)

يقع الحذف في الشطر الثاني من كل بيت، وتقديره: (هؤلاء يتامى، هؤلاء أيامى)، وإيراد التركيب بالمحذف أبلغ من الذكر؛ ذلك أن فيه إحالة على سياق أدائه، وكأنه في هذين التركيبين تعبير بالمشهد والصورة، لا باللغة.. لأنه يُحيل على واقع ملموس وفعلي: فالأرض والسماء علمتا أن الضجة العالية لليتامى، والأرجاء رددت ليلا زفرة مفادها أن هناك أيامى.. ويدعو الشاعر إلى الاهتمام بهما. ويتمثل البعد الحجائي لهذا الحذف في أن المتكلم -وإن حذف- فهو يحيل سامعه إلى خطاب آخر غير خطابه المنطوق، هو سياق الخال، وواقع أداء اللغة. وليس أبلغ من هذا، للتأثير فيه وإقناعه.

ج- حذف الخبر، لدلالة المذكور عليه: نحو قوله:

هذه الشاء قد آتته تحييه      وتلك الجمال والأنواق

وذي الطير فوقه حائمات      شاديات، وذي الجياد العتاق (ص 51)

نشأ الحذف في هذا التركيب من سياق القصيدة عموماً، لأنها مناجاة لله وتوسل برسوله في مناسبة المولد الشريف، وشكوى مما حل بالعرب والمسلمين والإنسانية جمعاء<sup>(1)</sup>. وهو موضوع تميّز في قسم كبير من القصيدة بانطلاق الشاعر، وسعيه في مدارج النور ورياضه، وانشراحات الدعاء وامتداداته.

والشاعر في هذه الحال لا يفصح بكل ما في نفسه لما هو فيه من انطلاق، بل كثيراً ما يسكت عن تراكيب وأجزاء منها، لدلالة الحال العامة عليها.. وكأنه في حال أخرى غير حال المتكلم اليقظ الذي يراعي ما يتطلبه السامع ومقام الخطاب، ويوزع عناصر التركيب بحسب مقتضيات التواصل.. لكنه بعيد عن هذه الحال إلى حال أخرى، يسرد فيها رواده. نحو ما يذكره في هذين البيتين من إحالات إلى معجزات الرسول -صلى الله عليه وسلم- من حديث الشاء، وحينئذ التوق،...

متجرداً من الاعتداد بالسامع وقواعد الخديث.. وهذا ما يكون دليلاً على تمكن ما يذهب إليه في نفسه، مما يجعله أكثر تمكناً في نفس سامعه وذلك هو بعده الحجاجي.

#### د- حذف (الضمير) للدلالة السابق عليه: نحو قوله:

|     |                               |   |
|-----|-------------------------------|---|
| ت1- | أخرجونا من الديار وجاروا      | بعدهما في أمر الجزائر حاروا               |
| ... | جعلونا مثني ثلاثي رباعسي      | ثم ساقوا (...) كأننا أبقار (ص99)          |
| ت2- | الصابرون على الأيام حائرة     | فما استكانوا ولا أنقادوا ولا اهزموا (...) |
|     | الثابتون أمام الريح إن عصفت   | لم يشنوا مثلما لم يشن العليم "            |
|     | المسرعون إلى خير ومغفرة (...) | العادلون وجل الناس قد ظلموا "             |
|     | العاملون على تأليف من قطعوا " | الصافحون لمن زلت به القدم "               |
|     | المحسنون وإن ضاقت معيشتهم "   | الكاظمون لعظ وهو يحتم "                   |
|     | التابعون بإحسان لسيرة من "    | ترجو شفاعته في حشرها الأمم " (ص270)       |

لا يختلف الحذف في هذين التركيبين، لا سيما في (ت1) عن الحذف السابق؛ حيث يمكن تقديره بناء على المذكور قبله. وهو تركيب يقوم على التوازي (أخرجونا، جعلونا، ساقوا -نا-)، ولا يحتاج السامع إلى إعمال فكر لمعرفة ذلك أو تقديره. لكن له وظيفة أخرى تداولية من خلال بعده الحجاجي الذي يتمثل في أن الشاعر يريد من سامعه أن يدرك حاله (ساقوا) وهي ثابتة الدلالة مثل (أخرجونا، جعلونا)، لما لها من إحالات اجتماعية وثقافية عدة.. لأن الأصل أن لا يساق الإنسان إلا تحت طائل

(1) ينظر: عبد القادر بن محمد بن القاضي: الديوان، ص55، الخاشية (1).

ما.. ولذلك حذف الضمير (نا) للدلالة السابق عليه (نحو يا)، وليهول مقام الإذلال والتحقير، ويشنع صنيع الفرنسيين؛ حيث ساقوا دون تمييز ولا احتساب، فضلا عما في السؤق ذاته من مكاره للمسؤق. ولا يسع السامع بعد إدراك هذا البعد إلا أن يتعاطف مع المتكلم فيما هو فيه، ويذهب مذهبه. أما في (ت2) فإن مجال الإحالة فيه يختلف عن (ت1)؛ حيث حذف الضمير (الخبر) للدلالة سياق الحال عليه.. والقصيدة وقفة من الشاعر بياتنة:

يا صاح قف لحظة مثلي بياتنة واذكر معي من حماهم ذلك الأطم (ص269)

ثم يعدد مناقبهم (السابقون هم)، وتؤدي وظيفة (المحور) في هذا التركيب؛ حيث تنبي عليها التراكيب الأخرى المسؤقة على التابع والتأكيد:

الصابرون (... هم، الثابتون (... هم، العادلون (... هم، العاملون (... هم، الصافحون (... هم، المحسنون (... هم، الكاظمون (... هم، التابعون (... هم.

فقد أورد كل هذه الصفات تابعا، تأكيدا للجملة المحور الأولى (السابقون هم)، ولن نجد السامع عناء في معرفة المحذوف وتقديره لأن له صلة سابقة بالخطاب، لكنه ينبغي أن يقف على دلالة ذلك، وقصد المتكلم منه؛ حيث إنه لا يريد لصفات رجالات باتنة أن تُنسب لهم مرة تلو أخرى، بل فضل أن يورد الموصوف بصفته مجردة من نسبتها إليه. وفي هذا مصادرة عما يتطلبه المقام من إيضاح للسامع، إلى ما يُكسب الموصوف دوام الصفة عليه وثبوتها فيه، وهذا ما يخرج السامع في تردده، ليأخذ الصفة على أنها أصل لا عارض (العادلون، الصافحون...).

هذا فضلا عن سكوت المتكلم عن الخبر (المحذوف) في كل حال، وهو في مقام تأكيد لفظي، يجعل السامع أمام خيارات عدة لتقدير الخبر، لكنه أمام معطيات سياق الحال، ودواعي المقام يدرك أنه خير واحد، وهذا ما يجعله يفضل خيار المتكلم عن خياراته التي يزوّجها. وهنا يكمن البعد المحاجي للتركيب.

هـ- حذف (التركيب) للدلالة المذكور عليه: نحو قوله:

|                                  |                             |
|----------------------------------|-----------------------------|
| بلحون تسحكي نحون العود           | بلبلا كانت "اسمهان" تعني    |
| حنين العشييق والمفؤود            | وهبوب النسيم إن حن في الليل |
| يناحي بمبكيات النشيد             | وخرير المياه والموج إن يسات |
| في صباها تميميس ميس الغيد        | وحفيف الغصون مهما تراءت     |
| وصدى النحل فوق تلك الورود (ص235) | ونشيد الطيور عند التنسائي   |

حذف الشاعر في الأبيات الموالية للبيت الأول جميعا تركيب (كانت)، والتقدير:

- بلبلا كانت استهان.

- وهبوب النسيم... كانت...

- وحرير المياه... كانت...

- وحفيف العصون... كانت...

- ونشيد الطيور... كانت... وصدى النحل... كانت...

ثما يجعل هذه التراكيب معطوفة على الأول، لكن النظرة التداولية للأبيات تكشف أن الشاعر انطلق في وصف المراثية (استهان)، وامتد به وصفه إلى هذه الموحودات (النسيم، المياه، الموج، العصون، الطيور، النحل) وما تُعرف به، ولذلك فهو يتبع تفصيل كل ذلك، ويُعقب بعضه بعضاً، دون معاودة ذكر التركيب الأول (كانت). وفي هذا مساوقة للسامع، وجر يُوقفه يسهل إقناعه والتأثير فيه.

و- الحذف على التشنيع: نحر قوله:

فشكرا لمن ناروا بشهر نغمير وتبا لمن جاروا وعاثوا وحرقوا (ص173)

للحذف في جاروا (على...)، وعاثوا (في...)، وحرقوا (كذا)، قيمة حجاجية، تتمثل في أن الشاعر سكت عن ذكر الشنيع من الفعل، وأنه مما لا ينبغي ذكره لشناعته، واكتفى بذكر الفعل الذي يُغني عن كل مفعول، تعميماً وتحويلاً وتشنيعاً.

إذ يكفي أن يُعرف الفعل ليحيل على قصد المتكلم وزيادة. وذلك هو البعد الحجاجي للحذف في هذا البيت؛ حيث يتيح للسامع أن يؤوّل ما يشاء من خيارات، وكل ذلك يبقى لصالح المتكلم وقصده وغرضه من الخطاب، فيكون أجلب للتأثير.

## II - مظاهر الاستدلال في التراكيب الحجاجية:

بعدَ موضوع الاستدلال أهم ما يميز الدرس الحجاجي؛ حيث يهتم بدراسة أدلة الحديث وكيفية بنائها وتوليدها. ويكاد يحضر في كل تركيب لغوي مفيد، لأن إنشاء الكلام ذاته قائم على مبدأ الاستدلال بنيةً ودلالة. ولقد عرض إلى ذلك - كما مر بيانه - السكاكي في شرح مراتب الكلام البليغ؛ حيث بين كيف يتدرج المتكلم من بنية إلى أخرى، ويعدل عن هذه إلى غيرها، توحياً للدلالة معينة، وإظهاراً للدليل في كلامه.

وإذا كان النص الشعري يهدف إلى إحداث الإعجاب في نفس السامع، والتأثير في آرائه ومواقفه، وثقافته، فإنه بهذه الأغراض لا يُعَدُّ مظاهر الاستدلال في بُناه ودلالاته. كما أنه لا يستغني عن بناء الحجج وسوقها، وتنظيم الأدلة وإحكامها، بعدّه كلاماً موجّهاً توجيهها صريحاً، بخلاف الكلام العادي الذي لا يبدو موجّهاً، وإن كان لا يخلو من توجيهات ضمنية، تجعله هو أيضاً لا يُعَدُّ المظاهر الحجاجية والاستدلالية.

### 1 - مراحل الاستدلال في التراكيب:

لقد أمكنت قراءة ديوان (بوابات النور) من رصد عدة تراكيب، تمثل شواهد لمراحل الاستدلال في النص الشعري لدى ابن القاضي، وشرح كيفية الانتقال من مستوى استدلال إلى آخر، وكيفية سوق الأدلة وتنظيمها، استناداً إلى ما قدمه السكاكي في (مراتب الكلام البليغ)؛ منها:

- قوله:

يا بني الإسلام يا أهل العلاء      شيدوا مجدداً طريفاً فاضلاً  
يا بني العرب ويا أهل النهى      حاربوا الجهل المهين القاتلاً  
إنكم في غفلة فاستيقظوا      وانفضوا عنكم غباراً شاملاً (ص 47)

يظهر الاستدلال في هذه الأبيات - وهي مطلع قصيدة نظمها الشاعر في نوفمبر 1945 - من خلال العرض التدريجي الذي توخاه الشاعر؛ حيث بدأ بتوجيه خطابه إلى بني الإسلام، وهو مبدأ الاشتراك الأوسع مع المخاطب، وهو حجة أيضاً عليه، ويكفي أن يسمع منه ذلك ليستجيب إلى طلبه وندائه. لأنه وصفه بما لا ينبغي إنكاره، أو نبذ ما يترتب عن الاتصاف به. ويطلب منه بناءً على هذا الوصف طلباً عاماً يبدو أكبر من الحال التي يحياها الجزائريون في تلك الفترة تحديداً؛ فلقد طلب تشييد مجد طريف فاضل؛ وهذه حجة تاريخية لا يستطيع السامع التملص منها، لا سيما وقد رُبِطت بدينه.

ثم يقلص من هذه الدائرة إلى نداء آخر (يا بني العرب) وهو نداء أخص من السابق، لكنه حجة أيضاً في مجاله الدلالي، ليطلب منه أخص من الطلب السابق (حاربوا الجهل المهين)، وربما كان هذا



الطلب أوضح من (تشديد المجد الطريف)، بل هو سبب له. ثم يقلص خطابه ضمئياً ويعدد مخاطبه بالحال التي هو فيها (إنكم في غفلة)، ومخاطبة السامع بحاله، حجة للفت انتباهه واستمالته، ليطلب منه (الاستيقاظ ونفض الغبار)، وهي دعوة للقيام بتغيير الأوضاع..

لقد كان من منطوق بناء الحجج أن تأخذ ترتيباً عكسياً؛ حسب البيان:

1- أيها الغافلون — استيقظوا وانفضوا الغبار.

2- يا بني العرب — حاربوا الجهل المهيمن.

3- يا بني الإسلام — شيدوا المجد الطريف.

ويكون تدرجه واضحاً من القريب إلى البعيد، وطلبه ممكن الحصول من الخاص إلى العام.. لكنه بهذا البناء المقلوب وانطلاقه من العام إلى الخاص، ومن البعيد إلى القريب، يكون قد استمال سامعه لأنه بدأ بالمشترك فيه والمتفق عليه (الانتماء إلى الإسلام)، والدعوة إلى المتأسف عليه (المجد الطريف). وإذا كان يطلب هذا، وهو ما هو، فقد لا يُعز على المخاطب إجابته إلى الطلب الأخير.. وهو النهوض لتغيير الأوضاع.

وقد يأخذ الانتقال في سوق الأدلة، شكلاً مخالفاً للسابق؛ حيث يحتفظ بالعرض من الجزء إلى الكل ومن الوصف القريب إلى البعيد، لكن المخاطب في هذه الحال يختلف عن السابق، والشاعر لا يتجه إليه من باب الأمر والطلب، ولكن من باب الشكوى والاستغاثة وعرض الحال، نحو قوله:

عذبونا وأرهقونا صعوداً وأذاقوا من الأذى ما أذاقوا

ضيقوا العيش يا نبيّ علينا فإذا العيش تحتهم لا يطاق

وإذا نحن يا محمد قوم قد صلاهم لميكه الإملاق

من عراة ومن حفاة عطاش وجياع وما لدينا رماق

وإذا نحن قد أقيمت لبيع السعروض منا والأنفس الأسواق (ص53)

لأن الشاعر في هذه التراكيب في مقام الشكوى وعرض الحال، وما آل إليه حال الجزائرين تحت نير الاستعمار من عذاب وأذى وضيق العيش والامتهان، لأن المقام كذلك، بُنيت أدلة الحال من القريب إلى البعيد، ومن الجزء إلى الكل، حسب الترتيب: 1- التعذيب والأذى. 2- ضيق العيش. 3- الإملاق.

4- شظف العيش (عراة، حفاة، عطاش، جياع). 5- بيع العرض والأنفس.

بتأمل هذه الأحوال، نلاحظ أنها مرتبة من الجزء إلى الكل؛ حيث يمكن أن تكون الحال

الأخيرة (بيع العرض والأنفس) شاملة لكل الأحوال السابقة؛ ذلك أن المتكلم بصدد عرض الحال إلى

حد نقل الصورة كاملة للسامع، وإقناعه بمدى تدي ظروف الجزائريين. فكان لزاماً أن يبيّن هذه الصورة مشهداً مشهداً، لتكامل بامتدادها الذي يحدده قصد المتكلم.

ومن الشواهد التي يُبني فيها الاستدلال من القريب إلى البعيد ومن الجزء إلى الكل، ما كتبه

في توجيه البنيت الجزائرية والطلاب الجزائري، سنتي 1953 و1954 يقول:

|                                 |                                   |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| ت1- يا بنتُ يا أمل البلاد تعلمي | وتسمي بلوامع الأنوار              |
| ليس الربيع ربيع فصل إنما        | هو بالعلوم وأنور الأفكار          |
| وبكل فن عبقرى ناطق              | بالرسم أو بروائع الأشعار          |
| إن اجتهادك في العلوم فضيلة      | هي عندنا للبنيت أحمل غار (ص167)   |
| ت2- واطلب العلم بما مجتهدنا     | واجتنب من ضل عن نوح الصواب        |
| واترك اللهو لأصحاب الخوى        | فلقد حــــرر ضم شر عقاب           |
| أيها الطالب قم تاج العلا        | فوق وجه الأرض أو فوق الشهاب       |
| واركب الصعب لإدراك المنى        | إن إدراك المنى بعد السعاب         |
| واجعل الأخلاق مفتاحاً فكم       | فتحت للمجد باباً إثــــر باب      |
| وامش في الأقطار وانظر ما جرى    | إن في الأسفار تكوين الشباب (ص169) |

يشارك هذان التركيبان في أن كلا منهما يقوم ببناء الاستدلال فيه من الجزء إلى الكل، ومن صلب الخاص إلى العام؛ لأن المقام يقتضي ذلك. لا سيما وأن الغرض من الخطاب في كليهما توجيهي تربوي، أساسه النصح والإرشاد؛ فقد نصح للبنيت بالتعلم، وأن تجعل تسمها قبسا من نوره، وربيعةا روائع فكره، لتحصل خا في الأخير تفضيلة وهي اجتهادها في طلبها.. ولا شك أن السامع لن يردد في الاقتناع بهذا البناء؛ وقد صار طريق التفضيلة واضحا لديه.

أما في (ت2)، فقد بُني الاستدلال فيه وفق المراتب التالية:

أيها الطالب: - قم، تاج العلا

- اركب الصعب لإدراك المنى.

- اجعل الأخلاق مفتاحاً

- وامش في الأقطار..

وبحسب هذا التركيب يكون الشاعر قد رسم للمخاطب (الطالب) سبيلا للنجاح، يبدأ بتحديد هدفه، ثم يصير على الشدائد ويتجاوز الصعاب، متحليا بالأخلاق لأنها مفتاح المجد.. وليسافر لطلب العلم، لما في الأسفار من فوائد جمة.

وخلاصة هذا البناء الاستدلالي أنه يقوم على استدراج السامع، ليأخذه من مرتبة كلامية إلى أخرى. ومن غرض بلاغي إلى آخر، ليحصل في الأخير اقتناعه واستماتته، وتلك هي غايته المحاجية. ومن نماذجه أيضاً، قوله:

|                                    |                           |
|------------------------------------|---------------------------|
| والجهد خصم للأنام لدود             | والعلم والإسلام شيء واحد  |
| وعيونهم للصالحين ورود              | والعلم ورد الصالحين مناله |
| جبل يقيها السيئات عتيد             | والدين حصن للجزائر حصن    |
| يندى الجبين وتقشعر جلود            | والعصر عصر موبقات كما ترى |
| وهوى التمتع في العباد يسود (ص 180) | والأصفر الرنان يطغى سائدا |

جملة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## 2- مظاهر الاستدلال وأشكاله في التراكيب:

تنوعت الأشكال الاستدلالية في تراكيب الديوان، وتعددت الحجج والأدلة المسوقة في كل مرة، بين استحضار النصوص القرآنية أو بعض الأحاديث الشريفة، أو النصوص الشعرية. وتمثل هذه النصوص قواسم مشتركة بين الشاعر (المتكلم) والسامع (القارئ)، لذلك فإن تضمينها في خطابه يمثل حججا، لها تأثيرها في نفس المخاطب لما تستمع به من مكانة في المنظومة الفكرية والاجتماعية، ولوظيفتها الإحالية التي تحملها؛ حيث إنها تحيل إلى شروط أخرى للتواصل ينبغي أن يخضع لها الطرفان؛ لا سيما النصوص الدينية.

أما النصوص الشعرية فإنها تحيل إلى المقولات المنفرد عليها في المنظومة الثقافية، والتي صارت تمثل موجّهات للسلوك الإنساني العام. ويحقق بها المتكلم هيمنة ما على مخاطبه حين استحضارها في حديثه. ومن مظاهر الاستدلال في ديوان ابن القاضي ما يلي:

أ- استحضار النص القرآني: كثيرة هي التراكيب التي تحيل إلى نصوص قرآنية، اقتباسا أو تضمينا وتلميحا. وهذا الاستخدام له وظيفتان تداوليتان:

- الأولى: إشارية شخصية: حيث تقدم صورة عن ثقافة الشاعر، ومنظومته المعرفية، وسنده الديني. الثانية: إحالية؛ حيث إنها تحيل إلى نص مشترك بين المتكلم (الشاعر) ومخاطبيه. وهي تُسهم في إقناعهم واستمالتهم إليه. ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: "سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا"<sup>(1)</sup>، في:

عذبونا وأرهبونا صعودا وأذاقوا من الأذى ما أذاقوا (ص53)

- قوله تعالى: "وتعاونوا على البرِّ والتقوى..."<sup>(2)</sup>، في:

وما حَيَّبَ الرَّحْمَانُ قَوْمًا تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى كَمَا جَاءَ فِي الذِّكْرِ (ص72)

- قوله تعالى: "وما قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ سُبُّهُ"<sup>(3)</sup>، في:

قتلوا الضاد وقالوا ليس في الموت جدال

إنهم ما قتلوه لا، ولا هم صلبوه

شبه الأمر وأنى لهم أن يقتلوه؟

نزل القرآن بالضاد فهلا عرفسوه؟ (ص76)

(1) المدثر/17

(2) المائدة/ بعض الآية 02.

(3) النساء/ بعض الآية 157.

- قوله تعالى: " نصرًا من الله وفتح قريبٌ وبشرِ المؤمنين " (1)، في:

(ص110)

نصر مبین وفتح لا مثیل له فلنحمد الله إن الله نصار

- قوله تعالى: " فأما ثمودُ فأهلكوا بالطاغيةِ وأما عادُ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ " (2) وقوله تعالى:

"فأتبعهم فرعونُ بجنوده فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم" (3) وقوله تعالى: " فأندرتكم نارا تَلظي " (4)، في:

فأين عاد و ثمود؟

قد أهلكوا بالطاغية !

وأرسل الله عليهم صرصرًا.

وأين فرعون وحواله جنود؟

قد أغرقوا جميعهم في البحر !

وسوف يصلون جحيم الجمر !

نارا تَلظي حامية !

وانتم أيها العادون !

(ص126)

سلالة "الغول"، أما تعتبرون؟

- قوله تعالى: " اقرأ باسم ربك الذي خلق " (5)، في:

(ص178)

اقرأ محمد! باسم ربك آية أوحى بها الرحمان وهو رشيد

- قوله تعالى: " يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً " (6)، في:

هذب طباعك واستقم كمحمد وقرأ لعلك بالصلاح تجود

(ص179)

وخذ الكتاب بقوة وعزيمة طلب العلوم مع الكرى مردود

(ص256)

وفي: كن صابرا و"خذ الكتاب بقوة" وابتعد عن الأشرار والخبساء

- قوله تعالى: " يومَ يقولُ لجهنم هلِ امتلأتِ وتقولُ هل من مزيد " (7)، في وصفه صوت السهمان:

كلما مزق السكون بكت روجي ونادى الغواد هل من مزيد؟ (ص236)

(1) الصف/ بعض الآية 13.

(2) الحاقة/ 6.

(3) طه/ بعض الآية 78.

(4) الليل/ 14.

(5) العلق/ 01.

(6) مريم/ 12.

(7) ق/ 30.

- قوله تعالى: "والتين والزيتون"<sup>(1)</sup> و" والنخلَ باسقاتٍ لها طلعٌ نضيدٌ"<sup>(2)</sup> و" جزأؤهم عند ربهم جناتٌ عدنٍ تجري من تحتها الأنهار"<sup>(3)</sup>، في:

وارع الفلاحة إن أرضك أرضها منها تدفق خيرها والجود  
خضِرَ وقمح والكروم تمايلت أغصانها وتضرج العنقود  
والتين والزيتون أقسم ربنا بهما وطلعٌ للنخيل نضيد  
جنات عدن أرضنا من تحتها تجري المياه فتحتفي وتعود (ص180)

ب- استحضر النص النبوي: لا تكاد تُذكر التراكيب التي تحيل إلى نصوص نبوية شريفة في الديوان، مقارنة بحجم التراكيب المحيلة إلى النصوص القرآنية، إذ لجأ إليها الشاعر مرتين فقط:

ت1 - قلب الجزائر بالإيمان ممتلىء مهما رمته صروف الدهر لم تصيب  
والله لو وضعوا في كفنا قمرا أو أخت يوشع، أو ما كان من شهب (ص91)  
يستحضر الشاعر في هذا التركيب حادثة الرسول صلى الله عليه وسلم مع مشركي مكة حين خيروه لترك أمر الدعوة إلى الله فأجاب عمه بقول حاسم: " يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر - حتى يظهره الله أو أهلك فيه - ما تركته."<sup>(4)</sup>

والقيمة الحجاجية لهذا التركيب، هي حجم إصرار المتكلم على موقفه، لا سيما حين يكون المخاطب مطلعاً على النص النبوي وظروف التواصل، فلا يبقى له إلا الإذعان والاستسلام.

ت2- العلم في الإسلام فرض واجب وكذا قال نبينا محمود (ص178)  
في البيت إشارة إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "اطلبوا العلم ولو بالطين."<sup>(5)</sup> ويحمل القيمة الحجاجية السابقة نفسها.

(1) التين/01.

(2) ق/10.

(3) البينة/ بعض الآية 08.

(4) الباركفوري: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1418هـ، ص18.

(5) رواه أنس بن مالك: الألبان(محمد ناصر الدين): السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت، رقم الحديث 416، ج1، ص600.

## ج- استحضار النص الشعري:

لاستحضار النص الشعري في تراكيب الديوان، الوظيفةُ التداوليةُ نفسها المذكورة سابقا مع النص القرآني، من حيث إنها إشارة شخصية تقدم الجانب المعرفي لدى الشاعر، وتحيل إلى قيمة النصوص المستشهد بها. إضافة إلى أن الشاعر نفسه يقصد استحضارها تقويةً لأمره على المخاطب. وقد ورد مثل هذا الاستحضار في عدة مواضع منها:

- قوله: فغرد معي يا شعر مالك صامتا؟ وما لي أرى تلك الدموع بوادر؟  
أغرّك مني أن مالي ومهجتي ونفسي هوان إن دعوت الجبائرا (ص 85)  
من قول امرئ القيس (1):
- قوله: كل القلوب تضج الآن من كمد وأنك مهما تأمري القلب يفعل  
من قول المتنبي (2):
- قوله: و"شلعع" الأوراس شامخ أنفه وأخوه "جرجر" في الفضاء بعيد  
من قول مفدي زكريا (3):
- قوله: فهل يا عيد عدت لنا بمجد والبنود اللامعات الخافقات  
وهل يا عيد عدت لنا بينت وألح حسناتها خلف الحجاب  
من قول المتنبي (4):
- قوله: أعاقل أنا؟ مالي لا تذكرني نواب الدهر إقبالا وإدبارا  
بما مضى أم لأمر فيك تجديدا؟  
نواب الدهر إقبالا وإدبارا (ص 275)

(1) الزوزني: شرح للعلاقات السبع، منشورات أرومية، مطبعة حاب أمير، قم، 1205 هـ (معلقة امرئ القيس)، ص 15.

(2) للنتي: الديوان، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان/ د.ت، ص 81.

(3) مفدي زكريا: اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1991، ص 71.

(4) للنتي: الديوان، ص 270.

من قول المتنبي: (1)

أصخرة أنا؟ مالي لا تحركني هذي المدام ولا الغيد الأماليد  
قوله: إنما الموت في الجهاد خلود فعلام الحياة مثل السوام  
عش عزيزا أو مت شهيدا عظيما إنما المجد للأباة العظام

(ص 290)

من قول المتنبي: (2)

عش عزيزا أو مت وأنت كريم  
قوله: ألا ليت شعري هل أزورن لحظة  
ويا ليت شعري هل أرى بلدة الصبا  
ويا ليت شعري كيف حالك في الوعى  
أباتنة الأوراس تلك مشاعري  
من قول مالك بن الربيب (3):

بين طعن القنا وخفق البنود  
هنالك دار الأم والأب والجد  
فأعرف هل دام الرفاق على العهد  
وقد ثرت للتحرير من ربة القيود  
وذلك قصدي، هل ألام على قصدي؟ (ص 273)

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة  
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه  
بوادى الغضا أزجي القلاص النواجيا  
وليت الغضا ماشى الركاب لياليا

وخلاصة استحضر التصوص بأنواعها في تراكيب ابن القاضي، أن أهم ما تؤديه ضمن الوظائف التداولية هي الإشارة الشخصية؛ حيث تقدم لنا ما يدل على الشخص المتكلم ومكانته، ومعجمه الشعري، ومنظومته المعرفية، وما إلى ذلك مما يمثل شخصه دون غيره. ويمكن أن نصنف لابن القاضي من خلال هذه النصوص المجال إليها عدة شحوص ثانوية، منها:

- الشخص الذي يتميز بالشدة والقوة، والصلابة في الحق: تمثله نصوص المتنبي ومفدي زكريا، وبدا ذلك في نصوص الثورة والتحرير والتغني بالجزائر.
- الشخص الذي يتميز بالبرقة والجمع العاطفي: يمثل نص مالك بن الربيب، وبدا ذلك في قصيدة (حنين) لبلدته باتنة في 1956 وهو بقسنطينة.
- الشخص المتدين، العارف بالكتاب الكريم، في عدة نصوص أخرى.

(1) المرجع نفسه، ص 270.

(2) المرجع نفسه، ص 64.

(3) ينظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، قدم له الشيخ حسن مجيب، راجعه وأعدّه فهارسه الشيخ عبد النعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان ط 3، 1407 هـ، 1987، ص 227.



وإلى جانب هذه الوظيفة الإشارية، تؤدي أيضا وظيفة إحيائية؛ حيث تحيل إلى ثقافة الشاعر وإلى قيمة النص القرآني والمأثور من القول في النفوس، وإلى المنظومة المعرفية المشتركة بين الشاعر ومخاطبيه. إضافة إلى ذلك، فإن هذه النصوص ذات بعد حججاني، حيث يستبق بها الشاعر (المتكلم) ردود فعل مخاطبيه، التي قد تخالفه موقفه، فيرسل له هذه النصوص حججا مانعة لأن يشك في الحكم أو يفكر في مخالفته، وستضمن له إذعانه واستسلامه له، لاسيما وأنها نصوص مما لا يستطيع رده أو نكرانه.

د- حجج وأدلة أخرى: إلى جانب النصوص التي لها هيمنتها على المخاطب، يستخدم الشاعر حججا أخرى وأدلة تأكيدا لما يذهب إليه، واعتراضا على أن يخالفه المخاطب أو يشك في خيره، لذلك فهو يعتمد في كل تركيب حججاني إلى عرض الحجج وشوقها للغرض نفسه. ومن الحجج التي تترد في الديوان:

د-1: إظهار الحال: أن يلجأ الشاعر إلى عرض حاله حين الإخبار بأمر معين، وفي إظهار الحال والإشهاد عليه حجة للمخاطب تدعو إلى إقناعه واستمالة، ومن شواهد:

ت1- ضيقوا العيش يا نبيّ علينا فإذا العيش تحتهم لا يطاق

وإذا القوم في الجزائر ثاروا في "نقمير" وصاحت الأبواق

وإذا الطائرات تعلقو وهوي والبرايا إلى المنايا تساق

راميات مقبلات قرأنا "بتبلم" نيرانه لا تطاق (ص53)

ت2- علت ضجة فارتاعت الأرض والسما: يتامى... فمن صان اليتامى مناصرا؟

ورددت الأرجاء في الليل زفرة: أيامى... فمن صان الأيامى الخرائرا؟ (ص87)

ت3- ...

وأرانا عادة قدسية فافت الغيد جلالا واحتشاما

زأها الله بحسن فاتسن سجد الخلق لمرآه احترامما (ص94)

ت4- سارت إلى النصر أجناد مجندة مرد كهول شيوخ كلهم ساروا

... كم كافحوا ورضاص العليج منهر ومدفع "الهون" في الأثناء هدار

والجو يبرق والأصداء مرعسدة والبر والبحر شبت فيهما النار (ص109)

في هذه التراكيب، يعتمد الشاعر إلى التفصيل لإظهار الحال وبيائها، وفي ذلك استمالة للمخاطب ومحاولة لإذعانه، فهو في (ت1) يناجي الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ذكرى مولده، ويشكو

حال الجزائر وما آلت إليه، ويفصل ذلك واصفا جو الثورة المحتدم بتفاصيله، وبأسماء تحيل على واقعها الحلي (طائرات، نبلم، مقنبلات،...). واستخدام هذه الألفاظ يُسهم في عرض الحال وبيانها في صورتها الحاصلة، وبذلك يسهل على المخاطب إدراك الخير والمراد من الخطاب. وفي (ت2) اعتمد إظهار الحال، بجملة الصفة؛ حيث فصل بالوصف المتتابع (غادة: قدسية، فاقت الغيد.../ حسن: فاتن، سجد الخلق...)، وفي الوصف بيان للحال كذلك وإظهار لها.

وفي (ت4) اعتمد جملة الحال (رصاص العلج منهمر، مدفع الهوان... هدار، الجو يبرق، الأصداء مرعدة، البر والبحر... النار) وفي كل منها مشهد للحال العامة التي يودّ الشاعر بيانها.

د-2: التأكيد بما لا يخالفه المخاطب: وهو أن يسوق المتكلم كلاما ثم يردفه بآخر تأكيداً، على أن يكون الكلام الثاني مما يوافق رأي المخاطب لا أن يخالفه، وأن يحكم العقل بصحته، ومن شواهد في الديوان:

ت1- يا بنتُ يا أمل البلاد تعلمي وتيسمي بلوامع الأنوار

... هذا هلال منك لاح ضياؤه ومن الهلال بشائر الأبدار

(ص167)

ت2- أيها الطالب...

واركب الصعب لإدراك المنى إن إدراك المنى بعد العذاب

وامش في الأقطار وانظر ما جرى إن في الأسفار تكوين الشباب

(ص169)

ت3- دعاك غريب، يا إلهي بدمعه وكل غريب أنت أنس اغترابه

(ص263)

يسوق الشاعر في نهاية كل تركيب، تركيباً آخر على سبيل التأكيد، للبيان والإيضاح. و يحمل حجة لا يخالفها المخاطب، ويوافقها العقل والمنطق، نحو: الهلال يشتر بالبدر، إدراك المنى بعد النصب، السفر يكون الشباب، الله أنيس الغرباء..

وهذه الحجج تذهب بالمخاطب كل مذهب مما يسهم في إذعانه، وسكوته عن الخير المرسل إليه، وذلك هو البعد الحجاجي لهذه التراكيب.

د-3- الحجة بالتذكير: أن يعتمد الشاعر إلى إرداف خبره بتركيب على سبيل التذكير والإحالة الزمانية، مما يعث على رضی المخاطب وخضوعه، نحو قوله:

ت1- يا نبي الإله يا سيد الكو نين هذي دموعنا تمراق

... قل لعيسى وقل لموسى أهذا الود؟ أم هكذا التجار الرفاق

إن قوما على القرابة جاروا وأراقوا من الدما ما أراقوا

أكذا العدل والأخوة والإحسان والحب والوفا والوثاق؟

ت2- ولقد ماتوا لتحيا ولتبقى عرييا

(ص75)

لا لتبقى أعجميا في الأهالي أجنيا

ت3- والشعب إن نار يبغي حرية فهو قادر

(ص102)

إن الإله معين لكل من هو نائر

د-4- الإنكار ونبد الحال: يعمد الشاعر إلى مخالفة نط الحجة الأول وهو إظهار حاله، بأن ينكر

على المخاطب ما هو فيه، وينبد حاله، وفي هذا حجة عليه، نحو قوله:

فمالي أرى هذا التقاطع بينكم؟ وبينكم هذا التباغض سائرا؟

(ص87)

وفي الدين أنتم والجزائر إخوة أمن يرضع الثدين يضحى مناكرا؟

د-5- الحجة ببيان العكس وعرض النقيض، نحو قوله:

(ص94)

لا توحل لغد تحريرها إن في التأجيل أخطارا عظاما

## الفصل الثالث

خصائص تركيب أفعال الكلام في "بوابات النور"

- I أفعال الكلام في تراكيب "بوابات النور"
- II صيغ تركيب الأفعال الكلامية في "بوابات النور"
- III أغراض أفعال الكلام في تراكيب "بوابات النور"

يتناول هذا الفصل دراسة (أفعال الكلام) في ديوان "بوابات النور" من حيث خصائصها التركيبية، ووظيفتها التداولية. وذلك بدراسة شروط تحقق الفعل، وغرضه واتجاه مطابقته مع الواقع أو العكس.

والواقع أن هذه القضايا لا تتضح في (أفعال الكلام) إلا من خلال أدائها الفعلي في الاستعمال، بل إن تسمية (أفعال الكلام) ذاتها مرتبطة بالفعل/الحدث الذي ينجم في الواقع من إحداث سلوك ما أو تغييره، وبذلك يمكن القول بنجاح الملفوظ/الخطاب أو إخفاقه.

ولكن فحص البنية اللغوية للتركيب، ودراسة عناصره من حيث رتبته ومكانة كل منها، وعلاقتها الداخلية والخارجية، وتحليل المصاحبات اللغوية المتوفرة، وارتباطها بالسياق العام للخطاب، يسمح بإيضاح شروط تحقق (الأفعال الكلامية) وإن كانت في نص مكتوب، لا ملفوظ. وتلك هي المهمة التي يتوخاها هذا الفصل؛ حيث يتناول بيان خصائص (أفعال الكلام) في الديوان، من حيث أنواعها وهيمنتها وحضورها في القصائد، ثم دراسة صيغ تركيبها فيما بينها، وتحليل مدى اختلافها أو تجانسها. ليخلص في الأخير إلى تفصيل أغراضها، بالتركيز على الأساليب التي خرجت من معناها الحقيقي (الطلب مثلا) إلى معنى آخر (الخبر مثلا) وشرح شروط ذلك وكيفية تحققه، مع بيان العناصر التي تسهم في تحديد غرض الفعل الكلامي. وهي ما يسميه التداوليون بـ(القوة الإنجازية) في التركيب، نحو ما سبق تقديمه في الباب الأول.

#### I. - أفعال الكلام في تراكيب "بوابات النور":

تعددت أقسام أفعال الكلام، لكن أهم ما يميزها جميعا أنها تقوم على مبدأ حصول الفعل في الواقع، وكيفية أدائه لإحداث سلوك ما لدى المتلقي أو تعديله.

ولقد أمكن فحص تراكيب ديوان "بوابات النور" من تمييز الأفعال الكلامية التالية:

1- الأفعال الإيقاعية: وهي التي تتحدد دلالتها بمجرد النطق بها؛ حيث يكون إيقاع الفعل فيها موحيا بالدلالة المقصودة في الوجود. ومن شروطها، نسبتها إلى المتكلم، وزمنها الحاضر أو المستقبل، نحو: الوصية، الدعاء والرجاء، الإقرار، الشكر، التحية، القسم... وغيرها، ولقد حفل بها الديوان. ومن شواهدنا:

أ- أفعال الدعاء والرجاء: نحو قوله:

- ت1- حنانيك يا رحمان نصرك نبتغي . بجاه الذي أرسلت في ليلة القدر (ص72)  
ت2- تغادرنى يا شعر رغم صبابتي وعهدي بذاك الصوت أن لا يغادرا  
أناشدك الرحمن جد لي بنعمته لقد ظل قلبي بالفجعة شاعرا (ص86)  
ت3- يا إلهي أدعوك لسبِّ دعائني فليكن آخر الفراق اللقواء (ص209)  
ت4- فنسأل الله برعاكم وأهلكم إذا دعوناك يا ربي مصلينا من بعد كل صلاة غير سألينا (ص279)  
ت5- ولعلنا نسقي غداً من حوض من نزلت عليه أكرم الآيات ولعلنا نحظى أمام إلهنا يوم الحساب برحمة ونجاة (ص243)

تتشرك أفعال هذه التراكيب في غرض واحد، هو الدعاء، وهو محصورها الدلالي في كل بيت، لكن منها ما ورد بصيغ صريحة للدعاء (أدعو)، ومنها ما تضمن دلالة، نحو (نسأل، أناشد، نحظى، نبتغي...). وهي كلها تحيل إلى دلالة الدعاء المشتركة. ولن ينتظر السامع طويلا ليدرك ذلك، بل إن مجرد سماعها أو قراءتها في هذه التراكيب، يجعله يعرف أنها للدعاء دون غيره، لا سيما وأن معظمها يرد في نهاية القصائد، وتلك ميزة لقصائد ابن القاضي في ديوانه.

ولقد توفرت شروط الأفعال الإيقاعية التي حددها الدارسون في هذه الأفعال، من نسبتها إلى المتكلم مفردا أو جماعة، ومن توفير نية القصد والإبلاغ، ودلالتها على زمن الحاضر أو المستقبل.

ب- أفعال الشكر: نحو قوله:

- ت1- شكرا لمن صعدوا إلى تلك القمم واسترجعوا الوطن المفدى والعلم (ص149)  
ت2- فشكرا لمن ثاروا بشهر نغمير وتبا لمن جاروا وعاشوا وحرقوا (ص173)  
ت3- وأشكركم شكرا جزيلا لأنكم أسود الشرى في كل يوم بليبة (ص175)

لم يرد فعل الشكر في (ت1) و(ت2) بالصيغة الصريحة للفعل (أشكر)، ولكن بالمفعول المطلق (شكرا)، وفي ذلك دلالة على تثبيت المعنى ومنحه ديمومة الحصول واستمراره، دون أن يجرى من معنى الحصول والحدوث، الذي يقتضيه الفعل الكلامي.

ويشتمل التركيب الثاني على عبارة إحداه فعل الدم (تبا)، وهي من الإيقاعات أيضا، لكن هذا الفصل لم يُفرد لها مبحثا مستقلا لقلتها في الديوان.

### ج- أفعال التحية:

- ت1- نُحِّي هنا فصل الربيع ونُحِّي  
ت2- أحييكم يا صحبُ أركي تحية  
ت3- أحييك يا بشار بالشر والشعر  
ت4- وأهدي ما استطعت إليه صبرا
- خشوعا أمام الأعظم العطرات (ص189)  
يعبر عنها الشعر بالنغمات (ص190)  
وأذكر أهليك الأكاير بالخسير (ص193)  
قريضا كان قبلا قد جفلساني (ص225)

### د- أفعال الرأي: نحو قوله:

- ت1- إني أرى في العلم كل تقدم  
إني أرى في الجهل كل تفهقر
- فتقدموا، وإلى المعارف عودوا  
من عهد آدم، للصغار يقود
- (ص178)
- ومثل هذه الأفعال كثيرة جدا في الديوان.

### هـ- أفعال الوصية: نحو قوله في هذه الأبيات من قصيدة واحدة:

- أوجه قولي للذي قد رأيتُه  
أذكرُ والتذكير لا شك نافعا  
أنبه من يقضي الليالي نائسا  
أحذر من يرضى الهوان لشعبه  
أشجع من في قلبه الخوف ساكن  
أرغب في الخوزاء من صار في الدنى
- إلى الذل والعار المؤبد سائرا  
لعل الذي قد زلّ يصبح طاهرا  
وأوقظ فيه الحزم إن بات خائرا  
ومن ظل في بحر الخيانات ماخرا  
بقولي وأفعالي ليغدو نائرا  
معيدا له تلك القرون الغوابرا
- (ص87)

تتوالى الأفعال المبينة في الأبيات بهذا الترتيب، في قصيدة نظمها الشاعر في الثامن ماي 1948 واصفا الوضع الجزائري آنذاك وتضارب الأحزاب. لذا فالمقام للنصح والتوجيه، بإيراد أفعال إنجازية (أوجه، أذكر، أنبه...)، مع أن الشاعر في سنه تلك لم يكن في مقام الموصي، لكن رؤيته الشعرية جعلته يرسل هذه الأفعال المرتبطة بواقعها الملموس ارتباطا مباشرا (توجيه، تذكير، تنبيه، تحذير،

تشجيع، ترغيب). وتلك هي السلوكيات التي كانت الساحة الجزائرية بحاجة إلى التحلي بها بعد حوادث ماي وانقضائها، وحين يرسل الشاعر أفعالها، فإنما يرسلها لإحداث هذه السلوكيات وإنجازها.

و- أفعال العتاب: نحو قوله:

لو كنت أدري ما ترى لا! لا تبع! إني أعتاب والصديق معاتب (ص309)

ر- أفعال القسم: نحو قوله:

قسما يرب العالمين! وبالكتاب المتزل!

وبسيد الكونين أحمد في الزمان الأول

(ص160)

ح- أفعال الإدراك واليقين: نحو قوله:

فأدركت أن الفجر أخلف وعده : وقلبي لعهد الفجر قدما وفي به

وأدركت أن السعي أصبح مخفقا وأن حنان الدهر مثل حرابه

(ص262)



## 2- الأفعال الطلبية:

تشمل كل الأفعال الدالة على الطلب، من دون اشتراط صيغة لها، نحو: أمرت، أوجبت، هيت،... وغرضها الإنجازي هو حمل المخاطب والتأثير فيه ليفعل شيئاً أو يخبر عن شيء. ومن صيغها في الديوان:

### أ- الطلب بصيغة الماضي، نحو قوله:

يغرطا! ثم هنيئاً يا يُغرطا! لقد سطرت للأجيال خطأً (ص121)

وتعد (سطرت) من أفعال الطلب لما فيها من تحقيق إجابة لدى السامع، فهي تعادل: (رسمت طريقاً، حددت لهجاء..) وكل ذلك يقتضي من السامع اتباعه. وكأن الشاعر بذلك يطلب من الأجيال أن تسلك نهج يغرطا في مسار نضاله.

### ب- الطلب بصيغة المضارع، نحو قوله:

ت1- حرييتي! أو ما دريت بأني ألفيت عيشي في الفراق محالا  
أرجو لقاءك كل يوم مثلما يرجو المسافر في الظلام هلالا (ص97)

ت2- ألتمس الإسعاف في الحي لحظة ويزعجني في الحي نبح كلابه؟  
أطلب من أوتارك النعمة التي رجاها فؤادي بلسما لفؤاده؟ (ص262)

كل من هذه الأفعال (أرجو، ألتمس، يزعج، أطلب) يقتضي الحكم بشيء في الواقع الخارجي، وهو مطابق له في دلالته.

### ج- الطلب باسم الفعل وصيغة المضارع، نحو قوله:

ت1- فهيا بنا نبي الثقافة كلنا على أسس القرآن والدين والعصر (ص62)

ت2- هيا بنا اليوم نمشي خلف الألى في الجبال  
لنسترد فخارنا وسؤددا للهلال  
ونرفع النجم رفعا فوق النجوم العوالي  
وننشر البند نشرنا على رؤوس الجبال (ص302)

د- الطلب بصيغة الخبر، نحو قوله:

قومي إلى المجد يا إفريقيا سحرا      سيري فقد سبقتك اليوم أقطار

(ص110)

... وحققي أمل الأبناء في عجل      إن التخلف يا إفريقيا عار

يمكن أن يؤدي التركيب الخبري (إن التخلف...) غرضا طلبيا، بالنظر إلى سياقه العام، وإلى الأساليب الإنشائية المصاحبة له في الأبيات، كأن يقصد به الشاعر مثلا: دعي التخلف يا إفريقيا، تجني عاره... وبذلك يكون التركيب الخبري كاملا، خروجا عن صيغته الإخبارية إلى صيغة أخرى طلبية. وهو الفعل الكلامي الذي المنجز بالنظر إلى الوظيفة التداولية للبيت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

### 3- الأفعال الإخبارية:

يشمل هذا القسم من أفعال الكلام كل الأفعال والعبارات التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وغرضها الإنجازي هو أن تنقل هذه الوقائع بأمانة، ولن يتأتى ذلك إلا بتوفر شرط القصد في الإبلاغ. ومن أشكالها في الديوان:

أ- أفعال الإخبار عن واقع مضى وانقضى، نحو قوله:

ت1- رفعتُ يوما قلمًا،

ولوحة وعلمًا،

رسمتُ فيها قمرًا،

ونجمة وحلمًا،... (ص123)

ت2- كنا صغارا لا نرى شرا ولا نسمه

... في الصباح نقصد المروج والبطاح

مثل الفراشات الخفيفات الجناح

ولا نعود للديار

... نلعب بالكرة، أو نقفز من بين التلال،

ونقرأ القرآن في الألواح...

نحوه بعد الحفظ بالصلصال،

نكتبه بقلم من قصب

وبمداد الصمغ دون نصب

نذهب قبل الشمس والفظور

بحري كأسراب من الطيور،

لنحفظ القرآن في الألواح...

(ص124)

كل من التركيبين يعرض وقائع حاصلة في زمن ماضٍ، كما حصلت، بترتيب أحداثها (ت1):  
رفعتُ، ثم رسمتُ)، كما أنها تعرض هذه الوقائع بأمانة.

وفي التركيب الثاني، ورد عرض الوقائع بصيغة المضارع الدال على الحكاية، وراعى فيه الشاعر أيضا ترتيب الأحداث ونمائها، كما أنها تحصل الآن على مرأى من السامع، وهو غرضها الإنجازي.

ومن هذه الأفعال أيضا، قوله:

ت3- قد كنت في التعليم أتقن مهنتي إحدى وعشرة حجة بدهاء

... فبدأت أربعة بأحمل بلدة  
 وأضفت سبعا في "قسنط" مجاهدا  
 ... لما استقلت أرضنا نوديتُ في  
 لنقوم بالتفتيش في شرق الحمى  
 ونعيد للضاد العزيز مكانة  
 "عنابة" الميمونة الفيحاء  
 أنجبت فيها حيرة النجباء  
 "أوت" مع الإخوان والزملاء  
 ونصون تربيةً من البلواء  
 كانت ومازالت على الجوزاء

(ص253)

ب- أفعال الإخبار عن الواقع الحاضر، نحو قوله:

ت1- مالي أراك تتيه بين كواكب  
 تزهو السماء بعسناها وتُنمِّسق؟  
 مالي أراك تحول كالراعي الذي  
 يرعى السوائم في مروج تعبق؟  
 ت2- ما لهذا العذاب والقلب دام؟  
 يا شعوري دعني إلى أحلامي  
 أنا حيران بين يأس وآمال  
 فمن لسي بمن ينير ظلامي  
 ... غير أني أريد فهما ولكن  
 يصعب الفهم عند كل الأنام

(ص199)

(ص289)

عبد القادر للعطوم الإسلامية

4- الأفعال الالتزامية: هي أفعال يلتزم بها المتكلم طوعا بفعل شيء ما للمخاطب في الحاضر أو المستقبل، مع إخلاص النية والقصد، وعزمه على الوفاء بذلك، ومنها أفعال الوعد، المعاهدة، الضمان، الإنذار... وتكون مطابقة الفعل من الواقع الخارجي إلى الكلمات؛ بحيث يُصيغ المتكلم أفعاله بناء على صورتها الخارجية؛ فإن وعد بالزيارة مثلا، فينبغي أن يطابق وعده الشروط الخارجية التي يتحقق بها أداء الزيارة في الواقع. وإن تلفظ بذلك، فينبغي أن يكون قادرا على الإحاطة بها وأدائها. ومن أشكالها في الديوان الوعد والمعاهدة.

أ- أفعال الوعد، نحو قوله:

- |                                     |   |
|-------------------------------------|---|
| ت1- سنعلنها حربا على الجهل والخراب  | نثور لتحرير النفوس من الأسر (ص62)       |
| ت2- سنحبي بحول الله عهد موحد        | وعهد بني عباس، عهد أمة                  |
| ... سنرجع عهدا كان كالشمس مشرقا     | ونبي عهدا كالنجوم الوضوية               |
| ونبقى مثالا رائعا لمن اقتدى         | بنا عبر أجيال ورمز الفتوة (ص73)         |
| ت3- سوف نرعى عهدكم فاطمئنوا         | إن أنجالكم من الأوفياء (ص120)           |
| ت4- سأذكركم ما دمت حيا لأنه         | فراق حياة لا فراق ممات (ص190)           |
| ت5- لذلك، لا أنفك للشعر قارضاً      | ولا سيما إن كان في المعهد الدرّي (ص229) |
| ت6- وإن أنس لا أنسى العهود التي مضت | وأني امرئ ينسى عهود شبابه؟ (ص261)       |

يتميز في أفعال الوعد الواردة في الأبيات، نمطان:

الأول: الفعل المنسوب إلى المتكلم المفرد: سأذكركم، لا أنفك، لا أنسى.

الثاني: الفعل المنسوب إلى جماعة المتكلمين: سنعلن، سنحبي، سنرجع، نبقى، نرعى.

وشروط أفعال الوعد الالتزامية أن تدل على الحاضر أو المستقبل، وأن تنسب إلى المتكلم، المفرد،

لأنه وحده القادر على أداء ما يعد به، وأنه لا يلفظ الفعل إلا إذا كان في إمكانه إنجازها.

ولكن هذا المبحث لا يميز بين المتكلم مفردا أو جماعة؛ ذلك أن الدلالات التي تحملها الأفعال

المذكورة في النمط الأول هي أفعال تؤدّى بالاشتراك. وللشاعر (المتكلم) معرفة بمدى قدرة المتكلمين

وهو منهم - على إنجازها: إعلان الحرب على الجهل، وهو واحد من رجال التربية، إحياء العهود

الغابرة وإرجاعها، البقاء مثلا تقتدي به الشعوب... الخ. وهو إن أفضى بهذه الأفعال وأعدا، فلأنه على

علم بتوفر شروط تحقيقها.

أما أفعال النمط الثاني فقد توفرت فيها شروط الفعل الالتزامي، ويعد الشاعر قادرا على إنجازها

حال التلفظ بها.

ب- أفعال المعاهدة: يمكن أن تتميز المعاهدة عن الوعد في فرق دقيق، هو أن الوعد عهد من طرف واحد هو المتكلم، أما المعاهدة فهي عهد بين طرفين أو أكثر، والالتزام يقع على الأطراف جميعا، لا على المتكلم وحده، كما في الوعد. ومن شواهد المعاهدة في الديوان، قوله:

ت1- فهيا معا نفذ الجزائر بالدماء وهيا معا نحي القرون الغوايرا (ص88)

ت2- لنعاهد الرحمن أنا للجزائر زارعون!

وجنودها، وشبابها، ونساؤها، ومجاهدون! (ص162)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- الأفعال التعبيرية: تشمل أفعال الكلام التعبيرية كل الأساليب والعبارات التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره، من رضى وحزن، وغضب وسرور، ونجاح وفشل... كما تتعدى ذلك لتشمل ما يظهر في بنية الخطاب مما يحدث للمشاركين في الفعل، ووقعه عليهم، أثناء أفعال الشكر، التهنتة، الاعتذار، الشكوى.... الخ.

وأهم شرط لحصول هذه الأفعال هو الإخلاص في إبلاغه، ومن الأفعال التعبيرية المرتبطة بالتكلم وحده:

أ- أفعال الحزن، نحو قوله:

- ت1- أبكي؟ وهل يجدي البكاء فقد مضى زمان البكا والدمع ما كان زاجرا؟ (ص88)  
 ت2- وأصبح من ألم الفراق وحزنه يا ويح قلب البائس المهجور (ص245)  
 ت3- أرثيك يا نفسي بنفسي ناظمنا شعر الوداع لصفوة الرفقساء (ص253)

ب- أفعال الرضى، نحو قوله:

- ولا أشتكي مما ألقى من الأذى فمثلي على المكروه ما زال صابرا (ص86)  
 تحمل الأفعال التعبيرية (أبكي، أصبح، أرثي، لا أشتكي) في هذه التراكيب مضمونات عاطفية، يغلب عليها جانب الحزن الذي يهيمن على الشاعر. وهي من الناحية التداولية تعرض لنا جانبا من شخصه - بعده متكلما - يمكن أن يسهم في بناء صورة كاملة له، إذا ما أضفناه إلى إشارات شخصية أخرى، تتكرر في قصائده.

وأما الأفعال التعبيرية المرتبطة بالتكلم وما يتعلق بالمشاركين في الفعل، فمنها:

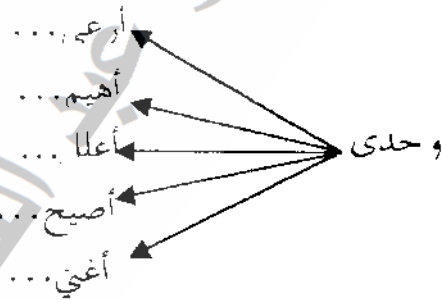
أ- أفعال إبداء الحيرة، نحو قوله:

- ت1- فماذا أرى؟ إن الفصول تغيرت ربيعا بفصل الصيف حقق منيبي (ص175)  
 ت2- فأين مفري يا إلهي وقد أرى بقربي جنود الدهر دوما تحارب (ص211)  
 ت3- كم في الليالي السود بت مناجيا وحدي كما ناجى الدجى هيام  
 كم بت أرعى النجم وحدي ساهرا لا الناس من حولي ولا الأنعام  
 وحدي أهيم على البسيطة حائرا لا الدمع يرحم، لا، ولا الأسقام  
 وحدي أعلل بالكواكب خافقا إذ بالكواكب عللت أقوام  
 وحدي أصبح من الشقاوة يائسا أبكي ولا تبكي معي الأيام  
 وحدي أعني، لا الطيور صوادح ترثي لحالي، لا ولا الأبوام (ص293)

تسهم أفعال الحيرة أيضا، كما هو شأن الأفعال التعبيرية أساسا، في التعريف بشخص المتكلم (الشاعر)، ولذلك يعدّها الدرس التداولي من أهم الإشارات الشخصية التي تشير إلى ذات الشاعر ونفسه.

وهو في (ت1) و(ت2) يبدو حائرا، أمام موقفين مختلفين؛ الأول خارجي، غرض فعل الحيرة فيها الابتهاج بملقّى أساتذة اللغة العربية في فصل الصيف. أما الثاني فهو داخلي، يعرض الحيرة الحاصلة في نفس الشاعر المتأمل.

أما (ت3) فيعرض صورة فريدة للشاعر الشاكي الحيران، في قصيدة نظمها في 1950 (الشاعر الهائم وربّة الشعر). ويقدم التركيب كاملا، مشهدا لحيرة الشاعر بكثير من أدوات الإلحاح والإقناع (وحدى المتكررة في كل بيت، الحال المتكررة في كل بيت كذلك...) وكثير من عناصر الإشهاد؛ حيث أشهد على وحدته (الناس، الأنعام) بغيابها، و(الكواكب، الدمع، الأسقام، الأيام) بحضورها. وكأنما هو واحد، يتحاذه عدد من الأحوال:



ويبدو من ذلك تعدد أحوال المتكلم الواحد، وتلك هي القيمة التداولية للتركيب كاملا.

ب- أفعال التمني، نحو قوله:

- |   |                                   |
|---|-----------------------------------|
| ت1- فيا ليتني <u>أحظى</u> بـلقياكم <u>الـ</u> ... | تخفف عني الوجد بالسمات (ص190)     |
| ت2- (يا بدر) بل أدن في كفي سنك لعلي               | بشعاعه نحو العلا أتسلق            |
| <u>فأرى</u> العوالم في الفضاء كما ترى             | وتزول عن قلبي الهموم وتطلق (ص199) |
| ... يا ليت شعري، هل أراك <u>بمقلتي</u>            | فإلى متى هذا الفراق يفرق (ص200)   |
| ت3- يا ليتني ومضة للبرق لامعة                     | أو كوكب يخرق الآفاق سيارا         |
| <u>فأقصد</u> البلدة العصماء "باتنة"               | بين الجبال التي حاكت لها غارا     |
| و <u>أرسل</u> النور فضيا على حرم                  | قد كان للحلم والآمال مضمارا       |
| ... و <u>أحمل</u> الطيب من غاباتها عبقا           | ومن زهور وعشب كان معطارا (ص275)   |



## ج- أفعال الشكوى، نحو قوله:

- ت1- جئت أشكو إليك يا بحر ما بي  
جئت أشكو وقد وجدتك تشكو  
ت2- لست أهذي سبحان ربي ولكنني  
ت3- أي شيء يا رب نفعله اليوم  
د- أفعال التحسر، نحو قوله:

- ت1- فمالي أرى هذا التقاطع بينكم؟  
ت2- فوا حر قلبي سوف أترك بلدي  
هـ- أفعال التهنتة، نحو قوله:

- ت1- ومن أهني من الأبطال؟.. كلهم  
ت2- أرف إليكم يا رفاق مع الصبا  
و- أفعال الشكر، نحو قوله:

- ت1- فشكرا لمن ثاروا بشهر نوفمبر  
ت2- وأشكركم شكرا جزيلاً لأنكم  
وتبا لمن جاروا وعاشوا وحرقوا (ص173)  
أسود الثرى في كل يوم بليّة (ص175)

تتميز الأفعال التعبيرية هذه (الحيرة، التمني، الشكوى، التحسر، التهنتة، الشكر) عن الأفعال التعبيرية السابقة (الحزن، الرضى) في أنها - تداوليا - لا تتعلق بالمتكلم وحده، ولا تعبر عن عواطفه ومشاعره وحده، بل تتعدى ذلك لتشمل ما يرتبط بالمخاطبين؛ فالحيرة والتحسر والشكوى؛ كل منها يكون له تأثير على المخاطب، و ينتظر الشاعر (المتكلم) مشاركته في أداؤها. وكذلك (التهنتة والشكر) تحتاج أفعالنا إلى حضور المخاطب، لأنه طرف ضروري في حصولها.

## II- صيغ تركيب الأفعال الكلامية في تراكيب بوابات النور::

من خصائص الأفعال الكلامية في ديوان ابن القاضي أنها تتخذ أشكالا معينة أثناء تركيبها، لا سيما فيما بينها، كأن تتجانس الأفعال الكلامية أو تختلف، أو تُصحب أفعال ما بموجهات لها دون أخرى، وفيما يلي أهم تلك الخصائص:

1- **اختلاف الأفعال الكلامية:** يكون حين يقع التركيب بين عدة أفعال كلامية مختلفة، يعطف أو يغيره، أو دون ذلك. وفي كل من هذه الطرائق أغراض ترتبط بالجانب التداولي للغة، وقيم إبلاغية تتعلق بتداوليتها. ويتخلص تركيب الأفعال الكلامية المختلفة في الديوان في نمطين واسعين، هما: تركيب الخبر على الإنشاء، وتركيب الإنشاء على الخبر، أو تركيب كل منهما على مثاله.

أ- تركيب الخبر على الإنشاء: من أشكاله:

- أن يُبنى فعل تعبيرى على آخر طلبى، نحو قوله:

وحققي أمل الأبناء في عجل إن التحلف يا إفريقيًا عار (ص110)

ففي الشطر الأول أمر صريح للنصح والإرشاد، أما في الشطر الثاني فخير صريح، لكنه للأمر أو النهي (كأن يقول مثلاً: تقدمي، أو لا تتخلفي). ويمثل الانتقال من الفعل الطلبى الذي هو تكليف وأداء فعلى، إلى الفعل التعبيري الذي هو إحالة على شخص المتكلم وموقفه من الخطاب، انتقالاً من موقف كلامي إلى آخر مغاير لكنه حجة له، ودليل على الاقتناع بالطلبى والأخذ به. وكأن المتكلم نقل مخاطبه من الأمر المباشر إلى أمر آخر غير مباشر، يؤخذ بالتلميح، وهو من المتفق عليه من الكلام (إن التحلف يا إفريقيًا عار).

وهي الوظيفة التداولية نفسها التي يؤديها التركيب:

أقذفي يا بندقيات الرصاص إننا نبغي من الرق الخلاص (ص115)

فقد نقل مخاطبه من الأمر المباشر والفعل الطلبى الصريح، إلى الفعل التعبيري الذي سوغ له إنشاء ذلك.. ومن ناحية أخرى، كأن قذف الرصاص من البنادق صار مقضياً (لذلك عُد طلبياً). ولقد رضي الشاعر بهذا القضاء، وجماعة المتكلمين بحجة (أنه يبغى من الرق الخلاص)، والفعل الثانى مسوَّغ للأول ودليل له.

واللافت للانتباه أن القصيدة التي تتضمن هذا الشاهد، بنيت كلها وفق هذا التركيب (إنشاء/خبر) للقيمة التداولية نفسها. وتحمل إلى جانب ذلك قيمة تعبيرية لا تكاد تجتمع بهذا الشكل الكثيف في قصيدة واحدة، ذلك أنها قصيدة نظمت تحية للجزائر المنتصرة في ماي 1962، يقول مثلاً:

- ارفعي الرأس وسيري يا جزائر (أمر) فقلد نلت من النصر المفاخر (خبر) (ص115)  
 - اقصفي مثل الرعود القاصفات واعصفي مثل الرياح العاصفات (أمر)  
 - عزمنا مثل الجبال الراسيات لا نبالي بالردى يا طائرات (خبر) (ص115)

ومن شواهد بناء التعبيرى على الطلبي أيضا، قوله:

- وطيروا إلى تلك الكواكب في الفضاء فقد سار ركب العلم يا قوم فالحقوا  
 وعشتم جميعا للمفاخر والعلا على جمعكم غيث السلامة يهرق (ص174)  
 يقوم التركيب في هذين البيتين على النحو التالي:

- إنشاء ( فعل طلبي - طيروا - ) / (خبر) (فعلان تعبيريان: سار، الحقوا).

- خبر ( فعل تعبيرى للدعاء: عشتم، يهرق الغيث ).

فقد تجاوز الشاعر في هذا التركيب تسويغ الفعل الطلبي بأخر تعبيرى، بل إنه عدّ هذين الفعلين تركيبيا واحدا كاملا (حيث يقوم على الفعل ومسوّغه)، وذيله بفعل تعبيرى أوسع من الأول في الدلالة، لغرض الدعاء.

- أن بينى فعل التزامى على آخر طلبي، نحو قوله:

- أين حدى؟ ووالداي؟ أين زوجي؟ كلهم أصبحوا من الشهداء  
 سوف نرعى عهدكم فاطمئنسوا إن أنجالكم من الأوفياء (ص119-120)  
 فقد بني التركيب في البيتين على النحو:

إنشاء (استفهام "أين") / خبر مسوّغ ( فعل تعبيرى: أصبحوا من الشهداء )

خبر ( فعل التزامى "وعد": سوف نرعى عهدكم + مع خبر مسوّغ تعبيرى: إن أنجالكم... )

- أن بينى فعل إخبارى على آخر إيقاعى، نحو قوله:

- قسما برب العالمين! وبالكتاب المنزل  
 وبسيد الكونين أحمد في الزمان الأول  
 قمنا بتحرير البلاد من العدو الغاصب  
 ومن المكائد، والدسائس، والدخيل الناصب (ص160)

يقوم التركيب في هذين البيتين على بناء الخبر: قمنا، (وهو فعل إخبارى مسوّغ للذي قبله

-جواب القسم: جواب القسم مسوّغ للقسم - ) - على الإنشاء: قسما، (وهو فعل إيقاعى يحدث

بمجرد النطق به). والتلازم بين الفعلين في مثل هذه التراكيب ضرورى لأن أحدهما جزء من الآخر.

ب- تركيب الإنشاء على الخبر: ومن أشكاله:

- أن يُبنى فعل إيقاعي على آخر تعبيرى، نحو قوله:

ت1- وما حيب الرحمان قوما تعاونوا      على البر والتقوى بأصدق نية  
حنانيك يا رباه نصرّك نرتجى      بجاه الذي أرسلته للبرية  
ت2- يا بدر...

إني أراك تشير لي بأشعة      فضية بيدع حسنك تنطق  
يا ليتني أدركت معنى قوله      وعرفت هل يحنو علي ويشفق؟  
(ص74)      (ص199)

يشارك التركيبان في تنوع الأسلوب بين الإنشاء والخبر، وفي هذا التنوع نقل للخطاب من حال إلى حال طلبا لاقتناعه، وحرصا على استسلامه. وفي الانتقال من الفعل التعبيري إلى الإيقاعي في (ما حيب/ حنانيك)، وفي (إني أراك/ يا ليتني أدركت) نقل له من موقف إلى آخر مغاير له، وانتظار لسلوك منه غير السلوك السائد مع الفعل الأول؛ فهو في (ت1) مثلا يرسل خيرا معلوما لديه ولدى المخاطب، ويعدّ من المعارف المشتركة بينهما، لاسيما وقد لجأ فيه إلى الاحتجاج بالنص القرآني. ويرسل بعده إنشاء يضيفي الحركة على السكون السائد في الخطاب؛ وذلك ما يريد المتكلم تماما، أن يعرك سامعه ليسهل إقناعه، فيتوجه إلى الدعاء بفعل إيقاعي (تتضح دلالاته فور النطق به)، وهذا أدعى للتأثير في مخاطبه، وأجلب إلى اقتناعه.

- أن يبنى فعل تعبيرى على آخر إخبارى، نحو قوله:

كل من لم يتعرب      سيدق أمر التعرب  
وسيمكث أجنبيا      وهو من أبناء يعرب  
كيف يرضى هوان      وهو شبل ابن أغلب؟  
(ص75)

بنى الشاعر الفعل التعبيري (إنشاء "استفهام إنكاري") على الفعل الإخبارى (كل من لم يتعرب... وهو من أبناء يعرب) لأداء الوظيفة التداولية نفسها المذكورة مع الشاهد السابق، من حيث تطرية سمع المخاطب، وتنشيطه، بأسلوب أكثر حركة من الأول.

- أن يبنى فعل ظلي على آخر إخبارى، نحو قوله:

والدين مشتاق إلى الزمن الذي      قد كان فيه على الرذائل مشهرا  
فأهض عساك ترد مجدا فاحرا      وتُشيد آخر للجزائر أفخرا  
(ص171)

فقد عبر الشاعر بخبر (فعل إخبارى) ثم أردفه بإنشاء (فعل ظلي)، وهي ظاهرة تكررت في القصيدة التي أخذ منها هذان البيتان أكثر من مرة، وملح تداولي بارز فيها.

ج- تركيب الخبر على الخبر: ومن أشكاله:

- أن يبنى فعل التزامي على آخر إخباري، نحو قوله:

لم يشن عزمهم القتلُ الشنيع ولم يصدّهم عن سبيل الله غدار

والله ينصر من جادوا بمالهْم وبالنفوس، ليمحى الذل والعار (ص109)

يلتزم الشاعر بما يورده في البيت الثاني، ولن يخالفه السامع في ذلك، لأنه يستند على سبيل التذكير- إلى معارف مشتركة بينهما. وهو التزام اعتقادي، وليس فعليا. وقد بنى هذا الفعل الالتزامي على فعل إخباري سابق في البيت الأول، تسويغا وتديلا.

- أن يبنى فعل إيقاعي على آخر طلي، نحو قوله:

لنسع اليوم في طلب المعالي لنذكر من ضياء المجد قسطا (ص121)

د- تركيب الإنشاء على الإنشاء: ومن أشكاله أن يبنى فعل تعبري على آخر إخباري، نحو قوله:

وأعد لي الأخبار؟ كيف وحدثها؟ هل حققت يا طير لي الآمالا؟ (ص97)

2- تجانس الأفعال الكلامية: يكون حين يقع التركيب بين فعلين كلاميين أو عدة أفعال متجانسة، يعطف أو بغيره، أو دون ذلك. وله دواع عدة، أهمها أن يكون الشاعر بصدد الحديث عن فكرة ما، ثم يعقبه بحديث عن أخرى تذليلاً وتستميماً.

ويتلخص بناؤها في تركيب الخبر على الخبر وتركيب الإنشاء على الإنشاء. وفيما يلي أشكالها:

#### أ- تركيب الخبر على الخبر:

- أن يبنى فعل إخباري على آخر مثله، نحو قوله:

ت1- كنا صغاراً لا نرى شراً ولا نسمه،

... نلعب بالكرة أو نقفز من بين التلال

ونقرأ القرآن في الألواح...

نحوه بعد الحفظ بالصلصال،

نكتبه بقلم من قصب

(ص124)

ت2- إلى جدنا المحبوب أهدي تحيتي معطرة مثل الزهور الشدية

أزين سكناه بأجمل صورة تنير له الدنيا بأعذب بسمة

(ص223)

أكون له رمز المنى في حياته وأجلو غيوم اليأس عنه بنظرتي

وورد من هذا النمط كثير؛ حيث يبنى الشاعر أفعالاً إخبارية على أخرى مماثلة، حين الحديث عن طفولته، أو قضايا أخرى مرتبطة بالطفولة، نحو (ت2) المقتطع من قصيدة (هدية من بنت إلى جدها).

- أن يبنى فعل تعبري على آخر مثله، نحو قوله:

وبفضل الفداء نرفع رأساً بفخار وسؤدد وعلاء

(ص120)

وبفضل الفداء نستقبل اليوم أمير الجزائر البيضاء

- أن يبنى فعل إيقاعي على آخر مثله، نحو قوله:

ت1- ولعلنا نسقي غداً من حوض من نزلت عليه أكرم الآيات

(ص243)

ولعلنا نحظى أمام إلهنا يوم الحساب برحمة ونجاة

ت2- أوجه قولي للذي قد رأيتـه إلى الذل والعار الموبد سائرا

أذكر والتذكر لا شك نافـع لعل الذي قد زل يصبح طاهرا

أنه من يقضي الليالي نائـما وأوقظ فيه الخزم إن بات خائرا

أحذر من يرضى الهوان لشعبه ومن ظل في بحر الخيانات ماحرا

أشجع من في قلبه الخوف ساكن بقولي وأفعالي ليغدو ثائرا

أرغب في الجوزاء من صار في الدنى معيدا له تلك القرون الغوابسرا (ص87)

حينما تتعدد الأفعال الكلامية التي هي من نوع واحد، فإن أول وظيفة تداولية تؤديها هي محاولة الهيمنة على السامع بالتكرارات المتوالية، والقضايا المختلفة في مضمونها، المتشابهة في بُناها. وفي هذا إلحاح على طلب اهتمامه، وحرص على اقتناعه والتأثير عليه، مودبةً غرض الدعاء في (ت1) وغرض الوصية في (ت2).

ب- تركيب الإنشاء على الإنشاء: من أشكاله:

- أن يبني فعل طلبي على آخر مثله، نحو قوله:

بروائع النيرات والأوتار

تحبي القلوب بلحنها السحار

تسقي جذور العشب والأشجار (ص167)

قد يترع الظلمات أو ما يرفق

فلعل أمواج الدجى تتفـرق (ص199)

ت1- رحماك أقبل يا ربيع وسـلنا

أترك بلابلك الجميلة فوقـنا

ودع الجدول في الطبيعة كلـها

ت2- يا كوكب الظلمات أخـبرني بمـسا

أسعف حبيبك يا مسافر في الدجى

- أن يبني فعل تعبري على آخر مثله، نحو قوله:

لحن الوفاء وصف لها الأحوال

واحمل إليها قبلة وسسؤالا (ص97)

ررف على حربي واعزف لها

بلغ لها شوقا يكاد يديسني

### III- أغراض أفعال الكلام في تراكيب "بوابات النور":

لا يركز هذا البحث اهتمامه على دراسة أغراض الأساليب التعبيرية عموماً، وإنما يهتم بالجانب الذي يعني الدراسات التداولية منها، وهو أن يبحث في صيغ أفعال الكلام تحديداً، وعن الدلالة التي تحددها ظروف التواصل العامة، وشروط أداء الحديث، لا أن تحددها البنية وحدها. إنه يبحث في الظروف التعبيرية المختلفة التي تجعل من العبارة الإنشائية خيراً، خلافاً لما يظهر في البنية، أو تلك التي تجعل من العبارة الخبرية إنشائية. وذلك ما يعني الدراسات التداولية في مبحث أفعال الكلام.

ولأن أهم ما يميز شعر ابن القاضي -من خلال ديوانه- أنه يحفل بقصائد شعرية (وهي نصوص فنية غير عادية)، يكون البحث فيها عن الجوانب التداولية غير يسيراً. وإلى جانبها، فهو يحفل بقصائد أخرى لا تكاد تختلف عن الحديث العادي في بنائها وتراكيبها، لارتباطها بظروف مقامية معينة، وتوجيهها إلى شخوص وسامعين معينين.

ولذا، فإن في هذه القصائد بنوعيتها عدداً من الأفعال الكلامية التي لا يصل القارئ إلى دلالتها المقصودة من ظاهر التركيب وحده، بل ينبغي الاستعانة بالشروط التداولية لها، وفيما يلي عرض لمثل هذه الأفعال.

#### 1- أغراض الإنشاء في الديوان:

أ- الاستفهام: يرتبط مفهوم الاستفهام بواقع استعمال اللغة، ولذلك فهو غني بالقيم التداولية من اهتمام المخاطب، وتحقيقه في الذهن، وغيرها من المفاهيم التي يلتقي فيها مع ما تعرضه اللسانيات التداولية.

فهو "طلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون بشيء على شيء أو لا يكون"<sup>(1)</sup> أو هو "استعلام ما في ضمير المخاطب"<sup>(2)</sup>. ويتضح من التعريفين أن الاستفهام يتعلق بما في ذهن المتخاطبين؛ أي أن تحقيقه يحصل داخلياً، خلافاً للأمر مثلاً، الذي يرتبط تحقيقه بفعل خارجي. ويمكن أن نميز في استفهامات ابن القاضي نمطين: الأول هو الاستفهام الدال على معانٍ خبرية، وهو كثير في الديوان. والثاني هو دلالاته على المعنى الحقيقي للاستفهام (طلب الفهم)، وهو قليل، أو دلالاته على معانٍ إنشائية أخرى. وفيما عرض لشواهد ذلك:

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 303.

(2) الشريف الجرجاني: التعريفات، 18.



أ-1. خروج الاستفهام إلى الخبر: لن يخرج الاستفهام إلى الخبر بملفوظات تظهر على مستوى البنية، فهو في الظاهر أسلوب إنشائي لارتباطه باللواحق الإنجازية للاستفهام (أدوات الاستفهام وأسماؤه). ولكن على السامع أو القارئ أن يدرك أن هذا الاستفهام ليس استعلاما عما في الذهن بقدر ما هو تحقيق لخبر، ويمكن حينها وصفه بالصدق والكذب، أو النظر إلى مدى إنجازيته في الواقع اعتدادا بشروط التواصل العامة. ومثل هذه الأساليب لا يدرك السامع دلالتها إلا بالاستناد إلى ما يمكن أن يفصح به المتكلم على مستوى البنية، أو إلى عناصر السياق المختلفة، وملابسات الحديث... وإلا أخفق الإبلاغ المقصود.

ومن أهم المعاني الخيرية التي يخرج إليها الاستفهام في الديوان: الإنكار، النفي، التكثير والتأنيب. ومن شواهدنا:

- الاستفهام للإنكار: نحو قوله:

- 1- كل من لم يتعرب سيذوق أسر التعرب  
... كيف يرضى بهوان وهو شبل ابن أغلب (ص75)
- 2- وفي الدين أنتم والجزائر إخوة أمن يرضع الثديين يضحى مناكرا؟  
3- يا شعب كنت على القوام مفتخرا بالعلم والمجد والأخلاق والأدب  
فكيف أصبحت بين الناس مسخرة وجثة بين حب اللهو واللعب (ص87)
- 4- ألبسوا أسودا في عربتك بسلا ألبسوا نجوما في الدجى تتألق  
ألبسوا حماة الدين والضاد والحمى بأبظاهم ترمى الخطوب وترشق (ص174)
- لا يطلب الشاعر من مخاطبيه في هذه التراكيب حصول الفهم، بقدر ما يعرض أخبارا تحمل مواقفها تجاه الخطاب في كل تركيب.

فهو في (ت1) مثلا يدعو إلى التسارعة في التعريب، ثم ينكر على الذين يتوانون في ذلك ويفضلون اللسان الأجنبي، فيستفهم منكرا:

كيف يرضى بهوان وهو شبل ابن أغلب؟.

وتحمل عبارة الاستفهام الإنكاري عادة قضية حجاجية تدعو السامع إلى إعمال فكره فيها، والوقوف على أوجه الاستدلال التي تتضمنها.. وفي ذلك استدراج له من المتكلم ليحاجج نفسه بنفسه: أنا شبل ابن أغلب لا أَرْضَى بهوان، وفي عدم تعربي هواني.. ثم يقف بهذه العمليات الاستدلالية على المذهب الذي يدعو إليه الشاعر.

والأمر نفسه في (ت2) حين ينكر الشاعر على الإخوة الجزائريين تفرقهم واختلافهم، فيحتج بما هو معلوم لدى المخاطب (الذين يرضعون الثديين لا يتناكرون)، وهي في مما لا يُختلف فيه، في الواقع.. لترك للمتكلم محصول الدلالة، حينما يتبع مراحل الاستدلال بشكل عكسي مما عرضه المتكلم:

- المتكلم: - ينبغي أن لا يتفرق الإخوة الجزائريون. (وهو الطلب)
- والدليل: لا يتناكر راضعو الثديين. (وهو دليل الطلب).
- السامع: - نحن الجزائريين إخوة في الدين وفي الجزائر. (وهو الأمر المعطى).
- نحن كمن يرضع الثديين من أم واحدة. (نتيجة الأمر المعطى).
- لا يتناكر راضعو الثديين. (وهو معروف).
- لا ينبغي أن يتناكر الجزائريون لأنهم إخوة. (وهو محصول الدلالة).

والاستفهام الإنكاري بهذا العرض الاستدلالي، يكون حاملا لموقف سابق من المتكلم تجاه الخطاب. وهو لا يعرض هذا الموقف بشكل صريح إلى السامع، وإنما يعمد إلى استدراجه بحجة يكون مقتنعا بها، ليصل وحده إلى المقصود.. وبذلك فإن هذه الدلالة لن يقدمها التركيب وحده، ما لم يستغل السامع كل هذه الإمكانيات الذهنية لتحصيلها.

- الاستفهام للنفي: نحو قوله في وداع أصدقائه:

ولكن ذهبتم، أي شيء يسري وأي صديق يستجيب لشكوتي (ص213)

تكرر الاستفهام ب(أي) مرتين في البيت، على سبيل وصف حال المتكلم، لا للاستعلام عما في ذهن المخاطب - وهو المعنى الحقيقي للاستفهام -.

ويكون السامع بهذا النوع من الاستفهام مدفوعا من المتكلم إلى أن يعرض عددا من الاحتمالات الممكنة للإجابة عن: أي شيء يسري؟، أي صديق...؟.

فلن نجد جوابا، لأن المتكلم يذكر في خطابه الضمني أن ذلك غير ممكن.. وسرعان ما يصل السامع بهذه المقارنة، إلى تحصيل الدلالة المقصودة من التركيب، وهي:

- أن لا شيء يسري.

- أن لا صديق يستجيب لشكوتي.

وهو النفي المقصود إبلاغه به، وعلى السامع إدراك ذلك من الظروف المحيطة بالخطاب، لا من

بنية الخطاب ذاته.

- الاستفهام للتكثير: قد يستفهم الشاعر، ليحصل السامع معنى التكثير، وهو أفضل من إيراد ذلك بعبارة إخبارية، لما يقوم به السامع من طلبها وإعمال الفكر في تحصيلها، ومن شواهدا قوله:

ماذا أسمى؟.. فكل الأرض معركة      ومن أسمى؟.. فجل الناس أختيار

ومن أهني من الأبطال؟.. كلهم      أبناء إفريقيا أسد وأتمسار (ص109)

- الاستفهام للتأنيب: قد يؤنب الشاعر مستفهما، ويدرك ذلك بعناصر السياق المحيطة، وظروف الاتصال، نحو قوله:

أكذا يا زمان تعبث بالأ      مال والأمنيات مثل الوليد

أكذا تقتل الحياة وتفسني      كل شيء رغم العويل المديد (ص235)

أ- 2. خروج الاستفهام من المعنى الحقيقي إلى معانٍ إنشائية أخرى:

كما يخرج الاستفهام إلى معانٍ خيرية، فإنه يؤدي أيضا، بقصد من المتكلم أغراضا إنشائية أخرى لها وجود في الخارج، نحو دلالة على الأمر، التمني والتعجب. وفيما يلي شواهد ذلك:

- الاستفهام للدلالة على الأمر، نحو قوله:

ت1- بني الشعب، هل وخدم الصف والخطي      وهل سرتم نحو الأعادي قساورا؟

بني الشعب هل شحذتم السيف والقنا      لظعن عدو كان بالعرض ساخرا

(... ) بني الشعب هل ضحيتم في سبيله      بمال وأغراض ليحلو باهرا (ص86-87)

ت2- نشء الجزائر، هل سمعت نداءهـا؟      عاهدت شعبك، هل تُصان عهدو؟ (ص179)

لقد ورد كل استفهام في التركيبين بعد نداء، وهو كقيل يحصل انتباه السامع والتفاتة إلى

الخطاب، فضلا عما يحمله في عبارة النداء ذاتها (بني الشعب) من تودد للمنادى.

والشاعر يسأل عن معانٍ غير حاصلة في الواقع، مما يدعو سامعه إلى البحث عن الدلالة

المقصودة، واستنادا إلى عناصر أخرى في التركيب (لظعن عدو كان بالعرض ساخرا، ليظهر الهلال

ويبدو باهرا) يدرك أن الاستفهام المذكور ليس استعلاما - فالتكلم أدرى بواقع الخطاب - بقدر ما هو

أمر بالقيام. بما سأل عنه، لأنه سبب لحصول النتيجة المذكورة سابقا (صياغة العرض، نصرة الهلال).

و الأمر بالاستفهام أدعى إلى الحصول، وأجلب إلى تحقيقه في الواقع، لأنه طلب يستنتجه السامع

ولا يلقي إليه بشكل صريح، وكأنه يسهم في صياغته، مما يدعو إلى تحقيقه وسرعة الاستجابة إلى القيام

بمقصوده.

- الاستفهام للدلالة على التمني، نحو قوله:

- ت1- يا فلسطين، أين قبلتنا الأولى ترى هل يعيدها الخلاق؟ (ص54)  
ت2- وأعد لي الأخبار كيف وجدتها هل حققت يا طير لي الآمالا؟  
ت3- أيعود مجد الضاد والإسلام من هل صانت العهد المقدس بيننا مهما اعتدى زمن الفراق وطالا؟ (ص97)  
ت4- يا ليت شعري هل أراك بمقلتي فيألى متى هذا الفراق يفسرق؟ بعد الفجيرة للحمى؟ أيعود؟ (ص179)  
(ص200)

إن إنشاء فعل التمني - وهو متعلق بالمتكلم وحده - بصيغته الإنشائية المعروفة (ليت... لا) لا يتطلب جهدا من المخاطب ليعلم ذلك. ولكن إنشاءه بالاستفهام يجعله شريكا في إنجازها، لما يقوم به من عمليات ذهنية استدلالية للوصول إلى الدلالة المقصودة، نحو الأساليب المذكورة سابقا. وتتمثل الوظيفة التداولية للأسلوب في هذه الحال، في أن السامع يصبح شريكا في إنجاز الفعل الذي يرتبط بالمتكلم وحده في الأصل.

- الاستفهام لإنشاء التعجب، نحو قوله، مبديا إعجابيه بيوم الدخول المدرسي؛ لإحداث الخيرة لدى السامع حول فصل الدخول؛ أهو الخريف أم الربيع:

هل نحن في فصل الخريف دخولنا أم ذاربيع آخر مولود؟ (ص177)

ب- الأمر: لا يختلف الأمر عن الاستفهام في ارتباطه بواقع استعمال اللغة، إن لم يكن أكثر منه دلالة على ذلك، فهو طلب حصول الفعل استعلاء وإلزاما، وينبغي أن يكون المتكلم في وضع يخول له الأمر، ويتصف بما يجعله أمرا. حتى أن تسمية الأمر ذاته في رأي اللغويين كانت بالنظر إلى معنى الطلب الذي يتضمنه، ليس كما في الفعل الماضي الذي تقترن تسميته بزمنه، "إذ الأمر صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب"<sup>(1)</sup>، بل يسميه بعض النحاة فعلا دائما، كما في قول (الزجاجي): "الأفعال ثلاثة: فعل ماض، وفعل مستقبل، وفعل في الحال يسمى الدائم"<sup>(2)</sup> ويبدو من هذا، أن الأمر يعبر عن استعمال اللغة في الحال أو الاستقبال، ومن هذا المعنى يكتسب العديد من القيم التداولية للخطاب التي تحتفي بها اللسانيات التداولية.

(1) الرضي الاسترابادي: شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ج2 ص267.

(2) الزجاجي: الجمل في النحو، حققه وقدم له د علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط2، 1985، ص07.

ويتميز في ديوان ابن القاضي نمطان لاستخدام (الأمر)؛ الأول حين يخرج الأمر، وهو أسلوب إنشائي، للدلالة على الخير، والثاني حين يخرج من معناه الحقيقي (طلب حصول الفعل استعلاء وإلزاما) إلى معان إنشائية أخرى، وهو قليل في الديوان. وفيما يلي عرض ذلك.

### ب-1- خروج الأمر إلى الخير:

من أهم المعاني الخيرية التي يخرج إليها الأمر في الديوان: النصح والإرشاد، الترغيب والإغراء، الشكوى، التذكير، إبداء المسرة، التهنتة، وفيما يلي شواهدها:

- الأمر للنصح والإرشاد، نحو قوله:

- |                                  |                              |        |
|----------------------------------|------------------------------|--------|
| ت1- فصبرا جميلا، إن من كان لائذا | به في زمان العسر يرزق باليسر | (ص72)  |
| ت2- أيها الشعب الذي عُلقها       | ورجا منها لقاء وابتساما      |        |
| كسر القيد وحرر جيلها             | واحمها إن كنت منها مستهما    | (ص94)  |
| ت3- يا بنت، يا أمل البلاد تعلمي  | وتبسمي بلوامع الأنسوار       | (ص167) |
| ت4- أيها الطالب قم ناحي العلاء   | فوق وجه الأرض أو فوق الشهاب  |        |
| واركب الصعب لإدراك المنى         | إن إدراك المنى بعد العذاب    | (ص169) |
| ت5- سارع إلى الغفران واعمل صالحا | إن الحياة مجالها محدود       |        |
| واحفظ كتاب الله وادرس آية        | ليقال نشء صالح ورشيد         | (ص179) |

يكاد يشترك الأمر الوارد في هذه الأبيات، في أنه يقوم على تعليل الأمر المطلوب من المخاطب؛ ففي (ت1) أمر شعب سوريا بالصبر، وعلل ذلك بأن الله يأتي باليسر من عنده. وفي (ت2) أمر الشعب الجزائري بتكسير قيد الاستعمار وتحرير الجزائر إن كان بها مستهما. وفي (ت4) و(ت5) يأمر النشء الجزائري بالتعلم والاجتهاد في التحصيل، معللا كل طلب بما يمكن أن يقنع المأمور به.

والملاحظ على أوامر الديوان، لا سيما التي للنصح والإرشاد أن نسبة كبيرة منها وردت في سياق النصح للشباب الجزائري وإرشاده إلى طرق تحصيل العلوم وصناعة الحياة الكريمة. ومن الناحية التداولية، فإن للشاعر ما يخوله أن يكون آمرا ناححا في هذا المجال، لأنه أحد رجال التربية والتعليم آنذاك، وبالتالي فإن لأوامره وقعا لدى مخاطبيه.

ومن ناحية دلالة الأمر على النصح، فإنه أدعى إلى الأخذ به، وأجلب إلى أن يتقبل السامع نصيحة المتكلم للصيغة الفعلية التي تعترتها، مما ينفي عنه التردد في أمرها أو رفضها. وهنا تكمن القيمة التداولية لورود النصيحة في صيغة الأمر.

- الأمر لإبداء المسرة، نحو قوله:

ت1- دع الحزن يا شحرور عنك وغرد وأرسل معي لحن السرور وردد (ص49)

ت2- إرفعي الرأس وسيري يا جزائر فلقد نلت من الصر المفساخر (ص115)

في إبداء المسرة بصيغة الأمر، حرص من المتكلم على مشاركة مخاطبه له، لذلك فهو حين يبدي مسرته بهذه الصيغة لا يُبقي الفعل مرتبطاً به وحده، بل إن السامع أيضاً يشارك في إنجازه. ويكون عادة حين تبلغ المسرة مداها بالمتكلم، نحو ما في (ت1) من سرور الشاعر بأرض النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسروره العارم بنصر الجزائر.

- الأمر للترغيب والإغراء، نحو قوله:

تناديكم الفصحى العزيزة والحمى يناديكم الإسلام: شدوا المآزرا! (ص88)

- الأمر للتذكير، نحو قوله:

حدّث فديتك بالجبال الشامخات وما جرى

إذ قاوم الأحرار فيها من طفئ وتجرأ

واذكر هضابا عاليات كل يوم تضطرم

وقوافل الصحراء بالمرصاد في كل الأكم

(ص160)

- الأمر للشكوى، نحو قوله:

ت1- يا نبي الإله يا سيد الكونين هذي دموعنا تمراق

(ص54)

... قل لعيسى وقل لموسى أهذا السود؟ أم هكذا تجار الرفاق؟

- الأمر للتهنئة في قوله يرثي والدته:

سيري إلى روض الخلود عزيزة محفوفة بالخير والبركات

وتناولني ما شئت من أنهاره وتمتعي ما شئت بالخيرات

(ص243)

قد كنت تهوين الرياض وطيبها فتتعمي في وارف الجنات

## ب-2- خروج الأمر من المعنى الحقيقي إلى معانٍ إنشائية أخرى:

ومن أهم المعاني الإنشائية التي يخرج الأمر إليها في ديوان ابن القاضي الدعاء، ويقع حين لا يكون الأمر في منزلة تسمح له بطلب بتنفيذ الأمر، بل إنه وضع أدنى من المخاطب، وهو - وإن توجه إليه أمرا - فإن في عبارة أمره كثيرا مما يخرج به إلى الدعاء والرجاء، ويعرض شخصه أدنى بكثير من المخاطب. وأكثر ما يتضح ذلك في الكلام العادي من مشاهدة حاله وهو يدعو، أو على مستوى بنية عبارة الدعاء، مما يظهر من وحدات لغوية تحيل إلى حال ضعفه ورجائه.

ويُعد الدعاء عموما أهم الأغراض التي تميز شعر ابن القاضي، إذ يكاد يظهر في كل قصائده، لا سيما الطوال، وهذا يعرض شيئا من شخصه - بعده متكلمًا - المتدين المتجه إلى الله في كل حال. ومن شواهد الكثرة، قوله:

ت1- رب سدد خطي العباد ووفقهم إلى ما تحبهم أن يساقوا (ص54)

ت2- فابعث الحب في القلوب فقد هدّد دده الحقد والقلبي والفراق

وانشر العدل والسلام لتسحيا رغبات الوري ويفني الشقاق

واملا الكون رحمة وصفاء | فلقد نال صفوه الإرناق

وأجرنا بجاه من طار في السلي ل سريعا به إليك البراق (ص55)

ت3- يا رب بارك فداهم واغممهم بالمسره

(...) وارحم ضحايا حمانا في كل جيل وثوره (ص103)

ج- النداء: يتعدد النداء في ديوان ابن القاضي، ومن أهم ما يميزه خروجه من معناه الحقيقي (طلب التفات المخاطب وإقباله) الإنشائي، إلى معنى الخير، اعتدادا بشروط يحملها السياق، وعلى السامع إدراكها. أو أن يخرج إلى معانٍ أخرى إنشائية.

ج-1- خروج النداء إلى الخير: من أهم المعاني الخيرية التي يخرج إليها: المدح والمناجاة، النصح والإرشاد، النفي، وهذه شواهدا:

- النداء للمدح أو المناجاة، نحو قوله:

ت1- يا نبي الإله، أهلا وسهلا جئت فاستبشرت بك الآفاق (ص52)

ت2- بني الشعب هل في قلبكم وطنية؟ وهل صار ذاك العزم للمجد طائرا

بني الشعب هل حب الجزائر خالص وهل في دم الأحرار يزيد زاحرا؟ (ص86)

ت3- يا مصطفى! يا شفيع المسلمين غدا ما زال شعبك بهوى أفضل الكتب (ص91)

- النداء للنصح والإرشاد، نحو قوله:



وأنت يا شعب قم بالواجبات ولا تترك شبابك في الأهوال والنصب (ص90)  
- النداء للنفي، نحو قوله:

قالوا بلادي سبها العج مكرهه يا ويل من زعموا أن العرين سبي (لم تُسب) (ص91)  
وفي كل من هذه التراكيب الندائية، خروج من المعنى الحقيقي للنداء إلى معنى الخبر، ولن يتأتى  
تحصيل ذلك من المخاطب، إلا إذا اعتد بوحدها لغوية أخرى مذكورة في التركيب، وعناصر السياق  
المختلفة، إلى جانب ظروف التواصل إن كان حاضرا مقام الحديث.

ج-2- خروج النداء من معناه الحقيقي إلى معانٍ إنشائيةٍ أخرى: أهمها الدعاء في قوله:

ت1- رب سدد خطي العباد ووفقهم إلى ما تحبهم أن يساقوا (ص54)  
ت2- ربه، يكفي بلادي اليوم ما لقيت إذا كل ما لقيت لم يحص بالكتب (ص91)  
د- النهي: هو من الأساليب المرتبطة أساسا بالمخاطب؛ ويتضمن طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع  
عنه على وجه الاستعلاء والإلزام<sup>(1)</sup>. فهو "محدوّ به حدو الأمر في أن أصل استعمال (لا تفعل) يكون  
على سبيل الاستعلاء"<sup>(2)</sup>.

وما ذكر من قبل عن الأمر: وأنه لا يكون فعلا إلا إذا كان المتكلم في وضع يسمح له بإصداره،  
ينطبق على النهي. ولا يمكن عدّهما منفصلين، لا سيما وأن كتب اللغة لم تفصل بينهما، وتناولتهما في  
حديث واحد (الأمر والنهي)؛ نحو قول الميرد: "اعلم أن الطلب من النهي بمنزلة من الأمر، يجري على  
لفظه كما يجري على لفظ الأمر"<sup>(3)</sup>.

ويفصل ابن القيم ذلك بالغاء التمييز بينهما قائلا: "المطلوب بالنهي فعل الضد، فإنه هو المقذور  
وهو المقصود للنهي، فإنه قد ناه عن الفاحشة طلبا للعفة، وهي المأمور بها..."<sup>(4)</sup>.

ولم يتعدد النهي في ديوان ابن القاضي كثيرا، إلا ما جاء على سبيل النصيح والإرشاد، وهو  
خروج من معنى الإنشاء إلى معنى الخبر، نحو قوله:

ت1- فلا تصطحب شخصا جباناً مخنثا وإن كان ذاك الشخص بالعلم ساحرا (ص86)  
ت2- وأنت يا شعب قم بالواجبات ولا تترك شبابك في الأهوال والنصب (ص90)  
ت3- لا تؤجل لغد تحريها إن في التأجيل أخطارا عظيما (ص94)

(1) عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1979، ص15.

(2) السكاكي: مفتاح العلوم، ص320.

(3) الميرد: المفتض، تحقيق محمد عبد الحائق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج2، ص135.

(4) ابن قيم الجوزية: الفوائد، ص159.



## 2- أغراض الخبر في الديوان:

من أهم ما تعنى به اللسانيات التداولية هو دراسة اللغة، لا سيما حين تؤدي معاني تختلف عما يظهر على مستوى بنية التركيب، ولقد تم عرض ذلك في الباب الأول مع مقارنته بما تناولته البلاغة العربية.

وسيعرض هذا المبحث الأساليب الخبرية في ديوان ابن القاضي، والتي تؤدي أغراضا مخالفة لبنيتها، كأن تخرج إلى الإنشاء مثلا. لأن في هذا الخروج مشاركة للسامع في إنتاج الخطاب؛ حيث يعتمد المتكلم على تأويله للبناء، وعلى العمليات الذهنية والاستدلالات التي يقوم بها للظفر بقصد المتكلم، والدلالة الكاملة التي يحملها خطابه.

وفي هذه الحال لا تبقى الدلالة حبيسة البنية وحدها، بل إنها مترامية بين ما في ذهن المتكلم وقصوده، وتأويل السامع واستدلالاته، وظروف التواصل وملابساته، ما ظهر منها وما خفي.

ولا يختلف دور السامع في تحصيل دلالة الإنشاء التي يخرج إليها الخبر في ديوان ابن القاضي، على نحو ما مر بيانه في المبحث السابق حين يخرج الإنشاء إلى الخبر؛ إذ أنه يقوم بالاستدلالات نفسها لتحصيل الدلالة.

وبعد فحص تراكيب الديوان الخبرية، تبين أنها على نمطين؛ الأول حين يخرج الخبر إلى دلالات إنشائية خلافا للأصل. والثاني خروجه إلى دلالات إخبارية أخرى غير الدلالة الأصلية للخبر، وهي (إفادة المخاطب). وفيما يلي تفصيل لشواهد هذين النمطين:

أ- خروج الخبر إلى الإنشاء: يخرج الخبر في ديوان ابن القاضي إلى أغراض إنشائية عدة، أهمها: الأمر، الدعاء، النهي، التمني، وهذه شواهدا:

أ-1- خروج الخبر إلى الأمر: يختلف وقع الأمر المباشر على نفس المخاطب عن الأمر الذي يستخلصه السامع؛ حيث إن إرسال المتكلم للأمر بشكل صريح، ينبغي أن تتوفر له شروط عدة أهمها أن يكون السامع متعاوناً مع المتكلم (وهو مبدأ التعاون الذي يلح عليه جرايس)، لكن أن يستخلص السامع بنفسه الأمر، فإن ذلك أدعى إلى قبوله وتنفيذه، لأنه مما يستخلصه ذهنه ويصل إليه، ويصبح بذلك مسهما في إنتاج الأمر إلى جانب المتكلم، ومشاركاً له في إصداره. ومن أشكاله في الديوان:

- أن يكون الأمر بعبارة صريحة في الخبر، نحو:

- |                                  |                           |       |
|----------------------------------|---------------------------|-------|
| ت1- بني الشعب يكفيكم سياتا وغفلة | عدوكم قد بات يقظان ساهرا  | (ص86) |
| ت2- فاز بالعادة من هب لهـ        | ورأى في نيلها الموت غراما | (ص94) |

ت3- والله ينصر من جادوا بمالهم وبالنفوس ليمحى الذل والعار (ص109)  
 ت4- (يا بنت)... إن اجتهادك في العلوم فضيلة هي عندنا للبنات أجمل غار (ص167)  
 في هذه الأبيات أساليب خبرية صريحة في الخبر، لكن فيها دواعي تجعلها تخلص إلى الأمر، وعلى السامع إدراكها، نحو التقديم للخبر بالإنشاء في (ت1). وفي (ت2) يفيد الخبر تحقيق الفعل في (فاز بالعادة) بعد أن يعرض له في أبيات سابقة أن الجزائر عادة مسيبة وعلى من يريد لها أن يعجل في طلبها، وهو المطلوب من السامع. وكأنه يقول له: لتفوز بالعادة الجزائر، هب لها، وابذل لها نفسك جاعلا ذلك من غرامها.

وينطبق ذلك على بقية التراكيب؛ حيث يستخلص الشعب الجزائري وهو السامع في (ت1) الأمر: احذروا عدوكم فهو يقظان، وفي (ت3) الأمر: جودوا بمالككم ونفوسكم، وفي (ت4) تدرك البنت الجزائرية الأمر: اجتهدي.

- أن يكون الأمر بعبارة صريحة في الخبر، لإغراء المخاطب به، ويخلص إلى القيام بما يحققه له، نحو قوله:

|                              |                             |        |
|------------------------------|-----------------------------|--------|
| ت1- العلم مثل الوحي نور ساطع | يمحو الظلام على الورى ويبيد | (ص178) |
| ت2- العلم والإسلام شيء واحد  | والجهل خصم للأنام لـدود     |        |
| والعلم ورد الصالحين مناله    | وعيونهم للصالحين ورود       |        |
| والدين حصن للجزائر حاصن      | جبل يقيها الشيثان، عتيـد    | (ص180) |

ترد معظم شواهد هذا الأمر في مقام الحديث إلى الشباب والتلاميذ (والشاعر أحد رجالات التعليم في زمانه)، والتركيبان (ت1) و(ت2) من قصيدة واحدة يتغنى فيها الشاعر بالدخول المدرسي لعام 1965.

واعتبارا لمقام المخاطب، فإن الحديث إليه بعبارة خبرية تحمل إغراء بشيء يتمناه ويرغب في بلوغه، ليخلص بعدها إلى إدراك الأمر الذي يتضمنه هذا الإغراء؛ هذا الأسلوب هو الأنسب لمثل هذا المخاطب الذي قد ينفر من الأمر الصريح، اعتبارا لمقامه. فالأفضل أن يدرك بنفسه الأمر، وكأنه التزام من شخصه لبلوغ مقام الإغراء المذكور؛ لذا فالدلالات الآتية متساوية لديه:

- العلم نور ساطع يمحو الظلام = اطلب العلم.

- العلم والإسلام شيء واحد = اطلب العلم واحرص على ذلك حرصك على إسلامك.

- الجهل خصم للأنام = تجنبه.

إلى غير ذلك من الأفعال الأخرى التي تدركها مراحل الاستدلال في ذهنه.

- أن يكون الأمر بأفعال إيقاعية صريحة في الخبر، لكنها بالنسبة إلى المخاطب أو امر مباشرة، نحو قوله:

أنبه من يقضي الليالي نائما      وأوقظ فيه الحزم إن بات حائرا  
أحذر من يرضى الهوان لشعبه      ومن ظل في بحر الخيانات مانحرا  
أرغب في الجوزاء من صار في الدنى      معيدا له تلك القرون الغوابرا (ص87)

فهو في هذه التراكيب يحدد المعنى بالخطاب في أفعاله (أنبه، أوقظ، أحذر، أرغب)، ولا يوجهها بأمر صريح إحالة له على ما في عبارة الخطاب من دواعي القيام بالفعل المأمور به. خلافا لإصدار الأمر صراحة؛ حيث لا يكون للسامع فسحة من زمن لأن يتأملها، لأن الأمر حقه الفور والآن، كما ورد في كتب اللغة.

ومن هنا يأخذ الفعل الإيقاعي قيمته التداولية، ويمكن للسامع أن يدرك بعد استدلال يسير أن قصود المتكلم من التراكيب، هي: (انتبه، استيقظ، احذر، أرغب).

- أن يكون الأمر بعبارة صريحة في الخبر، تتضمن مثالا أو عبرة، أو إحالة تاريخية، مما يشير في نفس المخاطب القياس على المثال أو العبرة، والقيام بالفعل المطلوب، أو استنتاج ما في الإحالة التاريخية من تكليف، نحو قوله:

ت1- وتلك هي الشعوب إذا أرادت      حياة، فإن نصر الله معطى (ص121)  
ت2- والذين مشتاق إلى الزمن الذي      قد كان فيه على الرذائل مشهرا (ص171)  
حيث يدرك السامع الأمر الذي يتضمنه (ت1) وهو (رد الحياة ليأتي نصر الله)، ويتضمنه (ت2) وهو (أعد للدين زمنه...).

أ2- خروج الخبر إلى الدعاء: ورد ذلك في الديوان على نمطين: الدعاء للمخاطب أو الدعاء عليه، في الشواهد الآتية:

- أن يدعو الشاعر بعبارة صريحة في الخبر، للمخاطب، نحو قوله:

ت1- رعاك الله من كل العوادي      ودام بنوك أعلام الرجال (ص57)  
ت2- جزاك الله عنا كل خير      ووقفنا جميعا للمعالي (ص59)  
ت3- وعشتم جميعا للمفاخر والعلا      على جمعكم غيث السلامة يهرق (ص174)

- أن يدعو الشاعر بعبارة صريحة في الخبر، على المخاطب، نحو قوله:

- ت1- فشكرا لمن ثاروا بشهر نوفمبر      وتبا لمن جاروا وعاشوا وحرقوا (ص173)  
ت2- قطار سباك الله إنك ظالم      ذهبت بدمعي رغم دمعي وأنتي (ص213)

أ3- خروج الخبر إلى النهي، نحو قوله:

- حرام على الإخوان أن يتشاجروا      وأن يستبدوا في الأمور ويسرفوا (ص227)  
قد لا يأخذ السامع بالنهي الصريح أخذه به حين يرد في عبارة صريحة الخبر، -مثاله مثل الأمر-؛ حيث إن الخبر في هذا البيت يحيل المخاطب (الشريك في مرجع الخطاب وهو الدين، والمتعاون؛ لأنه يقبل حديث المتكلم إليه) إلى ربط الحال التي هو فيها (التشاجر، والاستبداد والإسراف) بالدين، وحينها ينتبه إلى المعنى الذي كان غافلا عنه، وهو أن ما هو فيه حرام، ليصل إلى قصد المتكلم من عبارة الخبر، وهي:

لا تتشاجروا، لا تستبدوا في الأمور، لا تسرفوا؛ لأن ذلك حرام.

وبذلك يصبح المخاطب شريكا في إنتاج النهي، استنادا إلى ما أحاله عليه المتكلم من النص المشترك بينهما وهو الدين؛ ولفظ (حرام) ذاته يمثل قوة إنجازية في هذا البيت؛ إذ تتعلق عليه درجة تلقي الخطاب لدى السامع.

أ4- خروج الخبر إلى التمني، نحو قوله:

- (...) فيكون يوم لقائنا عيدا لنا      ويكون بدر سرورنا يتألق (ص200)

ب- خروج الخبر من معناه الحقيقي إلى معانٍ إخباريةٍ أخرى:  
من أهم هذه المعاني: الشكوى، والإعجاب، المدح، التخويف والترهيب، بيان العاقبة، الفخر،  
التحسر، وفيما يلي شواهدنا من الديوان:

ب-1- خروج معنى الخبر إلى الشكوى، في قوله:

ت-1 (يا رسول الإله)... جئت أشكو إليك ما بي وبالأمممة رحماك قف به يا براق  
سامنا الغرب يا محمد خسفا مذ دعانا إلى الحياة اشتياق (ص53)  
ت-2 فلقد أهدرت دماء وفاضت عبرات على الربى والثنايا  
ولقد أحرقت ديار وأكواخ وهامت مع البنين الصبايا (ص105)

ب-2- خروج معنى الخبر إلى الإعجاب بأرض النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله:

جمال تراءى اليوم من كل منظر وحسن تجلى اليوم من كل مشهد  
ونور وألحان وصور وبهجة تراءت لمن قد زار أعظم مسجد  
وفي قوله معجبا بمدينة قسنطينة:  
بنيت على شفا وادي الرجال كأنك عش باز في الجبال  
وقمت على العواصم يا قسنطي بجسر فوق أشفار عوال (ص57)

ب-3- خروج معنى الخبر إلى المدح في الحديث عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، قائلا:

سجد الطهر والفضائل طوعا لك فاستكملت بك الأخلاق  
وأتاك السلام بيكي فلما صنته جف دمعته المهراق (ص52)

ب-4- خروج معنى الخبر إلى التخويف والترهيب، في قوله:

كل من لم يتعرب سيدق أسر التعرب  
وسيمكث أجنيا وهو من أبناء يعرب (ص75)

ب-5- خروج معنى الخبر إلى بيان العاقبة للجزائريين الذين تفرقوا شيعا في نهاية الأربعينيات ومنهم من  
ظل الطريق، في قوله:

لقد قال ربي ولَّ وجهك شطره  
وأوصى بأن ترعوا ذويتنا فجرتم  
ولن تفلحوا عند الإله وعنسدنا  
وما قال ربي شطر(باريس) أمرا  
علينا، ولكن لن تنالوا المفاخر  
ولن تجدوا إلا الأذى والمعايرا (ص87)

ب-6- خروج معنى الخبز إلى الفخر بالشباب، في قوله:

ونحن الشباب كورد بات في لُهب  
نحن الشباب كموج البحر نظمحه  
والورد يهوي الندى إن بات في لُهب  
بلوغ غاياته بالوثب والجلسب (ص90)

ب-7- خروج معنى الخبز إلى التحسر على شباب صديقه (علي) في رثائه:

لهفي على ذاك الشباب وحسنه  
فتحطمت أزهاره وتساقطت  
عصفت على غصن الشباب رياح  
والظل ظل والصبح صباح (ص239)

الخاتمة

جامعة الأمير  
عبد القادر للعالم الإسلامي

وفي خاتمة هذا البحث، يمكن أن تُسجّل النتائج التالية:

- نتائج منهجية؛ تتعلق بالمنهج التداولي في دراسة الشعر.
- نتائج نظرية؛ تتعلق بالباب الأول: الدرس اللساني التداولي بين القلم والحديث.
- ونتائج تطبيقية؛ تخص الباب الثاني: خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور؛ دراسة في الوظيفة التداولية.

### 1- النتائج المنهجية:

- إن أهم ما يقدمه المنهج التداولي للنص الشعري، والنص الأدبي بصفة عامة، هو تخليصه من هيمنة النظر في نظامه وتراكيبه من وجهة نظر (لسانيات اللغة)، التي جعلت دراسته لا تعدو الوقوف إفراديًا على ألفاظه وجمله، وحصرها في بيانات وأشكال هندسية.
- وينتقل به في المقابل إلى (لسانيات الكلام) التي تتجاوز النظرة الإفرادية إلى النظرة التداولية التي تُعدّ النص خطابًا تواصليًا. وحينها تستند إلى كل المفاهيم التي تشرح شروط أدائه، انطلاقًا مما تعرضه البلاغة ونظرية الاتصال.
- لقد نشأت التداولية، - كما سبق بيانه - في غير استقرار، وتعدّدت مصادرها، مما أثرى مدونة تعريفاتها، وجعل منها تداوليات عدة. ولكن التداولية التي تعني النص الشعري هي التداولية اللسانية، القائمة على مفاهيم المقاربة والإقناع؛ فهي تداولية إبداعية؛ تبحث في علاقة المعنى بشكل بنيته اعتمادًا على شروط افتراضية للتواصل.
- عرّض البحث عددًا من القضايا التداولية في مباحث البلاغة العربية، والنحو العربي، ليس لغرض محاكاة مقولات اللسانيات الحديثة، وإنما محاولة لتأصيل القضايا المعرفية بعامة، وتحديد الموقع المناسب لإسهامات العرب في ذلك.
- من الدارسين، من يجعل التداولية الحديثة مقابلًا لمفهوم (مقتضى الحال) في البلاغة العربية، وهو مذهب سليم إلى حدّ بعيد، على أن يكون ذلك متعلقًا بالتداولية اللسانية وحدها.
- لئن كانت الدراسة التداولية لا تحتفي كثيرًا بالمسائل الإفرادية في بناء النصوص، فإنها لا يمكن أن تتجاوزها بشكل نهائي؛ حيث تنطلق من الخصائص الشكلية لعناصر التركيب المختلفة (أفعال، بنى حجاجية، حذف، افتراض مسبق، تكرار...) وبيان وظائفها التداولية؛ استنادًا إلى مفاهيم اللسانيات التداولية الحديثة، ومباحث البلاغة والنحو.



- يلتقي مفهوم الشعر مع مفهوم التداولية في أن مجال كل منهما التواصل؛ وانطلاقاً من ذلك، يمكن الحديث عن التداولية في الشعر، وإن كان مكتوباً. وأهم ما تناوله: دراسة شروط وصول النص الشعري إلى السامع، وإقناعه والتأثير فيه، وتقف على الأشكال البنيوية التي تقتضي ذلك.

- من المظاهر التداولية التي ميزت ديوان بن القاضي، وجعلت منه مدونة مناسبة لهذا المنهج: أنه يصور حياة صاحبه ويقدم جوانب مختلفة منها. إلى جانب أن مفهوم الشعر عند ابن القاضي أساساً يرتبط بوظيفته في الحياة؛ كأن يحمل موقفاً أو يعدّل سلوكاً، أو يدعو إلى القيام بأمر ما والتأثير في حياة الناس، بعيداً عن المفاهيم الأخرى التي تجعل الشعر فناً لذلك.

## 2- النتائج النظرية:

- كما كانت الفلسفة حقلاً خصباً لنشأة الدراسات اللغوية قديماً، وبعد أن اجتهد (سوسير) في فصلها عنها في محاضراته، وجعل من اللسانيات علماً مستقلاً، هاهي تعود في منتصف القرن العشرين، للتطور في ظل الدراسات الفلسفية بعدّها أحد مصادرها، وصار للفلسفة الحديثة أكثر من اتصال باللسانيات؛ وبُعِثت قضايا لسانية جديدة، نحو: دراسة أفعال الكلام، القواعد النحوية وأصول اللغات الطبيعية، التحليل المنطقي للغة، نشوء البنيوية الفلسفية، تطور التيار التأويلي في اللغة معتمداً على توسيع مجال المدلول، وتأجيل المعنى. إلى جانب أن العلاقة في عناصر العلامة اللسانية حديثاً، لم تُعد بين الدال والمدلول، بل بينه وبين بعض تأثيرات بيانه، وقيمتها جدالية وليست متغيرة فحسب، كما أوضح سوسير من قبل.

- تنطلق اللسانيات التداولية من مبدأ هام؛ هو أنها لسانية كلام (تركز على الجانب الاتصالي والوظيفي)، مقابل لسانية اللغة (التي تكاد تُخصّص للنظام اللغوي)؛ وذلك لأسباب، منها:

\* تعدّد الحاجات والمصالح مما حتم تحديد دور اللغة اجتماعياً.

\* بروز مشكلات جديدة في ممارسة اللغة، لم تستطع دراسة النظام اللغوي الإحاطة بها، نحو (الاكتساب اللغوي، تعليم اللغة، الترجمة، أثر المتكلم على لغته...).

وهي تتكئ إلى كل من الفلسفة اللغوية، والمنطق، والنظريات اللسانية الحديثة. وتتجاوز أبحاثها ما يتعلق بالمعنى والتواصل، إلى كونها نظرية عامة للنشاط الإنساني.

- تظهر أهمية التداولية من حيث إنها مشروع شاسع في اللسانيات النصية، تهتم بالخطاب ومناحي النصية فيه، نحو: المحادثة، التضمين، المحاججة، مظاهر الحذف والافتراض المسبق،... وبدراسة التواصل عموماً، بدءاً من ظروف إنتاج الملفوظ، إلى تحديد مقاصد المتكلم فيه، إلى ما يُمكن أن يُحدّثه من تأثيرات في السامع.

- لئن اجتهد هذا المبحث في تحديد بعض من المفاهيم التداولية في مدوّنتنا البلاغية والتّحوية، فإن في الخطابة والشعر والنقد، وعلم الأصول... كثيرا من القضايا التي تحثني بها اللسانيات، وهي بحاجة إلى دراسات مُستقلة.

- لم نخُل مطلقا الدراسات العربية على اختلاف اختصاصاتها من بيان دور المتكلم في صياغة الخطاب وإنتاجه، والاعتداد بالسّامع في العملية الكلامية، إلى جانب الإلمام بكل العناصر الفاعلة في الإبلاغ، ومعيار الصدق والكذب في الأساليب وفي الشعر، ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر ومخالفته... وتلك أهم المسائل التي تقوم عليها اللسانيات التداولية الحديثة.

- إذا أمكن إنجاز مهمة البلاغة العربية في (فنّ القول) أو (فنّ الوصول بالمعنى إلى نفس المخاطب)، فإنها بذلك تمثل نظرية للاتصال قائمة بذاتها في التراث العربي؛ حيث تتناول كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها، دون أن تستثني شيئا في ذلك مما له علاقة بالتواصل. وتنظر إلى اللغة نظرة متكاملة، لا يستقلّ فيها الشكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال.

وتعتدّ خلال ذلك كثيرا بالمتكلم (من حيث: معرفته باللّغة، المعنى الذي يقصده، حاله أثناء أداء الخطاب، دوره في كثير من المباحث البلاغية: الانتفات، صدق الخبر وكذبه...).

- والنحو العربي لم يكن تناولا للبنية اللغوية مستقلة عن أحوال الاستعمال المختلفة؛ حيث قدّم النحاة مسائل مرتبطة بالمتكلم مما يُظهر أثره على البنية ذاتها، ويحدد موقفه في الإعراب، وفي التمييز بين القول والكلام... ومباحث أخرى.

وتناولوا بعضا مما يتعلق بالمخاطب، نحو فائدة الكلام التي يجعلها النحاة وقفا على السّامع وما يحزره من منفعة، وسكوته عن المعنى.

### 3- النتائج التطبيقية:

- إن الشعر تحديدا، دون الأنواع الأدبية الأخرى، أكثر ملاءمة للدراسة التداولية؛ ذلك أن غايته التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه، استنادا إلى البلاغة التي غرضها الإبلاغ والإقناع.

- يشيع في الديوان أسلوب الدعاء الوصفي؛ إذ لا تكاد تخلو منه قصيدة طويلة؛ ويعرض فيه الشاعر وصف الأحوال التي تجلب الأغراض المختلفة للكلام، نحو: الشكوى والاستعطاف مثلا.

إلى جانب شيوع استحضار صور الماضي في قصائده، وكأنها حاضرة، ماثلة أمام القارئ، نحو مشاهد الحرب، البؤس... الخ. وفي ذلك قيم تداولية، أهمها استدراج السّامع للوقوف على الأحداث كما هي حاصلة في الواقع. كما أنه يمزج بين مستويات الخطاب، ويعدّد أصناف المخاطبين، مما جعل قصائده أكثر ارتباطا بالواقع الاجتماعي.

- من خصائص التركيب النحوي في ديوان ابن القاضي:

● العناية بالمستوى التداولي في التركيب؛ حيث يظهر اعتناء الشاعر بمخاطبيه في توالي التراكيب الإنشائية لإثارتهم وقيامهم بالمطلوب. وقد يزيد في التركيب بالوصف، لإحداث الدهشة لدى السامع أو المبالغة في عرض حاله. كما ينجح أحيانا إلى إجمال الدلالة ثم تفصيلها في تراكيب لاحقة إغراءً لمخاطبيه وتشويقاً، أو يجعله منشغلاً في طلبها، منتبهاً إلى حصولها بتقدم الضمير خلافاً للأصل.

● بناء التراكيب بحسب العمليات الذهنية للشاعر؛ كأن توافق ترتيب أحاسيسه، أو يطابق ترتيبها وجودها في الواقع... الخ.

● تتميز التراكيب النحوية في الديوان أيضاً، بشيوع اللواحق الإنجازية التي تُسهم في تحقيق الدلالة وحصولها، وهي إشارات للسامع، تستدرجه للظفر بدلالة التركيب والإحاطة بها كاملة؛ نحو الإشارات الشخصية، الزمانية والمكانية...

- ومن خصائص التركيب البلاغي؛ أن الشاعر استخدم عدداً من الصور البلاغية التي استندت إلى لواحق إنجازية على مستوى التركيب النحوي، وأدّت مقاصده على نحو من العناية والاهتمام بنص الخطاب والمخاطب، ومن ذلك:

● استخدامُهُ للتراكيب الاستعارية كان بارزاً في الديوان؛ ومن خصائصها: أن يُحيل اللفظ الاستعاري إلى واقع فعليٍّ للمعنى، أو أن ينقل المعنى النفسي المهيمن على المتكلم زمن إنتاج الاستعارة. أما عن الشاعر بعدّه منتجا لها، فقد بدا أحيانا مدّعياً لمعنى الاستعارة باستحضار ما لا يمكن استحضاره، وأحيانا يحرص على نقل الدلالة الكامنة في نفسه كاملة.

هذا ما يجعل متلقي استعاراته في الديوان منتبهاً لها، فأول ما يتلقاه هو معانٍ لم يكن يتوقّعها، مما يبعث على طلب الإحاطة بها، استناداً إلى ما يقرط من المتكلم أثناء الحديث، أو ما يبدو على مستوى التركيب.

● استخدامُهُ للتراكيب الكنائية أيضاً، أخذ حيزاً هاماً من القصائد؛ وتلتقي الكناية مع الاستعارة في أنّ كليهما يحتمل معنىً ضمنياً يرمي إليه المتكلم، وعلى السامع أن يدركه بحسب ظروف الخطاب، ويختلفان في أن المعنى في الكناية أقرب إلى السامع لوجود دليل عليه. ولذلك فقد أدّت الألفاظ الكنائية في الديوان وظيفة المشير تداولياً، والإحالة إلى قصود الشاعر. ومن أشكالها البارزة أن لا تكون متعددة الدلالة مما يجعل إشارتها قريبة، أو أن تشير إلى معانٍ نفسية لدى المتكلم... وفي كل ذلك استدراج للسامع للظفر بالدلالة. أما الشاعر، فيلجأ إلى الصورة الكنائية انطلاقاً من إعجاب يعتره، أو موقفه من موضوع الحديث، أو حرصاً على إخفاء الدلالة رغبةً في إثارة قارئه. ومن آثارها على المخاطب،

أن التلويح إلى المعنى يبعث على استقصائه، لا سيما إن وجد ما يستهجنُ حاله أو يُعرِّضُ به، مما يدفعه طلب الإحاطة بالمقصود.

– ومن خصائص التراكيب الحجاجية في الديوان، سجّل البحث أن الشاعر اعتمد وجوها حجاجية عدة في قصائده، ظهرت على مستوى التراكيب، نحو لجوئه إلى التوكيد، مخالفة توقع السامع، التذكير، التضمين، القصر... وغيرها من الأساليب التي تقوم اعتدادا بما في ذهن المتلقي، أو أن يلجأ إلى أشكال من الزيادة بين التراكيب لأبعاد حجاجية أيضا، نحو: التكرار، التقابل، الإدخال... أو أن ينوع تراكيبه للعرض نفسه، فينتقل من التعبير بالجملة الاسمية إلى التعبير بالجملة الفعلية أو العكس، أو يلجأ إلى التقديم والتأخير، الالتفات... وغيرها. كما أن التراكيب الحجاجية في قصائد الديوان تلجأ كثيرا إلى الاستدلال، ومن مظاهر ذلك: استحضار النص القرآني، النص النبوي وهو قليل، النص الشعري، أو حجج أخرى؛ كأن يُظهر الحال، أو يؤكد بما لا يخالفه المخاطب استدراجا له، أو الحجّة بالتذكير، أو بالنقيض... وغيرها. وكل هذه المظاهر الاستدلالية تؤدي على الأقل وظيفتين تداوليتين:

- الأولى إشارية إحصائية، تستند إلى المتكلم وتعرض مكانته ومنظومته المعرفية.

- الثانية إنجازية؛ حيث تُسهم في إنجاز الخطاب بما تُضفيه عليه من قوة، لا سيما وأنها نصوص مشتركة بين الشاعر ومخاطبيه، وقد لا يستطيع المخاطب مخالفتها أو مناقشتها أحيانا.

– أما بالنسبة إلى تركيب أفعال الكلام في ديوان ابن القاضي، فقد وردت متنوعة في استخداماتها، لتنوع الأفعال الكلامية ذاتها بين: الإيقاعية الطلبية، الإخبارية، الالتزامية والتعبيرية.

فقد استخدم الشاعر تراكيب عدة، تقوم على اختلاف الأفعال الكلامية يكون لها كبير الأثر على مستوى بنية التركيب، وعلى المخاطبين؛ أو تقوم على عكس ذلك، بتجانس الأفعال الكلامية في التركيب الواحد. ولذلك أيضا أبعاده التداولية التي عرض لبعض منها الفصل الأخير من الباب الثاني. وهناك ظاهرة أخرى تميّز قصائد الديوان على مستوى هذه الأفعال، وهو خروج العبارات الخبرية إلى الإنشاء أو العكس؛ أن يدل الإنشاء على الخبر؛ وهي مسألة تحثي بها التداولية الحديثة كثيرا، وتناولتها البلاغة العربية في مباحثها، لما في ذلك الخروج من كبير الأثر على المخاطب، الذي ينبغي أن يكون مدركا لعدد من شروط التواصل، وظروف الخطاب، ليحيط بمقصود المتكلم في عبارته.

وأخيرا؛ فإن هذه الدراسة التداولية في ديوان ابن القاضي لا تدعي إحضار أيّ جديد، بقدر ما هي محاولة لأن يقترب المنهج التداولي أكثر من النص الأدبي وملايساته، اقترابا يقف على الصريح والضمني فيه، معتمدا في ذلك قيم البلاغة العربية ونتائج اللسانيات الحديثة.

## الملاحق

- I- ملحق خاصّ بحياة الشّاعر عبد القادر بن محمد بن القاضي.
- II- ملحق خاصّ بديوانه "بوّابات النور".



## لمحة عن حياتي

— اسمي عبد القادر بن محمد بلقاضي

— ولدت بباتنة في 22 من شهر جوان 1925 من أب ينحدر أصله من عائلة بني القاضي القاطنين منذ عهد بعد بنفس البلدة وبضواحيها وأم يرجع نسبها الى عائلة حداد بقرية تاغيت سيدي بلخير في جبال الأوراس ، وكل منهما قد ولد بقرية آشير في ولاية الأوراس نفسها .

— قضيت معظم طفولتي وشبابي في باتنة باستثناء بعض السنوات لا يتجاوز عددها تحمساً أمضيتها بقرية «حنقة سيدي ناجي» في الجنوب ثم في «سيدي معنصر» ودوار «عيون العصافير» «وأولاد موسى» بالقرب من باتنة وقرية «عين مليلة» .

— كانت دراستي الابتدائية في «مدارس الأهالي» كما كانت تسمى إذ ذاك «Ecoles Indigènes» بمدينة باتنة وقرية «سيدي معنصر» ثم بعين مليلة وأخيراً بباتنة من جديد حيث واصلت تعلمي بعد المرحلة الابتدائية سنة 1939 في ماكان يسمى «بالمدرسة الابتدائية العليا» أي «EPS . Ecole Primaire Supérieure» ثم تطور هذا الاسم الى «كوليج عصري» «Collège Moderne» وذلك الى نهاية جوان 1945 ، وهي فترة الحرب العالمية الثانية . ثم غيّرت مجرى دراستي والتحقفت في أكتوبر 1945 «بمدرسة قسنطينة» «La Médrsa» بعد نجاحي في مسابقة الدخول بها . وبعد أربع سنوات تخرجت منها وأكملت دراستي في معهد الدراسات الاسلامية العليا بالجزائر العاصمة من أكتوبر 1949 الى جوان 1951 م .

— وقد كنت أتردد أثناء كل ذلك مع بعض الرفاق على الكنائس القرآنية في باتنة وعين مليلة عند الشيخ سيدي الأخضر السلامي وسي موسى المعافي وسي المكي رحمهم الله .  
— كما كنت أجلس أيضاً في الحلقات الدراسية الحرة بمسجد باتنة مع الشيخ الامام الطاهر الحركاتي رحمه الله وفي المدرسة الحرة التابعة للجمعية المحلية بنفس البلدة تحت إشراف

\* فضل البحث أن يُوردَ التعريف بالشاعر، حرقاً كما حرّره بنفسه في ديوانه بوابات التور. لما في ذلك من تحقيق وضبط لمراحل حياته، فضلاً عن أن حديثه بنفسه عن نفسه يحمل قيمة تداولية يتوخاها هذا الحديث.

الشيخ محمد العيد آل خليفة رحمه الله والشيخ العابد الوردى . وأذكر أنني تعثرت مرارًا عديدة في مواصلة التعلم لأسباب عائلية قاسية لا يمكنني ذكرها ولظروف اجتماعية وسياسية في بلادي يعرفها العام والخاص لاسيما ما كان يتعلق بالحرب العالمية الثانية ، وبالحوادث المؤلمة التي تبعتها .

— ولما انتهيت من دراستي بالجزائر العاصمة بادرت بممارسة التعليم في مدرسة أرمندي «Ecole Armandy» بمدينة عنابة التي أقمت بها أربع سنوات من أول أكتوبر سنة 1951 الى نهاية جوان 1955 حيث عُيِّنْتُ استاذًا للغة العربية والأدب في مدرسة قسنطينة التي كنت تلميذا بها وقد درست بها 7 سنوات أي الى نهاية جوان 1962 .

— وأذكر أنني علمت في بداية الأمر بمدرسة «بيريقو» المحمدية حاليا بناحية وهران وذلك سنة 1949 ، وقبل التحاقى بمعهد الدراسات الاسلامية العليا بالجزائر .

وغداة الاستقلال صدر قرار من المكتب السياسي في 27 من شهر أوت سنة 1962 عُيِّنْتُ بمقتضاه مفتشا للغة العربية بولاية قسنطينة للاشراف على الموسم الدراسي وتنظيم تعليم اللغة العربية بتلك الناحية وفي 12 من شهر نوفمبر 1962 تمَّ تعييني كمفتش أكاديمية قسنطينة حيث بقيت بها مدة 9 سنوات أي الى نهاية جوان 1971 ، ومنها التحقت بوزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، إذ أسندت الي مهمة مدير للتكوين والتربية الممنوحة خارج المدرسة الى غاية أكتوبر سنة 1977 أي مدة 6 سنوات وبعد ذلك انتدبت كعضو دائم في لجنة حزب جبهة التحرير الوطني للثقافة والتربية والتكوين الى تاريخ المؤتمر 4 المنعقد من 2 — 12 الى 31 جانفي 1979 ثم شاءت الأقدار أن أرجع الى وزارة التربية الوطنية للاشراف من جديد على مديرية التكوين من سبتمبر 1979 الى سبتمبر 1984 . ومن هذا التاريخ فاتح سبتمبر 1984 عينت رئيسا لديوان وزير التربية الوطنية . إلى سنة 1986 ثم لوزير العدل إلى سنة 1989 ثم امينا عاما بوزارة التربية .

أما الجانب السياسي من حياتي فقد كنت مناضلا منذ الصغر في الخلايا السرية لحزب الشعب الجزائري ثم حزب انتصار الحريات الديمقراطية ثم جبهة التحرير الوطني في كل المدن التي أقمت بها منذ سنة 1943 والله على ما أقول شهيد<sup>(4)</sup> .

(4) عبد القادر بن محمد بن القاضي: بوابات التور، (لمحة عن حياتي)، ص7-8.

## 2- نشاطاته التربوية والتعليمية:

- إضافة إلى ما ورد في: "لمحة عن حياتي" السابقة، من نشاطاته، يُذكر أنه:
  - دُعِيَ إلى التدريس بالمركز الجامعي بقسنطينة؛ أين درّس تاريخ شمال إفريقيا، السيرة النبوية والعروض.
  - عمل أستاذاً مشاركاً بجامعة الجزائر؛ عام 1991-1992؛ حيث درّس العروض.
  - كُلف بدراسة تقويمية لكتابي السنة الأولى والثانية ثانوي، ضمن لجنة مشتركة بين التربية الوطنية والتعليم العالي.
  - عُيّن من السيد رئيس الجمهورية عضواً في اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية، مـاي 2000.

## 3- شهاداته:

- إجازة المدارس سنة 1949.
- شهادة معهد الدراسات الإسلامية العليا سنة 1951.
- شهادة الكفاءة لتدريس اللغة العربية والأدب في ثانويات التعليم الفرنسي الإسلامي (C.A.P.E.S écrit et oral) عام 1956.

## 4- وظائفه:

- معلم ابتدائي للغة العربية من 1951 إلى 1955 بعنابة.
- أستاذ التعليم الثانوي للغة العربية والأدب من 1955 إلى 1962 بقسنطينة.
- أستاذ مشارك بجامعة قسنطينة والجزائر.
- مفتش أكاديمية قسنطينة من 1962 إلى 1971.
- مدير التكوين بوزارة التعليم الابتدائي (1971-1977) و (1979-1984).
- مقرر لجنة الثقافة والتربية والتكوين لحزب جبهة التحرير الوطني (1978-1979).
- رئيس ديوان وزير التربية (1984-1989).
- رئيس ديوان وزير العدل (1986-1989).
- أمين عام وزارة التربية (1989).

\* اعتمد هذا البحث ما ورد في "موجز عن حياة المؤلف" المذكور في: عبد القادر بن محمد بن القاضي: شعاع الأصيل (شعر)، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ANEP الجزائر، 2000، ص03-06. إلى جانب ما حوته رسالته الشخصية التي وردتني في 12 مارس 2002، والمكالمات الهاتفية.



## 5- تكميمه:

- وسام الاستحقاق التربوي: 16 أفريل 1998.

## 6- مؤلفاته:

### الشعر:

- بوابات النور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

- شعاع الأصيل، الوكالة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

### الرواية الشعرية:

- مسيرة الجزائر، فيفري 1980.

- صوت الأحرار، فيفري 1984، نشرت في مجلة الثقافة.

- أنغام وألغام، ماي 1987، نشرت في مجلة الثقافة.

- حياة بين آخر، مارس 1996.

- الروايات الأربعة، الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2000.

- منجد للغة العربية للمدرسة الأساسية بالاشتراك مع جماعة من الأساتذة والمفتشين.

- الشعر العربي أوزانه وقوافيه - مطبوع - .

### الشعر المترجم من التراث العالمي:

- الربيع لـ: موريس كاريم (Le printemps de Maurice Carème).

- النجم الثاقب لـ: السيدة أكرمان (A la comète de 1866 Mme Ackerman).

- نشيد الفرح لـ: الشاعر الألماني شيلر (Hymne à la joie de Chiller).

- الحنين إلى الوطن لـ: لامرتين (Milly de Lamartine).

- النجمة الشاحبة لـ: ألفريد دي موسي (L'étoile du soir, A de Mussey).

- الطفولة لـ: فيكتور هيجو (A l'enfant de V. Hugo).

- ليلة تلح لـ: في دي موباسان (Nuit de neige de Guy de Mopassant).

- مسيرة الجزائر للمؤلف نفسه.

### المذكرات:

- ذكريات في التربية والتعليم - مخطوط - .

أما ما كُتِبَ عن شعره، فبعض مقالات منشورة في الصحف، ولقد تعذّر الاطلاع عليها، على الرغم من المحاولات العديدة، واتصالي بالصحف المعنية لعدم توفر الأرشيف، وهي حسب رسالته التي تلقيتها في مارس 2002:

- سلسلة من مقالات الأستاذ علي بن محمد، نشرت في جريدة "السلام".
- مقالة لأحد أصدقائه - لم يذكر اسمه - نشرت في مجلة "الأسبوع الثقافي"، ولعلها - حسبه - في 1990.
- مقالة للصحافية نعيمة حمودة، رحمها الله، في جريدة Le Matin، بتاريخ 1992/04/20.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## II- ملحق خاصّ بديوانه "بوابات النور"

يشمل ديوان بوابات النور، بحسب ما مر ذكره في متن هذا البحث، مجموع قصائد الشاعر التي أرّخت لمسيرة حياته من الأربعينيات إلى الثمانينيات، ولقد نُشر الديوان بالمؤسسة الوطنية للكتاب، بالجزائر عام 1990، مع تقديم كتبه علي بن محمد، يمثل وصفاً تحليلياً لمضامينه الشعرية، حرره في جويلية 1983.

عبد القادر بن محمد بن القاضي

# بَوَابَاتُ النُّورِ

المؤسسة الوطنية للكتاب  
3، شارع زهروت يوسف  
- الجزائر -

ولقد تعدّدت المضامين الشعرية في الديوان، وفيما يلي عرض لها بحسب ورودها في الفهرس<sup>(1)</sup>:

## فهرست

| الصفحة | البحر      | السنة         | المحتوى                                    | الباب |
|--------|------------|---------------|--|-------|
| 7      |            | إلى 1989/10/7 | لحظة عن حياتي                              |       |
| 9      |            | جوليت 1983    | وقفقة لدى البوابات الثلاث بقلم علي بن محمد |       |
| 45     |            |               | الباب : 1 الإسلام والعروبة                 |       |
| 47     | الرمل      | 1945          | — إلى بني الاسلام                          |       |
| 49     | الطويل     | 1952          | — أرض النبي محمد صلى الله عليه وسلم        |       |
| 51     | الحفيف     | 1952          | — رب ناحت حمام السلم ! ...                 |       |
| 55     | الرمل      | 1962          | — من وحى المولد النبوي (سنة 1962)          |       |
| 57     | الوافر     | 1964          | — قسنطينة تحيي المؤتمر العربي الثقافي 6    |       |
| 61     | الطويل     | 1964          | — قسنطينة تودّع المؤتمر العربي الثقافي 6   |       |
| 63     | الطويل     | 1964          | — سلام على مصر                             |       |
| 65     | الطويل     | 1970          | — من الجزائر إلى السودان                   |       |
| 67     | الحفيف     | 1972          | — نحية وهدية إلى اليمن والأمة العربية      |       |
| 71     | الطويل     | 1974          | — باقة أشعار من الجزائر إلى سوريا          |       |
| 73     | الطويل     |               | — نحية المؤتمر العاشر للأدباء العرب        |       |
|        |            | 1975          | والمهرجان 12 للشعراء                       |       |
| 75     | بجزء الرمل | 1975          | — التعريب                                  |       |
| 79     | الكامل     | 1982          | — من وحى القنطرة                           |       |
| 81     |            |               | الباب: 2 الوطن                             |       |
| 83     | الطويل     | 1946          | — بلادي ا بلادي ا ...                      |       |
| 85     | الطويل     | 1948          | — فما غلب الغيم الرياح الثوائر ا ا         |       |

(1) عبد القادر بن محمد بن القاضي: بوابات النور، ص 313 وما يليها.

| الصفحة | البحر         | السنة       | المحتوى                                       | الباب                        |
|--------|---------------|-------------|---|------------------------------|
| 89     | البيسط        | 1951        | — اليوم عيد لنصر الدين والعرب                 |                              |
| 93     | الرمل         | 1952        | — حدث الشعب ا ...                             |                              |
| 95     | الخفيف        | ماي 1954    | — اقبال الحرية                                |                              |
| 97     | الكامل        | جوان 1954   | — ان الهوى من محمد آدم واحد ا                 |                              |
| 99     | الخفيف        | ماي 1956    | — كلنا اليوم في الحمى توار ا                  |                              |
| 101    | المجنث        | جويلية 1956 | — الشاعر والحرية                              |                              |
| 105    | الخفيف        | أكتوبر 1956 | — دعاء  |                              |
| 107    | الكامل        | 1957        | — يا أيها العلم ا ..                          |                              |
| 109    | البيسط        | مارس 1962   | — تحية جهاد الجزائر                           |                              |
| 111    | المجنث        | مارس 1962   | — تحية جيش التحرير الوطني                     |                              |
| 115    | الرمل         | ماي 1962    | — ارفعي الرأس وسيري يا جزائر ا                |                              |
| 117    | الطويل        | 1966        | — أصاح ا هنا فذكر لكل معلم ..                 |                              |
| 119    | الخفيف        | 1967        | — الى روح الشهداء                             |                              |
| 121    | الوافر        | 1968        | — يفرطسا                                      |                              |
| 123    | الرجز (حز)    | 1977        | — مسيرة الجزائر                               |                              |
| 149    | الكام (مجزوء) | 1982        | — نشيد الاستقلال                              |                              |
| 159    | مجزوء الكامل  | 1983        | — نشيد جبهة التحرير الوطني                    |                              |
| 165    |               |             |   | الباب : 3 التربية والتعليم : |
| 167    | الكامل        | 1953        | — ربيع الفصل وربيع المعلم                     |                              |
| 169    | الرمل         | 1954        | — أيها الطالب قم ناه العلى ...                |                              |
| 171    | الكامل        | 1961        | — منظر الشيبية                                |                              |
| 173    | الطويل        | 1963        | — وكل بلاد بالثقافة تسقى ...                  |                              |
| 175    | الطويل        | جويلية 1965 | — ملتقى أساتذة اللغة العربية بسكيكدة          |                              |
| 177    | الكامل        | نوفمبر 1965 | — يوم الدخول إلى المدارس عيدا ..              |                              |
| 183    | الخفيف        | 1968        | — لقاء قسنطينة بتلمسان في نطاق التوأمة بينهما |                              |
| 187    | الطويل        | 1971        | — وداعا ولكن لا أريد وداعكم                   |                              |
| 193    | الطويل        | 1972        | — الشعر بالشعر                                |                              |
| 195    | الطويل        | 1977        | — وداع وشكر ودعاء                             |                              |
| 197    |               |             |   | الباب : 4 الطبيعة :          |
| 199    | الكامل        | 1946        | — مناجاة الدر                                 |                              |

| الصفحة | البحر         | السنة       | المحتوى                         | الباب               |
|--------|---------------|-------------|---------------------------------|---------------------|
| 201    | الرجز         | 1970        | — الربيع                        |                     |
| 203    | مجزوء الرجز   | 1971        | — الفراشة                       |                     |
| 205    | المتدارك      | 1974        | — ما أحلى أحلام الفجر           |                     |
| 207    |               |             |                                 | الباب 5: الصداقة :  |
| 209    | الخفيف        | 1945        | — رسالة إلى صديق                |                     |
| 211    | الطويل        | 1946        | — انات قلب                      |                     |
| 213    | الطويل        | 1947        | — قطار سيك الله إنك ظالم        |                     |
| 215    | الخفيف        | 1950        | — تهنئة بمناسبة رفاف            |                     |
| 217    | الزمل         | فيغري 1952  | — رنة رجعها الشاعر أحمد         |                     |
| 219    | الزمل         | جوان 1952   | — عد إلينا بصباح مشرق           |                     |
| 223    | الطويل        | 1955        | — هدية من بنت إلى جدتها         |                     |
| 225    | الوافر        | 1972        | — شكر على الأناي                |                     |
| 227    | الطويل        | 1975        | — حرام على الأخوان              |                     |
| 229    | الطويل        | 1979        | — هدية شعرية                    |                     |
| 231    |               |             |                                 | الباب 6: الوفاء :   |
| 233    | الخفيف        | أفريل 1950  | — على قبر ابن باديس             |                     |
| 235    | الخفيف        | جوانيت 1950 | — رحم الله روحها في الخلود      |                     |
| 239    | الكامل        | حسني 1953   | — سر يا علي إلى الخلود موقفاً   |                     |
| 241    | الكامل        | مارس 1953   | — أماء كنت ولن تزال هانة        |                     |
| 245    | الكامل        | أفريل 1953  | — الشاعر والليل                 |                     |
| 251    | مشطوطر اسفارت | 1969        | — رثاء محمود بن محمود رحمه الله |                     |
| 253    | الكامل        | 1978        | — أرتيك يا نفسي بنفسي           |                     |
| 259    |               |             |                                 | الباب 7: الذكريات : |
| 261    | الطويل        | 1952        | — سقى الله ذاك العهد            |                     |
| 265    | الخفيف        | جوان 1953   | — صور ..                        |                     |
| 267    | الوافر        | جوانيت 1953 | — فمي النغمات تحرير الرقاب      |                     |
| 269    | البيسيط       | 1954        | — يا صاح قد لحظة مثلي بيانة     |                     |

| الصفحة | البحر   | السنة       | المحتوى                    | الباب |
|--------|---------|-------------|----------------------------|-------|
| 273    | الطويل  | 1956        | — حنين                     |       |
| 275    | البيسط  | 1958        | — الحنين إلى بانة          |       |
| 277    | الطويل  | 1971        | — الحنين إلى العشرة الطيبة |       |
| 279    | البيسط  | أكتوبر 1925 | — فضل المربين              |       |
| 281    | الطويل  | نوفمبر 1972 | — ترى أزجته النائبات       |       |
| 283    |         |             | الباب: 8 حكم وتأملات :     |       |
| 285    | البيسط  | 1947        | — التفضيلة                 |       |
| 287    | المزج   | 1948        | — حياة المرء في الدنيا     |       |
| 289    | الخفيف  | 1949        | — بين اليأس والأمل         |       |
| 293    | الكامل  | أوت 1950    | — الشاعر الهائم            |       |
| 297    | الطويل  | أوت 1950    | — تجويون بالأراء           |       |
| 299    | المحتت  | 1951        | — حيرة شاعر                |       |
| 303    | الطويل  | 1955        | — الصحراء                  |       |
| 305    | المقارب | 1956        | — الحدائق                  |       |
| 307    | الطويل  | 1977        | — أمامي بحر                |       |
| 309    | الكامل  | 1983        | — النجم الناقب             |       |

الفهرس

- I- فهرس المصادر والمراجع.
- II- فهرس الآيات الكريمة.
- III- فهرس الأحاديث الشريفة.
- IV- فهرس الأبيات الشعرية من غير شعر ابن القاضي.
- V- فهرس الأعلام.
- VI- فهرس أهم المصطلحات الواردة في البحث.
- VII- فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية



## I - فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم بالخط المغربي الجزائري وبرواية ورش، إصدار وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1423هـ/2002م.

### 1- المصدر:

- 1- عبد القادر بن محمد بن محمد بن القاضي: بوابات النور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
- 2- المراجع (كتباً ومقالات):
  - 2-أ- باللغة العربية<sup>(١)</sup> (تحريراً وترجمة):
  - 2- إبراهيم (عبد الله) وسعيد الغانمي وعواد علي: معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (البنوية السيميائية، التفكيك)، المركز العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 1990.
  - 3- إيش (الروود) وآخرون: نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة وتقديم محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، 1996.
  - 4- ابن الأثير (نصر الله بن محمد الموصللي): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.
  - 5- الأخفش (سعيد بن مسعدة البلخي المحاشعي): معاني القرآن، دراسة وتحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، ط1، 1985.
  - 6- أشار (بيار): سوسيلوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
  - 7- إفتش (ميلكا): اتجاهات البحث اللساني، ترجمه عن الإنجليزية عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشرع القومي للترجمة (6)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط2، 2000.
  - 8- الألباني (محمد ناصر الدين): السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، د.ت.
  - 9- ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن): كتاب أسرار العربية، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا.
  - 10- بارت (رولان): لذة النص، ترجمة فؤاد صفا والحسين سيحان دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1988.
  - 11- الباقلاوي (القاضي أبو بكر): إعجاز القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

(١) لم يمتد البحث أثناء هذا الترتيب إلى، أم، أم، أم.

- 12- البخاري (أبو عبد الله محمد الجعفي): صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981.
- 13- بنفس (إميل): سيمولوجيا اللغة (مقال) ترجمة سيزا قاسم، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، م1، ع1، 1981.
- 14- التحييني (محمد بن صمادح): مختصر من تفسير الإمام الطبري، مذيلا بأسباب التزول للنيسابوري والمعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم لمروان العطية، قدم له وراجعته مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995.
- 15- تمام (حسان): المصطلح البلاغي القلم في ضوء البلاغة الحديثة (مقال)، مجلة فصول، مج7، ع3 و4 أبريل، سبتمبر 1987.
- 16- التهانوي (محمد علي): كشاف اصطلاحات الفنون، وضع حواشيه أحمد حسن ثبح، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
- 17- ثامر (سلوم): نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، د.ت.
- 18- الجابري (محمد عابد): بنية العقل العربي، (نقد العقل العربي 2)، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، أكتوبر، 2000.
- 19- الجاحظ (عمرو بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- 20- الجرجاني (الشريف علي بن محمد): كتاب التعريفات، مع فهرست تعريفات ومصطلحات لغوية وفقهية وفلسفية، جمعت من الكتب الفلسفية والفقهية واللغوية، ورتبت على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، مكتبة لبنان ناشرون، ط 2000.
- 21- الجرجاني (عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن): \* دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، حققه وضبطه وعلق عليه محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، (د.ت).
- 22- \* أسرار البلاغة في علم البيان صححها وعلق على الحواشي السيد محمد رشيد رضا منشى المنار، دون بيانات أخرى.
- 23- جميل عبد الحميد: البلاغة والاتصال دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- 24- ابن جنّي (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوفيقية سيدنا الحسين، 1418 هـ.
- 25- الجوزية (شمس الدين بن أبي بكر بن قيم الدمشقي): \* إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987.

- 26- \* بدائع الفوائد دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، (د.ت).
- 27- \* الفوائد، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط 1993.
- 28- حمودة (عبد العزيز): \* المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، 1998.
- 29- \* المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 272، جمادى الأولى 1422هـ، أوت 2001.
- 30- خرما ( نايف وعلي حجاج ): اللغات الأجنبية، تعليمها وتعلمها، سلسلة عالم المعرفة، شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، شوال 1408 هـ - يونيو 1988.
- 31- خطابي (محمد): لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 1991.
- 32- الخفاجي (ابن سنان): سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982.
- 33- ابن خلدون (عبد الرحمن أبو زيد): مقدمة العلامة ابن خلدون المسمّى: ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر، نسخة محققة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 34- دلاش (الجيلالي): مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996.
- 35- ديك (فان): علم النص؛ مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق محمد سعيد البحري القاهرة جمهورية مصر العربية ط1، 2001.
- 36- الرازي (محمد بن أبي بكر): مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1987.
- 37- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر): نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، عارضة بأصوله وحققه بالمقارنة مع أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وبمصادره الأخرى وعلق عليه: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان ط1، 2004.
- 38- الربيعي (محمود): في نقد الشعر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- 39- ابن رشيق ( أبو علي الحسن القيرواني): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط5، 1981.
- 40- الرضوي ( الاسترابادي): شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1979.
- 41- الرويلي (ميجان) وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي، ط2، 2002.

- 42- ريكور (بول): \* نظرية التأويل؛ الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، ط1، 2003.
- 43- \* فلسفة اللغة (مقال)، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ع8، حريف 1989.
- 44- الزبيدي (مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994.
- 45- الزركشي (بدر الدين محمد): الرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجليل، بيروت لبنان، 1988.
- 46- الزمخشري (أبو القاسم محمود): \* أساس البلاغة تحقيق عبد الرحيم محمود، عرّف به أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982.
- 47- \* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- 48- زناد (الأزهر): نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 1993.
- 49- الزوزني: شرح المعلقات السبع، منشورات أرومية، مطبعة جاب أمير، قم، 1205هـ.
- 50- زيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985.
- 51- السامرائي (فاضل): لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، جمعية عمال المطابع التعاونية، دار عمار للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط3، 2003.
- 52- سرفوني (جان): الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، من منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998.
- 53- السكاكي (أبو يعقوب يوسف): مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلقه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.
- 54- سورل (جون.ر): من سوسير إلى فلسفة اللغة (مقال)، إشراف ومراجعة مطاع الصفدي، مجلة العرب والفكر العالمي، ع13 و14 مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ربيع 1991.
- 55- سوسير (فردينان دي): علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي مالك يوسف المطلي، دار الكتب للطباعة والنشر، بيت الموصل، بغداد، العراق، 1988.
- 56- سويرتي (محمد): اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال) مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج28، ع3، يناير/ مارس 2000.

- 57- سيبويه (عمرو بن قنبر): الكتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1998.
- 58- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): \* الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق محمد حسن 57 اسماعيل الشافعي، منشورات محمد علي بيوض دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 1998.
- 59- \* شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، وبهامشه، أحمد الدمهوري: حلية اللب المصون على الجوهر المكنون دار الفكرة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، (د.ت).
- 60- \* المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان 1987.
- 61- شاهر (الحسن): علم الدلالة: السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر عمان، الأردن، ط1، 2001.
- 62- شريف (محمد صلاح) وآخرون: تقدم عام للاتجاه البراغماتي، ضمن كتاب (أهم المدارس اللسانية)، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، وزارة التربية، تونس، ط2، 1990.
- 63- شفيق (السيد): البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1996.
- 64- صولة (عبد الله): الحجاج في القرآن، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب، منوبة، سلسلة: لسانيات، مج3، تونس 2001.
- 65- الطبري (ابن جرير): تفسير الطبري، دار المعرفة، 1990.
- 66- طبل (حسن): المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي، أميرة للطباعة، القاهرة، مصر ط1، 1998.
- 67- الطلحي (ردة الله): دلالة السياق، رسالة دكتوراه (مطبوعة) سلسلة الرسائل العلمية الموصى بطبعتها، (33)، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ط1، 1424 هـ.
- 68- طه (عبد الرحمن): \* تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1993.
- 69- \* في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.
- 70- عبد الحميد (محي الدين): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ومعه كتاب منحه الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ط2، دون بيانات أخرى.

- 71- العسكري (أبو هلال الحسن): \* الفروق في اللغة، مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان ط4، 1997.
- 72- \* كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986.
- 73- العمري (محمد): \* البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.
- 74- \* في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطاب في القرن نموذجاً، إفريقيا الشرق، المغرب - لبنان، ط2، 2002.
- 75- غاروي (رجاء): النبوية فلسفة الإنسان، ترجمة جورج طرايشي دار الطبيعة، بيروت لبنان 1979.
- 76- غالي (محمد محمود): أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، لبنان (د.ت).
- 77- غلفان (مصطفى): اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم (04)، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1998.
- 78- ابن فارس (أحمد زكريا): \* الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له مصطفى الشوملي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963.
- 79- \* معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ط1، 1991.
- 80- فرانسوزا (أرمينكو): المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي الرباط، المغرب، 1986.
- 81- فضل (صلاح): \* بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة أدبيات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوانجمان، إشراف محمود مكّي علي، ط1، 1996.
- 82- \* مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان 2002.
- 83- \* نظرية البنائية في النقد الأدبي مؤسسة مختار للنشر والتوزيع دار عالم المعرفة القاهرة، مصر 1992.
- 84- الفقي (صبيح إبراهيم): علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- 85- الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت لبنان، (د.ت).

- 86- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): الشعر والشعراء، قدّم له الشيخ حسن تميم، راجعه وأعدّ فهرسه الشيخ عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط3، 1407هـ، 1987.
- 87- القرطاجني (أبو الحسن حازم): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقويم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط3، 1986.
- 88- القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب): الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط5، 1980.
- 89- قولفجانج (هـ.م.د. فيهقجر): مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه ومهد له سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2004.
- 90- لاشين (عبد الفتاح): ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- 91- ليونز (جون): اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، مراجعة يوثيل عزيز، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987.
- 92- المباركفوري (صفي الرحمن): الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ.
- 93- الميرد: الكامل، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ت).
- 94- الميرد (محمد بن يزيد): المقتضب، تحقيق عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.
- 95- المتني (أبو الطيب): الديوان، شرحه وكتب هوامشه مصطفى سبيتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- 96- المتوكل (أحمد): \* الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب 1988.
- 97- \* قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2001.
- 98- \* اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989.
- 99- \* الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
- 100- \* الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع الرباط، المغرب، ط1، 2003.
- 101- \* اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القلم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي (مقال)، البحث اللساني والسميائي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 6، جامعة محمد الخامس المملكة المغربية، 7-8-9 ماي 1981.



- 102- المسدي (عبد السلام): \* التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.
- 103- \* اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، أوت 1986 .
- 104- مطلوب (أحمد): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، عربي-عربي، مكتبة لبنان، ناشرون، ط2، 2000.
- 105- مفتاح (محمد): تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) المركز العربي، الدار البيضاء - بيروت ط3، 1992.
- 106- مفدي (زكريا): اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1991.
- 107- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط31، 1991.
- 108- المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم، مكتب تنسيق التعريب: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي، فرنسي، عربي) مطبعة المنظمة، تونس، 1989.
- 109- ابن منظور (جمال الدين محمد): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان (د.ت).
- 110- مومن (أحمد): اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.
- 111- موان (جورج): تاريخ اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1972.
- 112- نحلة (محمود أحمد): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
- 113- هارون (عبد السلام محمد): الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1979.
- 114- ابن هشام (عبد الله جمال الدين): مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1991.
- 115- ولد الأمين (محمد سالم): مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، مج28، ع يناير، مارس 2000.
- 116- الولي (محمد): الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1990.
- 117- ياكسون (رومان): \* الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء - بيروت)، ط1، 2002.



\* 6 محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح،

المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب - بيروت، لبنان، ط1، 1994.

119- يول (جورج): معرفة اللغة، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، نشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، مصر، (د.ت).

## 2-ب- باللغة الفرنسية (تحريراً وترجمة):

120- Adam (Jean Michel) :Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes, édi. Nathan, Paris, France, 1999.

121- Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, 2<sup>ème</sup> édi., Margada, Liège, 1990.

122- Austin (J.L) :Quand dire c'est faire, introduction, traduction et commentaire par Gille Lane, édition du seuil, 1970.

123- Bannour (A) :Dictionnaire de logique pour linguistes (français-anglais-allemand), C.I.L.F (Conseil International de la Langue Française), Paris, France, 1995.

124- Baylon (Christian) et Paul Fabre :La sémantique, avec des travaux pratiques d'application et leurs corrigés, université Nathan information, formation, édi. Fernard Nathan, France, 1978.

125- Berrendonner (Alin) :Eléments de pragmatique linguistique, collection proposition, les éditions de minuit avec l'aide du conseil de l'université de tribonrg (suisse), Paris, France, 1981.

126- Blanchet (Philippe) :La pragmatique d'austin à Gouffman, collection référence, édi., Bertrand-lacoste, Paris, France, 1995.

127- Bonne (Anne) et andrés joly :Dictionnaire terminologique de la systématique du langage, l'harmattan, Paris, France, 1996.

128- Caune (Jean) :Esthétique de la communication, que sais-je, puf, 1<sup>ère</sup> édition, 1997.

129- Combert (Jean Emile) :Le développement métalinguistique, psychologie d'aujourd'hui, presse universitaire de France, (PUF), 1990.

130- Cullioli (A) (responsable) laboratoire de linguistique formelle (équipe de recherche associée au CNRS, ERA 642 :Acte de langage et théorie de l'énonciation, département de recherches linguistiques (DRL), collection université Paris VII, France, 1985.

- 131-- Déssons (Gerard) :Emille Benveniste, Bertrand, Lacoste, Paris, France, 1993.
- 132- Dubois (Jean) et autres :Dictionnaire de linguistique Larrousse, Paris, France, 1988.
- 133- Ducrot (Oswald) :Dire et ne pas dire (principes de sémantique linguistique) collection savoir :sciences, Hermann, 3<sup>ème</sup> édition, Paris, France, octobre, 1991.
- 134- Eluerd (Roland) :La pragmatique linguistique, édi. Fernard, Nathan, (Université, information, formation), Paris, France, 1985.
- 135- Kerbrat orecchioni (Catherine) :La connotation, presses universitaires de Lyon, Thèse de doctorat d'état, Lyon, France, 1977 (PUB).
- 136- Latraverse (François) :La pragmatique, histoire et critique, Pierre mardaga, éditeur, Bruxelles, Belgique, 1987.
- 137- Maingueneau (Dominique) :Pragmatique pour le discours littéraire, collection lettres, SUP, Dunod, Paris, France, 1997.
- 138- \* Les termes clés de l'analyse du discours, seuil, collection mémo, février, Paris, France, 1996.
- 139- \* l'analyse du discours, introduction aux lectures de l'archive, Hachette, Paris, France, 1991.
- 140- \* l'énonciation en linguistique française, les fondamentaux linguistiques, la bibliothèque de l'étudiant, nouvelle édition, Hachette livre, France, 1999.
- 141- \* Aborder la linguistique, collection « lettre », dirigée par Jacques génèrent et Edmond Blanc, édi. Seuil, février 1996.
- 142- Moschler (Jacque) :Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle, édition Armand Colin Masson, Paris, France, 1996.
- 143- Moschler (Jacque) et anne Rebole :Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, seuil, France, octobre, 1994.
- 144- Mounin (Georges) :Dictionnaire de la linguistique, quadrige, PUF, édition 1974.
- 145- Rey (Debove Josette) :Lexique sémiotique, PUF, en édi. 1979.
- 146-Robert (Jean Pierre) :Dictionnaire pratique de didactique du F.L.E, édi. Ophrys, Paris, 2002.

- 147- Scharte (Joachin) :Lire wittgenstin ; dire et montrer, traduit de l'allemand par mariamme charrière et jean Pierre, cometti, collection « lire les philosophies », édition l'échat (1989-texte original, 1992 pour la traduction française), France, P.S.D.
- 148- Searle (Jhon. R) :Les actes de langage, essai, de philosophie du langage, collection savoir, lecture, Herman, Paris,France, 1996, nouveau tirage.
- 149- Siouffi (Gilles) et Dan Van Raemdonck :100 Fiches pour comprendre la linguistique, Bréale, Rosny, novembre, 1999.
- 150- Vignaux (georges) :L'argumentation (essai d'une logique discursive), libraire droz, Genève, Paris, France, 1976.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

II- فهرس الآيات الكريمة:

| السورة   | رقم الآية | رقم الصفحة |
|----------|-----------|------------|
|          | 02        | 98         |
|          | 11        | 95         |
|          | 12        | 95         |
| البقرة   | 14        | 127        |
|          | 31        | 96         |
|          | 188       | 81         |
|          | 189       | 109        |
|          | 228       | 116        |
|          | 233       | 94         |
| آل عمران | 140       | 81         |
| النساء   | 09        | 109        |
|          | 157       | 209        |
| المائدة  | 02        | 209        |
|          | 45        | 119        |
| الأنعام  | 151       | 127        |
| الأعراف  | 04        | 117        |
|          | 172       | 117        |
|          | 30        | 125        |
| النحل    | 90        | 110        |
|          | 125       | 77         |
| الإسراء  | 23        | 119        |
|          | 31        | 127        |
|          | 04        | 95         |
| مريم     | 12        | 210        |
|          | 89-88     | 101        |

\* مرتبة بحسب ترتيب السور القرآنية.

|     |       |           |
|-----|-------|-----------|
| 210 | 78    | طه        |
| 126 | 46    | الحج      |
| 113 | 04    | المؤمنون  |
| 126 | 117   |           |
| 113 | 19    | الشعراء   |
| 175 | 23    | الأحزاب   |
| 110 | 24    | سبأ       |
| 98  | 14    | يس        |
| 98  | 16    |           |
| 117 | 159   | الصفات    |
| 105 | 20    | ص         |
| 109 | 68    | الزمر     |
| 117 | 53    | فصلت      |
| 117 | 49    | الدخان    |
| 117 | 35    | الأحقاف   |
| 126 | 18    | الفتح     |
| 211 | 10    | ق         |
| 210 | 30    |           |
| 116 | 10    | الذاريات  |
| 49  | 20    | الحديد    |
| 81  | 07    | الحشر     |
| 117 | 02    | الصف      |
| 210 | 13    |           |
| 94  | 01    | المنافقون |
| 119 | 02    | التحريم   |
| 110 | 02-01 | الحاقة    |
| 210 | 06-05 |           |
| 126 | 02-01 | المزمل    |
| 125 | 16-15 |           |

|     |       |          |
|-----|-------|----------|
| 209 | 17    | المدثر   |
| 99  | 19-18 | النازعات |
| 210 | 14    | الليل    |
| 211 | 01    | التين    |
| 210 | 01    | العلق    |
| 98  | 01    | القدر    |
| 211 | 08    | البيّنة  |
| 98  | 01    | الكوثر   |
| 126 | 01    | الإخلاص  |

### III- فهرس الأحاديث الشريفة

- 1- "اطلبوا العلم ولو بالصين". رواه أنس بن مالك، وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة، رقم 416، جـ1، ص600. ورد في الصفحة: 211.
- 2- "... لعلّ الله اطلع على أهل بدرٍ، فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرتُ لكم". رواه البخاري في كتاب المغازي، باب "فضل من شهد بدرا" في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، بشأن حاطب بن أبي بلتعة، مجـ3، جـ5، ص10. ورد في صفحة: 116.
- 3- "يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر -حتى يظهره الله أو أهلك فيه- ما تركته". ذكره المباركفوري في الرحيق المختوم. ورد في الصفحة 116.

IV- فهرس الأبيات الشعرية من غير شعر ابن القاضي:

| الصفحة | البحر    | البيت    |                             |
|--------|----------|----------|-----------------------------|
|        |          | مقطعه    | مطلعه                       |
| 212    | الرمل    | الطاهرات | قسما بالنازلات              |
| 212    | الرمل    | الشاهقات | والبنود اللامعات            |
| 126    | الخفيف   | جماد     | والذي حارت                  |
| 212    | البيسط   | تجديد    | عيد بأي حال                 |
| 213    | البيسط   | الأماليد | أصخرة أنا؟                  |
| 213    | الخفيف   | البنود   | عش عزيزا                    |
| 126    | المتقارب | نارا     | وما أنا أسقمت               |
| 89     | الطويل   | المتقاعس | تقول وصكت                   |
| 103    | الطويل   | عجلى     | فقلت كأي                    |
| 103    | الطويل   | مترلي    | أتت تشتكي عندي              |
| 212    | الطويل   | يفعل     | أغرّك مني                   |
| 212    | البيسط   | سقم      | واحرّ قلباه                 |
| 97     | الطويل   | فتمكنا   | أتاني هواها                 |
| 213    | الطويل   | النواجيا | ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة |
| 213    | الطويل   | لياليا   | فليت الغضا                  |

الألف:

- إبراهيم بن محمد: 88.
- أبو ستيل ليو (Leo Apostel): 42.
- ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله): 101، 102، 124، 127، 199.
- أرسطو (Arestote): 7، 84.
- أرمينكو فرانسواز (Françoise Armengaud): 32، 34، 39.
- ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن): 97، 112.
- أنسكومبر (J.C. Anscombe): 42، 56، 58.
- أوركيوني (C.K. Orecchioni): 38.
- أوستين جون لانقشواو (Jhon Langshaw Austin): 14، 25، 26، 28، 31، 34، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 46، 48، 49، 50، 51، 53، 59، 67، 84، 92، 111، 112، 115، 118، 119.
- إينغرت : 07.
- أينل (Ainel): 42.

الباء:

- بارت رولان (Roland Barthes): 12، 19، 22.
- الباقلاني (القاضي أبو بكر): 88.
- بار هيلل (Bar-Hillel): 40.
- بالي شارل (Charlie Bally): 53.
- برونдал فيجو (Figgo Brondal): 09.
- بشر بن المعتمر: 107.
- بلومفيلد ليونارد (Leonard Bloomfeild): 10، 11.
- بنفنست إميل (Emile Benveniste): 7، 9، 22، 40، 41، 44، 53، 54، 82.
- بواس فرانز (Franz Boas): 10.
- بوب فرانز (Franz Bopp): 03.
- بورال (M.J. Borel): 19.



- بوهلر كارل (K. Bühler): 7، 12، 28، 67.
- بيرلمان شام (C. Perlman): 55، 182.
- بيرس شارل سنדרس (Charles Sanders Pierce): 19، 26، 27، 38، 40، 84.
- بيريندونييه آلان (Alin Berrendonner): 43.

#### التاء:

- تشومسكي نعوم (Noam Chomesky): 11، 14، 15، 16، 20، 59، 66، 89، 92.
- تمام حسان: 85، 116.
- تولمين س.إ. (Stephen Edelston Toulmin): 56.
- تيتيكا أولبريشت (Lucie Olbrechts-tyteca): 55، 182.

#### الجيم:

- الجابري (محمد عابد): 85.
- الجاحظ (عمرو بن بحر): 87، 88، 94، 103، 107.
- جرايس هر باربول (Herbert Paul Grice): 18، 19، 28، 31، 40، 86، 93، 99، 118.
- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر): 75، 85، 93، 100، 103، 107، 109، 121، 122، 164.
- ابن جنى (أبو الفتح عثمان): 89، 98، 99، 122، 123، 126.
- جوردن (Jorden): 28.
- جيمس وليم: 19.
- جينات جيرار (Genette Gerard): 19.

#### الحاء:

- الحطينة: 103.
- حلقة براغ: 9، 12، 29، 30.
- حلقة موسكو: 07.
- الحموي: 103.

#### الهاء:

- الحفاجي (الأمير محمد عبد الله): 92، 107.
- ابن خلدون (عبد الرحمان ولي الدين): 93، 111، 112، 122، 130.

#### الذال:

- دانيش (Danes F.): 17.
- دلاش (الجيلالي): 33، 36.

- ديوبوا جان (Jean Dubois): 62.
- ديوترو (Dutrot): 52.
- ديوتلي (Dutlet): 14.
- دي سوسير فردينان (Ferdinand De Saussure): 3...14، 17، 20، 22، 35، 37، 39، 43، 47، 53، 64، 138، 164.
- ديك سيمون (Semon Dik): 18، 30، 62، 63، 67.
- ديك فان تون أ. (Taun A. Van Dijk): 32.
- ديكارت (Descartes): 7، 11.
- ديكرو أوزوالد (Oswald Ducrot): 38، 40، 42، 51، 56، 58، 182.
- دي كورتوناي بودوان (Baudouin Decourtenay): 05.

#### الراء:

- الرازي (محمد بن أبي بكر): 96.
- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر): 109.
- رايشنباخ (Reichenbach H.): 40.
- روسل برتران (Bertrand Russel): 13، 14، 23، 40.
- ريبول آلان (Reboul A.): 12.
- ابن رشد: 92.
- ريكاناتي (François Recanati): 52.
- ريكور بول (Paul Ricoeur): 12.
- ريمدونك دان فان (Dan Van Raemdonck): 69.

#### الزاي:

- الزجاجي (عبد الرحمن): 240.
- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله): 100، 109، 125.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر): 77، 81، 101، 105، 113، 199.

#### السين:

- سابير إدوارد (Eduard Sapir): 10، 11.
- سباركر (Sparker): 42.
- سبوفودا (Spotfoda): 17.
- ستالناكر (Stalnaker): 39، 40.

- سرفوني جان (Jean Cervoni): 42.
- السكاكي (أبو يعقوب يوسف): 75، 86، 94، 103، 107، 109، 115، 118، 190، 205.
- سكال (Scall): 17.
- سكوت (Scott): 40.
- سورل جون رويرز (Jhon Royers Searle): 25، 28، 31، 34، 38، 40، 41، 44، 47، 50، 51، 52، 59، 111، 118، 119.
- السلوكيون: 11.
- سويرتي (محمد): 75.
- سيويه (عمرو بن عثمان بن قنبر): 125.
- السيد (شفيق): 69.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن): 83، 114، 123.
- سيوفي جيل (Gilles Siouffi): 69.

#### الشرين:

- شنترواس (ليني): 12، 39.
- الشكلايون الروس: 7، 29.

#### الصاد:

- صولة (عبد الله): 65.

#### العين:

- عبد الجبار (القاضي): 91.
- عبد الرحمان (طه): 77، 80، 82.
- عبد القادر الجزائري (الأمير): 159.
- العتاي: 87.
- العسكري (أبو هلال): 86، 90.
- ابن عقيل (عبد الله بن عبد الرحمن): 124.
- العمري (محمد): 84، 85.
- علي بن محمد: 136.
- علي صديق الشاعر: 174.

## الغين:

- غادامير هـ.ج. (Gadamer Hans Georg): 14.
- الغزالي (أبو حامد): 92، 115، 119.

## الفاء:

- ابن فارس (أحمد أبو زكريا): 90، 96، 105، 114، 124.
- فاشيك ج. (Vachek Josef): 07.
- فرانسيس جاك (Francis-Jacques): 40، 41.
- فريج كوتلوب (Gottlob Frege): 14، 23، 28.
- فضل (صلاح): 86، 106.
- فيتغنشتاين لوديك (L. Wittgenstein): 13، 14، 15، 24، 25، 26، 39، 40.
- فيرباس (Firbas): 17.
- فيرث (Firth): 17، 59.

## القاف:

- ابن القاضي (عبد القادر): 136، 140، 150، 158، 163، 175، 178، 182، 183، 188.
- 194، 205، 209، 213، 231، 237، 242، 244، 245.
- القرطاجني (حازم): 85، 121، 129.
- قريماص (Greimas A.J.): 19.
- القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد الخطيب): 101، 102، 107، 116.
- قوفمان (Goffman): 16.
- قولدمان لوسيان (Goldman L.): 12.
- ابن القيم (الجوزية): 92، 118.
- قيومين (Guillaumine): 40.

## الكاف:

- كارناب رودولف (Rodolph Carnap): 14، 28.
- كاشير أسا (Asa Kasher): 42.
- كانط (Kant E.): 41.
- كروسزفسكي (Krosisvsky): 05.
- كريستيفا جوليا (Julia Kristeva): 19.
- كلر جوناتان (Jonathan Culer): 12.

- كودمان (Godman): 40.

- كوشي بول (Paul Gochet): 40.

- كيمو (Kimo): 14.

اللام:

- لايوف (Labov W.): 19.

- لاترافارس فرانسوا (François Latraverse): 27، 65، 67.

- لاکوف ((Lakoff George): 28.

- ليتش (Leich): 84.

الميم:

- مارتان ر. (Martin R.): 43.

- مارتيني أندري (Andret Martinet): 07، 12، 17.

- ماتيزيوس (Matisus): 17.

- مالك بن الريب: 213.

- مانقونو دومينيك (Dominique Maingueneau): 32، 37، 53.

- مالينوفسكي (Malinovsky): 17، 59.

- المبرد: 97، 107.

- المتوكل (أحمد): 18، 23، 32، 33، 62، 75، 76، 83، 86، 111، 117، 122، 144.

- المتني (أبو الطيب): 213.

- المدرسة النسقية: 17، 29.

- المسدي (عبد السلام): 135.

- معمر أبو الأشعث: 87.

- مفدي (زكريا): 213.

- مكاروفيسكي (Mukarovsky J.): 07.

- موريس تشارل ويليام (Charles William Morris): 27، 34، 37، 38.

- موشلر جاك (Jacques Moschler): 66.

- مونان جورج (George Mounin): 03، 55، 61، 62.

- مونتاجو (Montageau): 40.

## التون:

- النحاة الشبان: 03.
- نحلة (محمود أحمد): 118.

## الهاء:

- هابرماس يورغن (Jurgen Hapermas): 42.
- هاريس زليح (Z. Harris): 11، 15.
- هاليداي (M. A. K. Halliday): 62.
- هانسون (Hansson): 39، 40.
- هايمز (Haymes D.H.): 59.
- ابن هشام (جلال الدين عبد الله بن يوسف): 125.
- همبولت (Humboldt K.): 11.
- هودبين (Houdebine): 19.
- هوراس (Horace): 141.
- هوسيرل (Husserl): 08، 14.
- هوكات (G.F. Hockett): 16.
- هيدغر (Heidegger Martin): 14.
- هيرمان باريه (Hermann Parret): 42.
- هيلمسليف لويس (L. Hjelmlev): 09، 10، 17.

## الواو:

- واطسون (Watson): 11.
- الوصفية الأمريكية: 10.
- ويلسون (Wilson): 42.

## الياء:

- ياكبسون رومان (Romon Jakobson): 05، 08، 09، 11، 17، 30، 53، 62.
- يغرطا: 159.

## VI- فهرس أهم المصطلحات الواردة في البحث:

### الألف:

- الإبلاغ: 74، 85، 87، 88، 91، 96، 135، 224، 228.
- الالتفات: 101، 153، 198، 199، 200.
- الاستبدال/التوزيع: 05، 06.
- أسلوب الحكيم: 103، 109.
- الاعتباطية: 08، 09، 14.
- الافتراض المسبق: 99، 100، 135.
- الأفعال الإنجازية: 48، 49، 109، 111، 220.
- الأفعال التقريرية: 111.
- الإقناع/ الإقناعية: 74، 75، 86، 88، 130، 136، 163، 165، 178، 187، 190، 194، 196، 201، 204.
- ألعاب اللغة: 24، 40.
- الإنشاء: 84، 106، 111، 114، 115، 116، 117، 119، 120، 150، 233، 234.
- 235، 236، 237، 240، 241، 242، 244، 245، 246.

### الباء:

- البراغمية: 43.
- البراغماتيكس: 23.
- البعد الاستعاري: 165، 166.
- البعد التداولي: 27، 34.
- البعد التركيبي: 27، 34، 66.
- البعد الحجاجي: 183، 184، 185، 188، 190، 192، 194، 199، 201، 202، 203، 204.
- البعد الدلالي: 27، 34.
- البعد الإشاري: 40.
- بلاغة الاستعارة: 168.
- البلاغة البرهانية: 56.

\* مرتبة ألفبائياً بحسب حرف الابتداء (دون الاعتداد بـ (ال)).

- البلاغة التداولية: 84.
- بلاغة الكلام: 87.
- بلاغة المتكلم: 87، 89.
- البنية: 05، 06، 07، 23، 27، 36، 63، 76، 77، 121، 123، 128، 135، 160، 218، 246.

- البنية التداولية: 63.
- البنية الخارجية: 108.
- البنية الداخلية: 108.
- البنية الدلالية: 63.
- البنية السطحية: 16.
- البنية العميقة: 16.
- البنيوية: 04، 06، 12، 13، 14، 15، 18، 29، 37، 66.
- البنيوية الأنثروبولوجية: 12.
- البنيوية التشكيلية: 12.
- البنيوية التكوينية: 12.
- البنيوية السوسيرية: 28.
- البنيوية الفلسفية: 12، 14.

#### التاء:

- تحليل الخطاب: 18، 71.
- التحويل: 16.
- تداولية إبداعية: 135، 140.
- التداولية الاستراتيجية: 42.
- التداولية الشكلية: 39.
- التداولية الأصلية: 42.
- تداولية الإقناع: 72.
- تداولية افتراضية: 135.
- تداولية التلفظ: 40.
- تداولية حقيقية: 72، 135.
- التداولية الحوارية: 42.



- تداولية الدرجة الأولى: 40.
- تداولية الدرجة الثانية: 40.
- تداولية الدرجة الثالثة: 40.
- التداولية العالمية: 42.
- التداولية الكاملة: 42.
- التداولية اللسانية/ اللغوية: 74، 79، 107، 135، 140.
- تداولية مقارنة: 72.
- التداولية المتعالية: 42.
- التداولية المعرفية: 42، 60.
- التداولية المعقنة: 42.
- التزامن والتعاقب: 05، 06.
- التفاعل/التفاعلية: 30، 36، 38، 41، 43، 45، 59، 60، 82، 129.
- التقريب التداولي: 80.
- التوليدية التحويلية: 15، 59، 66.

الجيم:

- الجلوسيماتيكية: 09.

الحاء:

- الحجاج: 34، 38، 43، 44، 55، 56، 58، 66، 95، 105، 129، 130، 163، 187، 182، 185، 214.
- الحذف: 99، 100، 101، 125.

الحفاء:

- الحير: 84، 90، 92، 94، 96، 97، 106، 111، 114، 115، 116، 117، 119، 120، 127، 150، 154، 233، 234، 235، 237، 238، 241، 245...، 251.
- حير ابتدائي: 97.
- حير إنكاري: 98.
- حير طلي: 97، 98.
- الخطية: 08، 09.

## الذال:

- الذال والمدلول: 05، 14.

## السين:

- السياق: 08، 18، 37، 40، 41، 43، 45، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 72، 94، 100، 107، 119.
- سياق الحال: 17، 35.
- سياق المقام: 61.
- السيميائية: 22، 26، 27، 29، 38، 71، 84.

## الطاء:

- الطلب: 47، 86، 114، 115، 118، 119، 156.

## العين:

- العبارات الإنجازية: 46، 48، 49.
- العلاقات التداولية: 84.
- العلامة (العلامات): 06، 08، 09، 14، 26، 27، 34، 91.

## الفاء:

- الفعل: 25، 26، 30، 37، 43، 45، 55، 92، 111، 112، 113، 122، 129.
- الفعل الكلامي/الأفعال الكلامية: 18، 28، 34، 35، 36، 42، 43، 44، 45، 48، 49، 50، 51، 53، 59، 60، 67، 70، 76، 90، 92، 93، 106، 111، 118، 119، 120، 217، 218، 219، 223، 224، 231، 235، 236، 237.

## القاف:

- القدرة التواصلية: 17، 45.
- القصْد: 90، 91، 92، 93، 95، 103، 108، 110، 111، 116، 118، 122، 123، 125، 126، 127، 129، 133.
- قوانين الخطاب (المحادثة): 28، 51، 58، 60، 85، 86، 93، 97.
- القوة الإنجازية: 49، 51، 137، 144، 153، 154، 155، 218، 249.
- القيمة التداولية/القيم التداولية: 88، 90، 96، 98، 101، 104، 105، 108، 113، 114، 115، 123، 124، 125، 129، 130، 135، 155، 156، 164، 165، 166، 167، 171، 172، 173، 175، 178، 189، 190، 229، 240، 242، 248.

## الكاف:

- الكفاءة اللغوية: 15، 16.
- الكفاءة والأداء: 16، 66، 68.
- الكلام: 03، 06، 48.

## اللام:

- اللسان: 03، 06، 47.
- لسان/كلام: 44.
- اللسانيات الاجتماعية: 66، 70.
- اللسانيات البنيوية: 04، 05، 12، 65، 70، 89.
- اللسانيات التداولية: 12، 13، 19، 77، 78، 84، 85، 87، 88، 95، 96، 100، 102، 112، 115، 119، 120، 121، 128، 138، 241، 246.
- اللسانيات التعليمية: 70.
- لسانيات التلفظ: 37، 41.
- لسانيات ذهنية: 85.
- اللسانيات السوسيرية: 44، 65، 138.
- لسانيات الكلام: 35، 37، 65.
- لسانيات اللغة: 35، 65.
- لسانيات ما بعد البنيوية: 03، 04، 15، 29.
- اللسانيات النصية: 18، 19، 29، 71، 72.
- اللسانيات النفسية: 19، 66، 70.
- اللسانيات الوظيفية: 17، 29، 30.
- اللغة الشكلية: 23.
- اللغة/الكلام: 53.
- اللواحق الإنجازية: 158، 160.

## الميم:

- مبدأ التعاون: 40، 99.
- مبدأ المخالفة: 06.
- مبدأ المشاهدة: 06.
- مبدأ المنفعة: 107.

- مثير/استجابة: 11.
- المجال التداولي: 80.
- المغالطة: 103، 109.
- المقام: 35، 44، 46، 60، 61، 62، 63، 64، 75، 86، 87، 106، 107، 115، 120، 129، 130، 135، 183، 202، 203، 207.
- مقتضى الحال: 75، 86، 88، 105، 106، 107، 108، 120، 130.
- الملفوظات الإنجازية: 25، 49، 50، 51، 110.
- الملفوظات التأثيرية: 25.
- الملفوظات التقريرية: 25.
- الميتاتداولية: 39.
- الميتالغوية: 22، 39.

#### النون:

- النحو التقليدي: 03.
- النحو التوليدي: 16، 17.
- النحو الوظيفي: 17، 30، 62، 67، 150.
- نظريات لسانية صورية: 23.
- نظريات لسانية وظيفية: 23.

#### الواو:

- الوضعية المنطقية: 14.
- الوظائف التداولية/الوظيفة التداولية: 45، 62، 63، 83، 135، 139، 183، 202، 213، 218، 223، 233.
- الوظائف التداولية الخارجية: 63، 64.
- الوظائف التداولية الداخلية: 63، 64.
- وظائف اللغة: 30.
- الوظيفة الاتصالية: 24، 25.
- الوظيفة الإحالية: 214.
- الوظيفة الإشارية: 214.
- الوظيفة التعبيرية: 24، 28.
- الوظيفة التمثيلية: 24، 28.

- الوظيفة الجمالية: 08.
- الوظيفة الندائية: 28.
- الوظيفة: 12، 17، 62.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية